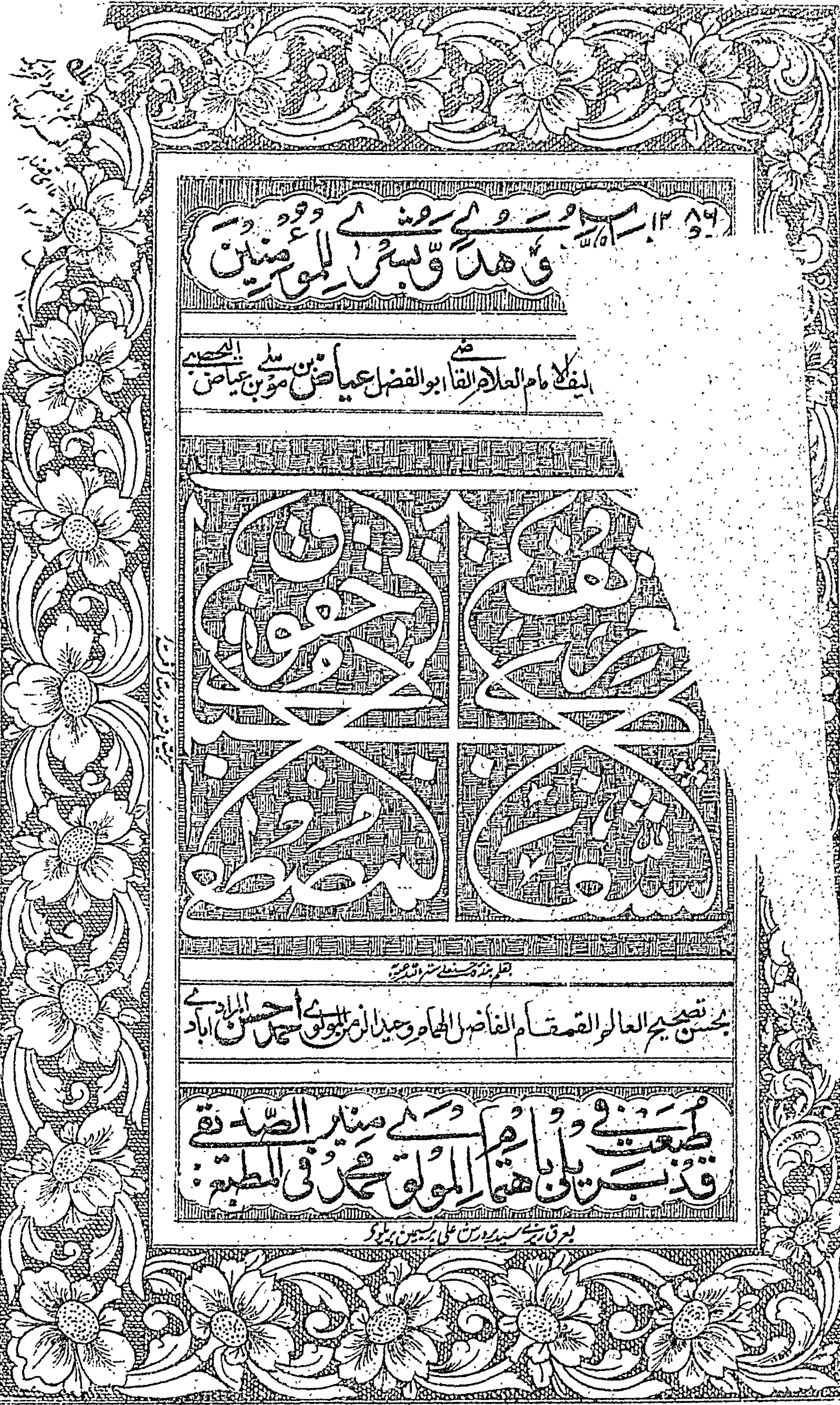
فہرست کتاب الشفا فی تعریف حقوق المصطفیٰ صلی اللہ علیہ وسلم

نبذة من احوال المصنف رحمه الله تعالى

هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي نسبة الى يحصب بن مالك ابي قبيلة باليمن السبتي نسبة الى السبتة مدينة مشهورة في المغرب الغرناطي نسبة الى غرناطة المالكي قاضي سبتة صاحب التصانيف المفيدة كالشفا ومشارق الانوار وغيرهما نحو ثلثين تأليفا نقل الى غرناطة في سنة احدى وثلثين وخمسمائة ولم يطل امله بها ثم ولي قضاء سبتة ثانيا وكان مولده بسبتة في شهر شعبان سنة ست وسبعين واربعمائة فهو سبتي الدار والميلاد اندلسي الاصل فان اصوله كانت قديما بالاندلس ثم انتقلوا الى مدينة فاس وكان لهم استقرار بالقيروان وانتقل الى سبتة بعد سكنى فاس كان اماما في الفقه والتفسير والحديث وسائر العلوم العقلية والنقلية خطيبا بليغا وكان وفاته يوم الجمعة بمراكش في جمادى الاخرة سنة اربع واربعين وخمسمائة فكان عمره الشريف ثماني وستين سنة وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله واصحابه واشياعه ومحبيه وسلم تسليما كثيرا



وهدى وبشرى للمؤمنين
ليف الامام العلام القاضي ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي
بتعريف حقوق المصطفى
بحسن تصحيح العالم القمقام الفاضل الهمام وحيد الزمن المولوي احمد حسن المرادابادي
طبعت في بريلي باهتمام المولوي محمد في المطبع الصديقي

بسم الله الرحمن الرحيم

اخبرنا الامام العالم الحافظ الفضائل ابو ... الشلف ... الخلف ... ركن الشريعة علم المهدى وبديع عصره وربيع دهره الحبر الاديب الفاضل اللبيب البارع الاديب رئيس الاصحاب سراج الدين ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عمر المصري المالكي ملكه الله ازمة اماله ونقتل منه صالح اعماله بقراءتي عليه وهو يسمع ويفهم في رجب من سنة اثنتين وستين وستمائة عصمني الله تعالى النجاة منه له بذلك بستمائة احدى ... دار الخلافة قال حدثنا ابو العباس احمد بن عمر بن ابراهيم القرطبي الانصاري في شوال سنة اثنتين وثلثين وستمائة قال انبانا القاضي الفقيه ابو القاسم عبد الرحيم ابن الملجوم **واخبرنا** الامام تاج الخلافة قدوة الطوائف عبد الله بن ابي القاسم بن عمر الشار مساحي قراءة مني عليه قلت له اخبرك محمد بن عبد الرحمن بن محمد الانصاري مناولة فاقر به وقال نعم **قال** اخبرنا الفقيه ابو الحسين محمد بن احمد بن جبير الكناني قراءة مني عليه قال اخبرنا ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن عيسى كتابة **واخبرنا** الامام النحرير الحبر الغزير عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي حفص زعيم المالكية فيما قرأته عليه **قال** انبانا محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن الانصاري **قال** انبانا ابو محمد عبد الله بن محمد بن عبيد الله الحجري قالوا جميعا اخبرنا الامام القاضي ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي قال التميمي في روايته قراءة عليه وانا اسمع **قال**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتفرد باسمه الاسمى المختص بالملك الاعز الاحمى الذى ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى الظاهر لا تخيلا ووهما والباطن تقدسا لا عدما وسع كل شئ رحمة وعلما واسبغ على اوليائه نعما عما وبعث فيهم رسولا من انفسهم انفسهم عربا وعجما وازكاهم محتدا ومنما وارجحهم عقلا وحلما واوفرهم علما وفهما واقواهم يقينا وعزما واشدهم بهم رأفة ورحما زكاه روحا وجسما وحاشاه عيبا ووصما واتاه حكمة وحكما وفتح به اعينا عميا وقلوبا غلفا واذانا صما فأمن به وعزره ونصره من جعل الله له فى مغنم السعادة قسما وكذب به وصدف عن اياته من كتب الله عليه الشقاء حتما ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الاخرة اعمى صلى الله عليه وسلم صلاة تنمى وتنمى وعلى اله وسلم تسليما اما بعد اشرق الله قلبى وقلبك بانوار اليقين ولطف لى ولك بما لطف به لاوليائه المتقين الذين شرفهم بنزل قدسه واوحشهم من الخليقة بانسه وخصهم من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته واثار قدرته بما ملأ قلوبهم حبرة وولّه عقولهم فى عظمته حيرة فجعلوا همهم به واحدا ولم يروا فى الدارين غيره فهم بمشاهدة كماله وجلاله يتنعمون وبين اثار قدرته وعجائب عظمته يترددون وبالانقطاع اليه والتوكل عليه يتعززون

المجيبين بصادق قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون **فانك** كررت علي

السؤال في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى عليه السلام وما يجب له من توقير

واكرام وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر او قصر في حق منصبه الجليل

قلامة ظفر وان اجمع لك ما لاسلافنا وائمتنا في ذلك من مقال وابينه بتنزيل صور

وامثال **فاعلم** اكرمك الله انك حملتني من ذلك امرا امرا وارهقتني فيما ندبتني

اليه عسرا وارقيتني بما كلفتني مرتقا صعبا ملأ قلبي رعبا فان الكلام في ذلك يستدعي

تقرير اصول وتحرير فصول والكشف عن غوامض ودقائق من علم الحقائق مما يجب

للنبي ويضاف اليه او يمتنع او يجوز عليه ومعرفة النبي والرسول والرسالة و

النبوة والخلة والمحبة وخصائص هذه الدرجة العلية وههنا مهامه فيح تحار فيها

القطا وتقصر بها الخطا ومجاهل تضل فيها الاحلام ان لم تهتد بعلم علم ونظر سديد

ومداحض تزل بها الاقدام ان لم تعتمد على توفيق من الله وتاييد لكني لما رجوت

لي ولك في هذا السؤال والجواب من نوال وثواب بتعريف قدره الجسيم وخلقه

العظيم وبيان خصائصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق وما يدان الله تعالى به من

حقه الذي هو ارفع الحقوق ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا

ايمانا ولما اخذ الله على الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ولما

حدثنا به ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه ونا الحسين

بن محمد ونا ابو عمر النمري ونا ابو محمد بن عبد المؤمن ونا ابو بكر محمد بن بكر ونا

سليمان بن الاشعث ونا موسى بن اسمعيل ونا حماد ونا علي بن الحكم عن عطاء عن

ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجمه الله

بلجام من نار يوم القيامة **فبادرت** الى نكت سافرة عن وجه الغرض مؤديا

من ذلك الحق المفترض اختلستها على استعجال لما المرء بصدده من شغل البدن

والبال بما طوقه من مقاليد المحنة الذي ابتلي بها وكادت تشغل عن كل فرض ونفل و
ترديه بعد حسن التقويم الى اسفل سفل ولو اراد الله بالانسان خيرا لجعل شغله وهمه كله فيما
يحمد غدا ويذم محله فليس ثم سوى حضرة النعيم وعذاب الجحيم ولكان عليه بخويصته
واستنقاذ مهجته وعمل صالح يستزيده وعلم نافع يفيده او يستفيده جبر الله صدع
قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر دواعينا فيما ينجينا و
يقربنا اليه تعالى زلفى ويحظينا بمنه ورحمته ولما نويت تقريبه ودرجت تبويبه
ومهدت تاصيله وخلصت تفصيله وانتحيت حصره وتحصيله ترجمته بالشفاء بتعريف
حقوق المصطفى وحصرت الكلام فيه في اقسام اربعة **القسم الاول** في تعظيم العلي
الاعلى لقدر هذا النبي قولا وفعلا وتوجه الكلام فيه في اربعة ابواب **الباب الاول**
في ثنائه تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول **الباب**
الثاني في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية
والدنيوية فيه نسقا وفيه سبعة وعشرون فصلا **الباب الثالث** فيما ورد
من صحيح الاخبار ومشهورها بتعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في
الدارين من كرامته وفيه اثنا عشر فصلا **الباب الرابع** فيما اظهره الله تعالى
على يديه من الايات والمعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات وفيه ثلثون
فصلا **القسم الثاني** فيما يجب على الانام من حقوقه عليه السلام ويترتب القول فيه
في اربعة ابواب **الباب الاول** في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع
سنته وفيه خمسة فصول **الباب الثاني** في لزوم محبته ومناصحته وفيه
ستة فصول **الباب الثالث** في تعظيم امره ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة
فصول **الباب الرابع** في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته
وفيه عشرة فصول **القسم الثالث** فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع

قيل كل من يعتريه النوم وقيل الانام الاناس وقيل الانام المخلوقات او جميع ما على وجه الارض ١٢

ونصح من الامور البشرية ان يضاف اليه وهذا القسم اكرمك الله تعالى هو سر الكتاب
ولباب ثمرة هذه الابواب وما قبله له كالقواعد والتمهيدات والدلائل على ما نورده فيه
من النكت البينات وهو الحاكم على ما بعده والمنجز من غرض هذا التاليف وعده وعند
التقصى لموعده والتفصى عن عهدته يشرق صدر العدو اللعين ويشرق قلب المؤمن
باليقين وتملاء انواره جوانح صدره ويقدر العاقل النبي حق قدره ويتحرر الكلام
فيه فى بابين **الباب الاول** فيما يختص بالامور الدينية ويتشبث به القول فى
العصمة وفيه ستة عشر فصلا **الباب الثانى** فى احواله الدنياوية وما يجوز
طروءه عليه من الاعراض البشرية وفيه تسعة فصول **القسم الرابع** فى تصرف
وجوه الاحكام على من تنقصه او سبه عليه السلام وينقسم الكلام فيه فى بابين **الباب
الاول** فى بيان ما هو فى حقه سب او نقص من تعريض او نص وفيه عشرة فصول **الباب
الثانى** فى حكم شانئه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته وذكر استتابته والصلاة عليه
ووراثته وفيه عشرة فصول وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسألة فى
وصلة للبابين اللذين قبله فى حكم من سب الله تعالى وملائكته ورسله وكتبه وآل
النبى صلى الله عليه وسلم وصحبه واختصر الكلام فيه فى خمسة فصول وبتمامها ينتجز
الكلام وتتم الاقسام والابواب ويلوح فى غرة الايمان لمعة منيرة وفى تاج التراجم
درة خطيرة تزيح كل لبس وتوضح كل تخمين وحدس وتشفى صدور قوم مؤمنين
وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين وبالله تعالى لا اله سواه استعين **القسم
الاول** فى تعظيم العلى الاعلى لقدر المصطفى قولا وفعلا **لا خفاء** على من مارس شيئا
من العلم او خص بادنى لمحة من فهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه السلام وخصوصه
اياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه
الالسنة والاقلام فمنها ما صرح به تعالى فى كتابه ونبه به على جليل نصابه واثنى به عليه

من اخلاقه واٰدابه وحضّ العباد على التّأسّي به وتقلّد ايجابه فكان جلّ جلاله هو الذي تفضّل واولى ثمّ طهّر وزكّى ثمّ مدح بذلك واثنى ثمّ اثاب عليه الجزاء الاوفى فله الفضل بدأً وعودًا والحمد اولى واخرى ومنها ما ابرزه للعيان من خلقه على اتمّ وجوه الكمال والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والاخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة والفضائل العديدة وتائيده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات البيّنة التي شاهدها من عاصره وراٰها من ادركه وعلمها علم يقين من جاء بعده حتى انتهى علم حقيقة ذلك الينا وفاضت انواره علينا صلّى الله عليه وسلّم كثيرًا

حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله قرأة منّي عليه ثنا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبّار وابو الفضل احمد بن خيرون قالا نا ابو يعلي البغدادي نا ابو علي السنجي نا محمد بن احمد بن محبوب نا ابو عيسى بن سورة الحافظ نا اسحٰق بن منصور نا عبد الرزاق انا معمر عن قتادة عن انس ان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم اتي بالبراق ليلة اسري به ملجمًا مسرجًا فاستصعب عليه فقال له جبرئيل أبمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه قال فارفضّ عرقًا

الباب الاول

في ثنائه تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه اعلم ان في كتاب الله العزيز اٰيات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى وعدّ محاسنه وتعظيم امره وتنويه قدره اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا ذلك في عشرة فصول

الفصل الاول

فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن كقوله تعالى لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ اَنْفُسِكُمْ الاٰية قال السمرقندي وقرأ بعضهم من انفسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور بالضمّ اعلم الله تعالى المؤمنين او العرب او اهل مكّة او جميع الناس على اختلاف المفسّرين من المواجه بهذا الخطاب انه بعث فيهم رسولًا من انفسهم يعرفونه ويتحقّقون مكانه ويعلمون صدقه وامانته فلا يتّهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم وانه لم تكن في العرب قبيلة الا ولها

علی رسول الله صلی الله علیه وسلم ولادة او قرابة وكونه من اشرفهم وارفعهم وافضلهم
علی قراءة الفتح وهذه غاية المدح ثم وصفه بعد باوصاف حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من
حرصه علی هدايتهم ورشدهم واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضرهم في دنياهم واخراهم
وعزته عليه ورافته ورحمته بمؤمنيهم قال بعضهم اعطاه اسمين من اسمائه رؤف
رحيم ومثله في الاية الاخرى قوله لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا
من انفسهم الاية وفي الاية الاخرى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم وقوله
كما ارسلنا فيكم رسولا منكم وروى عن علي بن ابي طالب عنه عليه السلام في قوله
تعالى من انفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا قال ليس في ابائي من لدن ادم سفاح كلنا
نكاح قال ابن الكلبي كتبت للنبي صلی الله علیه وسلم خمسمائة ام فما وجدت فيهن سفاحا
ولا شيئا مما كان عليه الجاهلية وعن ابن عباس في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين
قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا وقال جعفر بن محمد علم الله عز وجل عجز خلقه عن
طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا انهم لا ينالون الصفو من خدمته فاقام بينه وبينهم
مخلوقا من جنسهم في الصورة البسه من نعته الرافة والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا
صادقا وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال من يطع الرسول فقد اطاع
الله وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال ابو بكر بن طاهر زين الله محمدا بزينة
الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شيء من رحمته
فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب الا ترى ان الله تعالى
يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكانت حياته رحمة ومماته رحمة كما قال صلى الله
عليه وسلم حياتي خير لكم وموتي خير لكم وكما قال صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله
رحمة بامة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا وقال السمرقندي رحمة للعالمين يعني
الجن والانس وقيل لجميع الخلق للمؤمن رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالامان من القتل

ورحمة للكافرين بتأخير العذاب قال ابن عباس هو رحمة للمؤمنين والكافرين اذ عوفوا
مما اصاب غيرهم من الامم المكذبة وحكى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبرئيل هل
اصابك من هذه الرحمة شئ قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثناء الله عز وجل
علىّ بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وروى عن جعفر بن محمد الصادق
في قوله فسلام لك من اصحاب اليمين اي بك انما وقعت سلامتهم من اجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم و
قال الله تعالى الله نور السموات والارض الاية قال كعب وابن جبير المراد بالنور الثاني هنا محمد صلى الله
عليه وسلم وهو قوله مثل نوره اي نور محمد صلى الله عليه وسلم وقال سهل بن عبد الله المعنى
الله هادي اهل السموات والارض ثم قال مثل نور محمد صلى الله عليه وسلم اذ كان
مستودعا في الاصلاب كمشكوة صفتها كذا واراد بالمصباح قلبه والزجاجة
صدره اي كانه كوكب دري لما فيه من الايمان والحكمة توقد من شجرة مباركة
اي من نور ابراهيم وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله يكاد زيتها يضئ اي تكاد
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل في هذه
الاية غير هذا والله اعلم وقد سماه الله تعالى في القرآن في غير هذا الموضع نورا وسراجا
منيرا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ومن هذا قوله الم نشرح لك
صدرك الى آخر السورة شرح وسع المراد بالصدر هنا القلب قال ابن عباس شرحه
بالاسلام وقال سهل بنور الرسالة وقال الحسن ملاه حكما وعلما وقيل معناه الم
نطهر قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس ووضعنا عنك وزرك الذي انقض
ظهرك قيل ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية وقيل
اراد ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل عصمناك و
لولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي ورفعنا لك ذكرك قال يحيى

بن ادم بالنبوة وقيل اذ ذكرت ذكرت معي في قول لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل في الاذان

هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته

عنده وكرامته عليه بان شرح قلبه للايمان والهداية ووسعه لوعي العلم وحمل

الحكمة ورفع عنه ثقل امور الجاهلية عليه وبغضه لسيرها وما كانت عليه بظهور

دينه على الدين كله وحط عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما نزل اليهم

وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعة ذكره وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة رفع

الله ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا يقول اشهد

ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وروى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه

وسلم قال اتاني جبريل فقال ان ربي وربك يقول تدري كيف رفعت ذكرك قلت الله و

رسوله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عطاء جعلت تمام الايمان بذكري معك

وقال ايضا جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني قال جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك

احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية واشار بعضهم في ذلك الى الشفاعة ومن ذكره معه

تعالى ان قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال واطيعوا الله والرسول وامنوا بالله

ورسوله فجمع بينهما بواو العطف المشركة فلا يجوز جمع هذا الكلام في غيره عليه السلام

حدثنا الشيخ ابو علي الحسين بن محمد الجياني الحافظ فيما اجازنيه وقراته على الثقة عنه

نا ابو عمر النمري نا ابو محمد بن عبد المؤمن نا ابو بكر بن داسة التمار نا ابو داود

السجستاني نا ابو الوليد الطيالسي نا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن

حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء

الله ثم شاء فلان قال الخطابي ارشدهم صلى الله عليه وسلم الى الادب في تقديم مشيئة

الله تعالى على مشيئة من سواه واختارها بثم التي هي للنسق والتراخي بخلاف الواو

التي هي للاشتراك ومثله الحديث الاخر ان خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم

فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
بئس خطيب القوم انت قم او قال اذهب قال ابو سليمان كره منه الجمع بين الاسمين بحرف
الكناية لما فيه من التسوية وذهب غيره الى انه انما كره له الوقوف على يعصهما وقول
ابي سليمان اصح لما روي في الحديث الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر
الوقوف على يعصهما وقد اختلف المفسرون واصحاب المعاني في قوله إنّ الله وملائكته
يصلّون على النبيّ هل يصلون راجعة الى الله تعالى والملائكة ام لا فاجازه بعضهم ومنعه
آخرون لعلة التشريك وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا الآية ان الله يصلي وملائكته
يصلون وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك
طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال تعالى قل إن كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله الآيتين روي انه لما نزلت هذه الآية قالوا ان محمدا يريد ان
نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله تعالى قل اطيعوا الله والرسول فقرن
طاعته بطاعته رغما لهم وقد اختلف المفسرون في معنى قوله في ام الكتاب اهدنا
الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم فقال ابو العالية والحسن البصري
الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه حكاه
عنهما ابو الحسن الماوردي وحكى مكي عنهما نحوه وقال هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وحكى ابو الليث السمرقندي مثله عن ابي العالية
في قوله صراط الذين انعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح و
حكى الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد و
حكى ابو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة
الوثقى انه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاسلام وقيل شهادة التوحيد وقال سهل
في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم

وقال تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون الآية أكثر المفسرين
على أن الذي جاء بالصدق هو محمد صلى الله عليه وسلم قال بعضهم وهو الذي صدق به
وقرئ صدق به بالتخفيف وقال غيرهم الذي صدق به المؤمنون وقيل أبو بكر وقيل
علي وقيل غير هذا من الأقوال وعن مجاهد في قوله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب
قال بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم

الفصل الثاني

في وصفه له تعالى بالشهادة و
ما تعلق بها من الثناء والكرامة قال الله تعالى يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا الآية جمع الله تعالى له في هذه الآية ضروبا من رتب الأثرة وجملة
أوصاف من المدحة فجعله شاهدا على أمته لنفسه بإبلاغهم الرسالة وهي من خصائصه
صلى الله عليه وسلم ومبشرا لأهل طاعته ونذيرا لأهل معصيته وداعيا إلى توحيده
وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به للحق حدثنا الشيخ أبو محمد بن عتاب رحمه الله
ثنا أبو القاسم حاتم بن محمد ثنا أبو الحسن القابسي ثنا أبو زيد المروزي ثنا أبو
عبد الله محمد بن يوسف ثنا البخاري ثنا محمد بن سنان ثنا فليح ثنا هلال عن عطاء
بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت أخبرني عن صفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن
يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدي
ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة
السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله تعالى حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا
لا إله إلا الله ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وذكر مثله عن عبد الله
بن سلام وكعب الأحبار وفي بعض طرقه عن ابن إسحاق ولا صخب في الأسواق ولا متزين
بالفحش ولا قوال للخنا أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم وأجعل السكينة لباسه
والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف

خلق والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه
اهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة
واكثر به بعد القلة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واولف به بين قلوب
مختلفة واهواء متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس و
في حديث آخر اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته بالتوراة عبدي
احمد المختار مولده بمكة ومهاجره بالمدينة او قال طيبة امته الحمادون لله على كل
حال وقال تعالى الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الآية وقد قال تعالى فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ
اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ قال السمرقندي ذكرهم الله منته انه جعل رسوله رحيما بالمؤمنين
رؤفا لين الجانب ولو كان فظا خشنا في القول لتفرقوا من حوله ولكن جعله الله سمحا
سهلا طلقا برا لطيفا هكذا قاله الضحاك وقال تعالى وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا
لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وقال ابو الحسن القابسي
بان الله تعالى فضل نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل امته بهذه الآية وفي قوله في الآية
الاخرى وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وكذلك
قوله فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ الآية وقوله وسطا اي عدلا خيارا و
معنى هذه الآية وكما هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم امة خيارا
عدولا لتشهدوا للانبياء على اممهم ويشهد لكم الرسول بالصدق قيل ان الله جل
جلاله اذا سال الانبياء هل بلغتم فيقولون نعم فيقول اممهم ما جاءنا من بشير
ولا نذير فتشهد امة محمد للانبياء ويزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الآية
انكم حجة على كل من خالفكم والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندي وقال الله تعالى
وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قال قتادة والحسن وزيد بن اسلم
قدم صدق هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن ايضا هو

محبيهم بنبيهم صلى الله عليه وسلم وعن ابي سعيد الخدري هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وقال سهل بن عبد الله التستري هي سابقة رحمة اودعها في محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن علي الترمذي هو امام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد صلى الله عليه وسلم حكاه عنه السلمي

الفصل الثالث

فيما ورد من خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة من ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم قال ابو محمد مكي قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة اصلحك الله واعزك الله وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب حكى السمرقندي عن بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت لهم قال ولو بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام لكن الله تعالى برحمته اخبره بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين الصادق في عذره من الكاذب وفي هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب ومن اكرامه اياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الآية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله انه لو لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن لهم قال الفقيه القاضي ابو الفضل رضي الله عنه يجب على المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه ان يتأدب بأدب القرآن في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية وروضة الآداب الدينية والدنيوية وليتأمل هذه الملاطفة العجيبة في السؤال من رب الارباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع ويستثر ما فيها من الفوائد وكيف ابتدأ بالاكرام قبل العتب وآنس بالعفو قبل ذكر الذنب ان كان ثم ذنب وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا قال بعض المتكلمين عاتب الله الانبياء بعد الزلات وعاتب نبينا صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه ليكون

بذلك اشدّ انتهاء ومحافظة لشرائط المحبّة وهذه غاية العناية ثم انظر كيف بدأ
بثباته وسلامته قبل ذكر ما عاتبه عليه وخيف ان يركن اليه ففي اثناء عتبه برأته
وفي طيّ تخويفه تأمينه وكرامته ومثله قوله قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون
فانهم لا يكذّبونك الاية قال عليّ رضي الله عنه قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم
انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك الاية وروي
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبرئيل فقال ما يحزنك قال كذبني
قومي فقال انهم يعلمون انك صادق فانزل الله الاية ففي هذه الاية منزع لطيف المأخذ
من تسليته تعالى له عليه السلام والطافه في القول بان قرر عنده انه صادق عندهم وانهم
غير مكذبين ومعترفون بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الامين
فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين
فقال تعالى ولكن الظالمين بايات الله يجحدون فحاشاه من الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب
الايات حقيقة الظلم اذ الجحد انما يكون ممن علم الشيء ثم انكره كقوله تعالى وجحدوا بها
واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه وانسه بما ذكره عمن كان قبله ووعده
النصر بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك الاية فمن قرأ يكذبونك بالتخفيف
فمعناه لا يجدونك كاذبا وقال الفراء والكسائي لا يقولون انك كاذب وقيل لا يحتجون
على كذبك ولا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى الكذب وقيل لا يعتقدون
كذبك ومما ذكر من خصائصه وبرّه تعالى به ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء باسمائهم
فقال يا آدم يا ابراهيم يا نوح يا داود يا عيسى يا زكريا يا يحيى ولم يخاطب هو الا يا ايها
الرسول يا ايها النبي يا ايها المزمل يا ايها المدثر

الفصل الرابع في قسمه تعالى

بعظيم قدره قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اتفق اهل التفسير
في هذا انه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم واصله ضم العين

من النعيم ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد وقيل وعيشك وقيل

وحياتك فهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف قال ابن عباس ما خلق الله ولا ذرأ

وما برأ نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله اقسم بحياة احد غيره قال

قال ابو الجوزاء ما اقسم الله عز وجل بحياة احد غير محمد صلى الله عليه وسلم لانه اكرم

البرية عنده وقال تعالى يس والقرآن الحكيم الآيات اختلف المفسرون في معنى يس

على اقوال فحكى ابو محمد مكي انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي عند ربي عشرة

اسماء ذكر ان منها طه ويس اسمان له وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق

انه اراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس يس يا انسان

اراد يا انسان محمد صلى الله عليه وسلم وقال هو قسم وهو من اسماء الله تعالى وقال

الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان وعن ابن الحنفية يس يا محمد

وعن كعب يس قسم اقسم الله به قبل ان يخلق السماء والارض بالفي عام يا محمد انك

لمن المرسلين ثم قال والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين فان قدر انه من اسمائه صلى الله

عليه وسلم وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم ويؤكد فيه القسم

عطف القسم الآخر عليه وان كان بمعنى النداء فقد جاء قسم آخر بعده لتحقيق رسالته

والشهادة بهدايته اقسم تعالى باسمه وكتابه انه من المرسلين بوحيه الى عباده وعلى

صراط مستقيم من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش

لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيائه بالرسالة في كتابه الا له وفيه من تعظيمه وتمجيده

على تاويل من قال انه يا سيد ما فيه وقد قال عليه السلام انا سيد ولد آدم ولا فخر

وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه

بعد خروجك منه حكاه مكي وقيل لا زائدة اي اقسم به وانت به يا محمد حلال اي

حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة وقال الواسطي اي

يحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا وبركتك ميتا يعني المدينة والاول
اصح لان السورة مكية وما بعده يصححه قوله جل بهذا البلد ونحوه قول ابن عطاء في
تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين قال امنها الله بمقامه فيها وكونه بها فان كونه امان
حيث كان ثم قال ووالد وما ولد من قال اراد ادم عليه السلم فهو عام ومن قال هو ابراهيم
عليه السلام وما ولد فهي اشارة ان شاء الله تعالى الى محمد صلى الله عليه وسلم فتضمن السورة
القسم به في موضعين وقال تعالى الم ذلك الكتب قال ابن عباس هذه الحروف اقسام
اقسم الله بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك وقال سهل بن عبد الله التستري الالف
هو الله تعالى واللام جبرئيل والميم محمد صلى الله عليه وسلم وحكى هذا القول السمرقندي
ولم ينسبه الى سهل وجعل معناه الله انزل جبرئيل على محمد صلى الله عليه وسلم بهذا
القران لا ريب فيه وعلى الوجه الاول يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه
ثم فيه من فضيلة قران اسمه باسمه نحو ما تقدم وقال ابن عطاء في قوله تعالى ق
والقران المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة
ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله وقيل هو اسم للقران وقيل هو اسم لله وقيل جبل محيط بالارض وقيل غير هذا
وقال جعفر بن محمد في تفسير والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله عليه وسلم وقال النجم قلب
محمد صلى الله عليه وسلم انشرح من الانوار وقال انقطع عن غير الله وقال ابن عطاء
في قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لان منه تفجر الايمان

الفصل الخامس

في قسمه تعالى جده له ليحقق مكانته عنده قال جل اسمه و
الضحى والليل اذا سجى السورة اختلف المفسرون في سبب نزول هذه السورة فقيل كان
ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة في ذلك بكلام وقيل
بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة قال الفقيه القاضي الامام ابو الفضل
رحمه الله تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له وتنويهه به وتعظيمه اياه ستة وجوه

الاول القسم له عما اخبره من حاله بقوله والضحى والليل اذا سجى اى ورب الضحى
وهذا من اعظم درجات المبرة الثاني بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله ما ودعك
ربك وما قلى اى ما تركك وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك الثالث
قوله وللآخرة خير لك من الاولى قال ابن اسحاق اى مآلك فى مرجعك عند الله اعظم
مما اعطاك من كرامة الدنيا وقال سهل اى ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك
مما اعطيتك فى الدنيا الرابع قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه اية جامعة لوجوه
الكرامة وانواع السعادة وشتات الانعام فى الدارين والزيادة قال ابن اسحٰق يرضيه بالفلج
فى الدنيا والثواب فى الاخرة وقيل يعطيه الحوض والشفاعة وروى عن بعض آل النبى صلى
الله عليه وسلم انه قال ليس آية فى القرآن ارجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يدخل احد من امته النار الخامس ما عدّه الله تعالى عليه من نعمه وقرّره
من آلائه قبله فى بقية السورة من هدايته الى ما هداه له او هداية الناس به على اختلاف
التفاسير ولا مال له فاغناه بما آتاه او بما جعله فى قلبه من القناعة والغنى ويتيما فحدب
عليه عمه وآواه اليه وقد قيل آواه الى الله تعالى وقيل يتيما لا مثال لك فآواك اليه
وقيل المعنى الم يجدك فهدى بك ضالا واغنى بك عائلا وآوى بك يتيما ذكره بهذه المنن
وانه على المعلوم من التفسير لم يهمله فى حال صغره وعيلته ويتمه وقبل معرفته به ولا ودعه
ولا قلاه فكيف بعد اصطفائه واختصاصه السادس امره باظهار نعمته عليه
وشكر ما شرفه به بنشره واشارة ذكره بقوله واما بنعمة ربك فحدث فان من شكر
النعمة الحديث بها وهذا خاص له عام لامته وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى
من آيات ربه الكبرى اختلف المفسرون فى قوله والنجم باقاويل معروفة منها النجم
على ظاهره ومنها القرآن وعن جعفر بن محمد انه محمد صلى الله عليه وسلم وقال هو قلب
محمد صلى الله عليه وسلم وقد قيل فى قوله والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق

النجم الثاقب ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله عليه وسلم حكاه السلمي تضمنت هذه
الايات من فضله وشرفه العد ما يقف دونه العد اقسم جل اسمه على هداية المصطفى و
تنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلاه وانه وحي يوحى اوصله اليه عن الله جبريل وهو
الشديد القوى ثم اخبر تعالى عن فضيلته بقصة الاسراء وانتهائه الى سدرة المنتهى
وتصديق بصره فيما رأى وانه رأى من آيات ربه الكبرى وقد نبه على مثل هذا تعالى
في اول سورة اسراء ولما كان ما كاشفه عليه السلام من ذلك الجبروت وشاهده من
عجائب الملكوت لا تحيط به العبارات ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى
بالايماء والكناية الدالة على التعظيم فقال فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع من
الكلام يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحي والاشارة وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز
وقال تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى انحسرت الافهام عن تفصيل ما اوحى وتاهت
الاحلام في تعيين تلك الايات الكبرى قال القاضي ابو الفضل رحمه الله واشتملت هذه
الايات على اعلام الله تعالى بتزكية جملته صلى الله عليه وسلم وعصمتها من الآفات في
هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه قلبه بقوله ما كذب الفؤاد ما رأى
ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى وقال تعالى
فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم اقسم اي
اقسم انه لقول رسول كريم اي كريم عند مرسله ذي قوة على تبليغ ما حمله من
الوحي مكين اي متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل عنده مطاع ثم اي في السماء امين على
الوحي قال علي بن عيسى وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم فجميع الاوصاف
بعد على هذا له وقال غيره هو جبريل فترجع الاوصاف اليه ولقد رآه يعني محمدا قيل رأى
ربه وقيل رأى جبريل في صورته وما هو على الغيب بظنين اي بمتهم ومن قرأ بالضاد
فمعناه ما هو ببخيل بالدعاء به والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد صلى الله عليه وسلم

ولذا قال تعالى نٓ والقلم الآيات اقسم الله تعالى بما اقسم به من عظيم قسمه على تنزيه
المصطفى صلى الله عليه وسلم مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم له وانسه وبسط
امله بقوله محسنا خطابه مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وهذه نهاية المبرة في المخاطبة واعلى
درجات الآداب في المحاورة ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع لا يأخذه
عد ولا يمتن به عليه فقال وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ثم اثنى عليه بما منحه من هباته و
هداه اليه واكد ذلك تتميما للتمجيد بحرفي التاكيد فقال وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ قيل القرآن
وقيل الاسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك همة الا الله قال الواسطي اثنى عليه بحسن
قبوله لما اسداه اليه من نعمه وفضله بذلك على غيره لانه جبله على ذلك الخلق فسبحان
اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذي يسر للخير وهدى اليه ثم اثنى على فاعله وجازاه
عليه سبحانه ما اغمر نواله واوسع افضاله ثم سلاه عن قولهم بعد هذا بما وعده به من
عقابهم وتوعدهم بقوله فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ الثلاث الآيات ثم عطف بعد مدحه
على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه صلى الله
عليه وسلم فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ الى قوله
أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله سَنَسِمُهُ
عَلَى الْخُرْطُومِ فكانت نصرة الله له اتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه ابلغ من رده
واثبت في ديوان مجده **الفصل السادس** فيما ورد من قوله تعالى في جهته
عليه السلام مورد الشفقة والاكرام قال تعالى طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى
قيل طه اسم من اسمائه صلى الله عليه وسلم وقيل هو اسم لله وقيل معناه يا رجل و
قيل يا انسان وقيل هي حروف مقطعة لمعان قال الواسطي اراد يا طاهر يا هادي وقيل هو
امر من الوطء والهاء كناية عن الارض اي اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك
بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى نزلت الآية فيما كان

النبي صلى الله عليه وسلم بتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل أخبرنا القاضي أبو عبد الله
محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي أبي الوليد الباجي إجازة ومن أصله نقلت نا
أبو ذر الحافظ نا أبو محمد الحموي نا إبراهيم بن خزيم الشاشي نا عبد بن حميد نا هاشم
بن القاسم عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى
قام على رجل ورفع الأخرى فأنزل الله تعالى طه يعني طأ الأرض يا محمد ما أنزلنا عليك
القرآن لتشقى ولا خفاء بما في هذا كله من الإكرام وحسن المعاملة وإن جعلنا طه
من أسمائه صلى الله عليه وسلم كما قيل أو جعلت قسما لحق الفضل بما قبله ومثل هذا
من نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا
بهذا الحديث أسفا أي قاتل نفسك لذلك غضبا أو غيظا أو جزعا ومثله قوله أيضا
لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ثم قال إن نشأ ننزل عليهم من السماء
آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ومن هذا الباب قوله فاصدع بما تؤمر وأعرض
عن المشركين إلى قوله ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون إلى آخر السورة
وقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية قال مكي سلاه تعالى بما ذكر وهون
عليه ما يلقى من المشركين وأعلمه أن من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله و
مثل هذه التسلية قوله تعالى وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ومن هذا
قوله تعالى كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون ○
عزاه الله بما أخبر به عن الأمم السالفة ومقالها لأنبيائهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك
عن محنته بمثله من كفار مكة وأنه ليس أول من لقي ذلك ثم طيب نفسه و
أبان عذره بقوله تعالى فتول عنهم أي أعرض عنهم فما أنت بملوم أي في أداء
ما بلغت وإبلاغ ما حملت ومثله قوله واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا أي اصبر
على أذاهم فإنك بحيث نراك ونحفظك سلاه الله بهذا في آي كثيرة من هذا المعنى

الفصل السابع فيما اخبر الله به في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته
على الانبياء وحظوة رتبته قوله تعالى وَإِذْ أَخَذَ اللّٰهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ
وَحِكْمَةٍ الى قوله مِنَ الشَّاهِدِينَ قال ابو الحسن القابسي استخص الله تعالى محمدا صلى الله
عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره ابانه به وهو ما ذكره في هذه الآية قال المفسرون اخذ الله الميثاق
بالوحي فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا ونعته واخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليؤمنن
به وقيل ان يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم وقوله ثم جاءكم الخطاب
لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث
وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه ونحوه عن السدي و
قتادة في آي تضمنت فضله من غير وجه واحد قال الله تعالى وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ
مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ الآية وقال إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ الى قوله
وَكِيلًا روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال في كلام بكى به النبي صلى الله عليه
وسلم فقال بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك آخر
الانبياء وذكرك في اولهم فقال وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ
الآية بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان
يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللّٰهَ وَأَطَعْنَا
الرَّسُولَا قال قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت اول الانبياء في الخلق وآخرهم
في البعث فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره قال السمرقندي في هذا تفضيل
نبينا صلى الله عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو آخرهم المعنى اخذ الله عليهم الميثاق
اذ اخرجهم من ظهر آدم كالذر وقال تعالى تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ الآية قال
اهل التفسير اراد بقوله وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ محمدا صلى الله عليه وسلم لانه بعث

الى الاحمر والاسود واُحلّت له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات وليس احد من الانبياء
اُعطي فضيلة او كرامة الا وقد اُعطي محمد صلى الله عليه وسلم مثلها قال بعضهم ومن فضله
ان الله تعالى خاطب الانبياء باسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه فقال يا ايها النبي
ويا ايها الرسول وحكى السمرقندي عن الكلبي في قوله تعالى وان من شيعته
لابراهيم ان الهاء عائدة الى محمد صلى الله عليه وسلم اى ان من شيعة محمد
لابراهيم اى على دينه ومنهاجه واجازه الفراء وحكاه عنه مكي وقيل المراد نوح عليه
السلام

الفصل الثامن

في اعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته له ورفع
العذاب بسببه قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اى ما كنت بمكة فلما
خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وبقي من بقي فيها من المؤمنين نزل وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون وهذا مثل قوله لو تزيلوا الاية وقوله ولولا رجال مؤمنون
الاية فلما هاجر المؤمنون نزلت وما لهم الا يعذبهم الله وهذا من ابين ما يظهر مكانته
صلى الله عليه وسلم ودرئه العذاب عن اهل مكة بسبب كونه ثم كون اصحابه بعده بين
اظهرهم فلما خلت منهم مكة عذبهم بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم اياهم وحكّم
فيهم سيوفهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وفي الاية ايضا تأويل اخر حدثنا
القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله بقراءتي عليه نا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين
الصيرفي قالا نا ابو يعلى بن زوج الحرة نا ابو علي السنجي نا محمد بن محبوب المروزي
نا ابو عيسى الحافظ نا سفيان بن وكيع نا ابن نمير عن اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر
عن عباد بن يوسف عن ابي بردة بن ابي موسى عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انزل الله علي امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيكم الاستغفار ونحو منه قوله وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين قال عليه السلام انا امان لاصحابي قيل من البدع وقيل من الاختلاف

قوله لا ان بعثت به بسببه لاسعادهم وموجب لاسلام معاشهم ومعادهم وكونه رحمة للكفار وابل فسادهم استيصالهم من الخسف والمسخ ونحو ذلك الاستيصال في بلادهم

والفتن قال بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الامان الاعظم ما عاش وما دامت
سنته باقية فهو باق فاذا اميتت سنته فانتظر البلاء والفتن وقال الله تعالى ان الله
وملائكته يصلون على النبي الآية ابان الله تعالى فضل نبيه صلى الله عليه وسلم بصلوته
عليه ثم بصلاة ملائكته وامر عباده بالصلاة والتسليم عليه فالصلوة من الملائكة ومنا له
دعاء ومن الله رحمة وقيل يصلون يباركون وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم حين علم الصلوة
عليه بين لفظ الصلوة والبركة وسنذكر حكم الصلوة عليه وقد حكى ابو بكر بن
فورك ان بعض العلماء تأول قوله عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلوة على هذا اي في
صلوة الله تعالى علي وملائكته وامره الامة بذلك الى يوم القيامة وذكر بعض المتكلمين في
تفسير حروف كهيعص ان الكاف من كاف اي كفاية الله لنبيه صلى الله عليه وسلم
قال أليس الله بكاف عبده والهاء هدايته له قال ويهديك صراطا مستقيما والياء تأييده له
قال وايدك بنصره والعين عصمته له قال والله يعصمك من الناس والصاد صلاته
عليه قال ان الله وملائكته يصلون على النبي وقال تعالى وان تظاهرا عليه فان الله
هو مولاه الآية مولاه اي وليه وناصره وصالح المؤمنين قيل الانبياء وقيل الملائكة و
قيل ابو بكر وعمر وقيل علي وقيل المؤمنون على ظاهره

الفصل التاسع

فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق
ايديهم تضمنت هذه الآيات من فضله والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته
لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء اليه فابتدأ جل جلاله باعلامه بما قضاه له من
القضاء البين بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه مغفور
له غير مؤاخذ بما كان وما يكون قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اي انك مغفور
لك وقال مكي جعل المنة سببا للمغفرة وكل من عنده لا اله غيره منة بعد منة وفضلا
بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر لك وقيل بفتح مكة والطائف

وقيل يرفع ذكرك في الدنيا وينصرك ويغفر لك فاعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع مستكبري
عدوه له وفتح اشهر البلاد عليه واحبها له ورفع ذكره وهدايته الصراط المستقيم المبلغ
الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز ومنته على امته المؤمنين بالسكينة والطمانينة
التي جعلها في قلوبهم وبشارتهم بما طويعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم و
الستر لذنوبهم وهلاك عدوه في الدنيا والآخرة ولعنهم وبعدهم من رحمته وسوء
منقلبهم ثم قال إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا الاية فعدد محاسنه وخصائصه
من شهادته على امته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم وقيل شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا
لامته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا عدوه بالعذاب وقيل محذرا من الضلالات
ليؤمن بالله ثم به من سبقت له من الله الحسنى وتعزروه اى تجلونه وقيل تنصرونه
وقيل تبالغون في تعظيمه وتوقروه اى تعظموه وقراه بعضهم تعززوه بزايين من
العز والاكثر والاظهر ان هذا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال وتسبحوه فهذا راجع
الى الله تعالى قال ابن عطاء جمع للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة نعم مختلفة
من الفتح المبين وهو من اعلام الاجابة والمغفرة وهي من اعلام المحبة وتمام النعمة
وهي من اعلام الاختصاص والهداية وهي من اعلام الولاية فالمغفرة تبرئة من العيوب
وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة والهداية وهي الدعوة الى المشاهدة وقال
جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه واقسم بحياته ونسخ به شرايع
غيره وعرج به الى المحل الاعلى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى وبعثه
الى الاسود والاحمر واحل له ولامته الغنائم وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد ادم
وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله احد ركني التوحيد ثم قال إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ
إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يعني بيعة الرضوان اى انما يبايعون الله ببيعتهم اياك يَدُ اللَّهِ فَوْقَ
أَيْدِيهِمْ يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته وقيل عقده وهذه

استعارة وتجنيس في الكلام وتأكيد لعقد بيعتهم اياه وعظم شأن المبايع صلى الله عليه وسلم وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وان كان الاول في باب المجاز وهذا في باب الحقيقة لان القاتل والرامي بالحقيقة هو الله وهو خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومسببه ولانه ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملأ عينيه وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة وقد قيل في هذه الاية الاخرى انها على المجاز العربي ومقابلة اللفظ ومناسبته اي ما قتلتموهم وما رميتهم انت اذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع اي ان منفعة الرمي كانت من فعل الله فهو القاتل والرامي بالمعنى وانت بالاسم

الفصل العاشر

فيما اظهره الله تعالى في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده وما خصه به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك ما نصه تعالى من قصة الاسراء في سورة سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهده من العجائب ومن ذلك عصمته من الناس بقوله تعالى والله يعصمك من الناس وقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الاية وقوله الا تنصروه فقد نصره الله وما دفع الله به عنه في هذه القصة من اذاهم بعد تحزبهم لهلكه وخلوصهم نجيا في امره والاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه في الغار وما ظهر في ذلك من الايات ونزول السكينة عليه وقصة سراقة بن مالك حسبما ذكره اهل الحديث والسير في قصة الغار وحديث الهجرة ومنه قوله انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر اعلمه الله بما اعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة وقيل الخير الكثير وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة ثم اجاب عنه عدوه ورد عليه قوله فقال ان شانئك هو الابتر اي عدوك ومبغضك والابتر الحقير الذليل او المفرد الوحيد او الذي لا خير فيه وقال ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قيل السبع المثاني السور الطوال الاول والقرآن العظيم ام القرآن وقيل السبع المثاني ام القرآن والقرآن العظيم سائره وقيل السبع المثاني

ما في القرآن من امر ونهي وبشرى وانذار وضرب مثل واعداد نعم وآتيناك نبأ القرآن العظيم
وقيل سميت ام القرآن مثاني لانها تثنى في كل ركعة وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى
عليه وسلم وذخرها له دون الانبياء وسمى القرآن مثاني لان القصص تثنى فيه وقيل
السبع المثاني اكرمناك بسبع كرامات الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم
والسكينة وقال وانزلنا اليك الذكر الاية وقال وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا
ونذيرا وقال قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الاية قال فهذه من خصائصه
وقال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث محمدا
صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت الى الاحمر والاسود
وقال تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم قال اهل التفسير
اولى بالمؤمنين من انفسهم اي ما انفذه فيهم من امر فهو ماض عليهم كما يمضي حكم
السيد على عبده وقيل اتباع امره اولى من اتباع راي النفس وازواجه امهاتهم اي
هن في الحرمة كالامهات حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولانهن له
ازواج في الآخرة وقد قرئ وهو اب لهم ولا يقرأ به الآن لمخالفته المصحف وقال تعالى
وانزلنا عليك الكتاب والحكمة الاية قيل فضله العظيم بالنبوة وقيل بما سبق له في
الازل واشار الواسطي الى انها اشارة الى احتمال الرؤية التي لم يحتملها موسى صلى الله عليه
وسلم

الباب الثاني

في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل
الدينية والدنيوية فيه نسقا اعلم ايها المحب لهذا النبي الكريم الباحث عن تفاصيل جمل
قدره العظيم ان خصال الجلال والكمال في البشر نوعان ضروري دنيوي اقتضته
الجبلة وضرورة الحيوة الدنيا ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب الى الله زلفى ثم
هي على فنين ايضا منها ما يتخلص لاحد الوصفين ومنها ما يتمازج ويتداخل فاما الضروري
المحض فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال

مروءته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة قومه وكرم أرضه ويلحق به ما تدعو ضرورة حياته إليه من غذائه ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق هذه الخصال الآخرة بالأخروية إذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها وكانت على حدود الضرورة وقوانين الشريعة وأما المكتسبة الأخروية فسائر الأخلاق العلية والآداب الشرعية من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الأدب والمعاشرة وأخواتها وهي التي جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه الأخلاق ما هو في الغريزة وأصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا يكون فيه فيكتسبها ولكنه لا بد أن يكون فيه من أصولها في أصل الجبلة شعبة كما سنبينه إن شاء الله تعالى ويكون هذه الأخلاق دنيوية إذا لم يرد بها وجه الله والدار الآخرة ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق أصحاب العقول السليمة وإن اختلفوا في موجب حسنها وتفضيلها

فصل إذا كانت خصال الكمال والجلال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يتشرف بواحدة منها أو اثنتين إن اتفقت له في كل عصر إما من نسب أو جمال أو قوة أو علم أو حلم أو شجاعة أو سماحة حتى يعظم قدره وتضرب باسمه الأمثال ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب أثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال إلى ما لا يأخذه عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة إلا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء والإسراء والرؤية والقرب والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث إلى الأحمر والأسود والصلاة بالأنبياء والشهادة

بين الانبياء والامم وسيادة ولد آدم ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثم والامانة والهداية ورحمة للعالمين واعطاء الرضى والسؤل والكوثر وسماع القول واتمام النعمة والعفو عما تقدم وما تأخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة والتأييد بالملائكة وايتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقرآن العظيم وتزكية الامة والدعاء الى الله وصلوة الله والملائكة والحكم بين الناس بما اراه الله ووضع الاصر والاغلال عنهم والقسم باسمه واجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم واحياء الموتى واسماع الصم ونبع الماء من بين اصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس وقلب الاعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصا وابراء الالام والعصمة من الناس الى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه الا مانحه ذلك ومفضله به لا اله غيره الى ما اعد له في الدار الآخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول ويحار دون ادانيها الوهم

فصل اذا تقلت لك انه لا خفاء عن القطع بالجملة انه صلى الله عليه وسلم اعلى الناس قدرا واعظمهم محلا واكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت في تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا شوقني الى ان اقيد لها من اوصافه صلى الله عليه وسلم تفصيلا فاعلم نور الله قلبي وقلبك وضاعف في هذا النبي الكريم حبي وحبك انك اذا نظرت الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته حائزا جميعها محيطا بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع اما الصورة وجمالها وتناسب اعضائه في حسنها فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي وانس بن مالك وابي هريرة والبراء بن عازب وعائشة ام المؤمنين وابن ابي هالة وابي جحيفة وجابر بن سمرة وام معبد وابن عباس ومعرض بن معيقيب وابي الطفيل والعداء بن خالد وخريم بن فاتك

وحكيم بن حزام وغيرهم من انه صلى الله عليه وسلم كان ازهر اللون ادعج انجل اشكل
اهدب الاشفار ابلج ازج اقنى افلج مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية تملأ
صدره سواء البطن والصدر واسع الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام عبل
العضدين والذراعين والاسافل رحب الكفين والقدمين سائل الاطراف انور
المتجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس بالطويل البائن ولا القصير المتردد ومع ذلك
فلم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر اذا افتر
ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام واذا تكلم رئي كالنور يخرج
من بين ثناياه احسن الناس عنقا ليس بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن ضرب
اللحم قال البراء ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء احسن من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال ابو هريرة ما رأيت شيئا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري
في وجهه واذا ضحك يتلألأ في الجدر وقال جابر بن سمرة وقال له رجل كان وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وقالت
ام معبد في بعض ما وصفته به اجمل الناس من بعيد واحلاه واحسنه من قريب
وفي حديث ابن ابي هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال علي رضي الله
عنه في اخر وصفه له من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته
لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم والاحاديث في بسط صفته كثيرة مشهورة
فلا نطول بسردها وقد اختصرنا في وصفه نكت ما جاء فيها وجملة مما فيه الكفاية
في القصد الى المطلوب وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه هنالك
ان شاء الله تعالى **فصل** واما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الاقذار
وعورات الجسد فكان قد خصه الله تعالى في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم
تممها بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر وقال عليه الصلاة والسلام بني الدين على النظافة حدثنا سفيان

بن العاص وغير واحد قالوا نا احمد بن عمر نا ابو العباس الرازی نا ابو احمد الجلودی قال نا
ابن سفیان نا مسلم نا قتیبة نا جعفر بن سلیمان عن ثابت عن انس قال ما شممت عنبرا
قط ولا مسکا ولا شیئا اطیب من ریح رسول الله صلی الله علیه وسلم وعن جابر بن
سمرة انه صلی الله علیه وسلم مسح خده قال فوجدت لیده بردا وریحا کانما اخرجها من
جونة عطار قال غیره مسها بطیب او لم یمسها یصافح المصافح فیظل یومه یجد ریحها و
یضع یده علی راس الصبی فیعرف من بین الصبیان بریحها ونام رسول الله صلی الله علیه
وسلم فی دار انس فعرق فجاءت امه بقارورة تجمع فیها عرقه فسالها رسول الله صلی الله
علیه وسلم عن ذلک فقالت نجعله فی طیبنا وهو من اطیب الطیب وذکر البخاری فی تاریخه
الکبیر عن جابر لم یکن النبی صلی الله علیه وسلم یمر فی طریق فیتبعه احد الا عرف انه
سلکه من طیبه ذکر اسحق بن راهویه ان تلک کانت رایحته بلا طیب صلی الله علیه
وسلم وروی المزنی عن جابر رضی الله عنه قال اردفنی النبی صلی الله علیه وسلم
خلفه فالتقمت خاتم النبوة بفمی فکان ینم علی مسکا وقد حکی بعض المعتنین
باخباره وشمائله صلی الله علیه وسلم انه کان اذا اراد ان یتغوط انشقت الارض
فابتلعت غائطه وبوله وفاحت لذلک رائحة طیبة صلی الله علیه وسلم واسند محمد بن
سعد کاتب الواقدی فی هذا خبرا عن عایشة رضی الله عنها انها قالت للنبی صلی الله علیه
وسلم تاتی الخلاء فلا نری لک شیئا من الاذی فقال یا عایشة او ما علمت ان الارض تبتلع
ما یخرج من الانبیاء فلا یری منه شیء وهذا الخبر وان لم یکن مشهورا فقد قال قوم من اهل
العلم بطهارة الحدثین منه وهو قول بعض اصحاب الشافعی حکاه الامام ابو نصر بن الصباغ فی
شامله وقد حکی القولین عن العلماء فی ذلک ابو بکر بن سابق المالکی فی کتابه البدیع فی فروع المالکیة وتخریج ما لم
یقع لهم منها علی مذهبهم من تفاریع الشافعیة وشاهد هذا انه صلی الله علیه وسلم لم یکن منه
صلی الله علیه وسلم شیء یکره ولا غیر طیب ومنه حدیث علی رضی الله عنه قال غسلت

النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم اجد شيئاً فقلت طبت حياً

وميتاً قال وسطعت منه ريح طيبة لم نجد مثلها قط وقال ابو بكر رضي الله عنه حين قبّل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته

ومنه شرب مالك بن سنان دمه يوم أحد ومصّه اياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم ذلك

له وقوله لن تصيبه النار ومثله شرب عبد الله ابن الزبير دم حجامته فقال له رسول

الله صلى الله عليه وسلم ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكره عليه وقد روي

نحو من هذا عنه صلى الله عليه وسلم في امرأة شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك

ابداً ولم يأمر واحداً منهم بغسل فم ولا نهاه عن عوده وحديث هذه المرأة التي شربت

بوله صحيح الزم الدارقطني مسلماً والبخاري اخراجه في الصحيح واسم هذه المرأة

بركة واختلف في نسبها وقيل هي ام ايمن وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت

كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من

الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيئاً فسأل بركة عنه فقالت قمت وانا عطشانة

فشربته وانا لا اعلم روى حديثها ابن جريج وغيره وكان صلى الله عليه وسلم في بعض الروايات

قد ولد مختوناً مقطوع السرة وقد روي عن امه آمنة انها قالت ولدته نظيفاً ما به قذر وعن عائشة رضي الله

عنها قالت ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط وعن علي رضي الله عنه

قال اوصاني النبي صلى الله عليه وسلم لا يغسلني غيري فانه لا يرى

احد عورتي الا طمست عيناه وفي حديث عكرمة عن ابن عباس

رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط فقام وصلى ولم يتوضأ قال

عكرمة لانه صلى الله عليه وسلم كان محفوظاً **فصل** واما وفور عقله وذكاء لبه و

قوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية انه كان اعقل

الناس واذكاهم ومن تأمل تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة الخاصة و

العامة مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلاً عما افاضه من العلم وقرره من الشرع دون

لامطالعة للكتب منه لو يميز في رجحان عقله وثقوب فهمه لاول بديهة وهذا مما لا يحتاج
الى تقرير لتحققه وقد قال وهب بن منبه قرأت في احد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها
ان النبي صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رأيا وفي رواية اخرى فوجدت في
جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في جنب
عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل من بين رمال الدنيا وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا قام في الصلوة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله تعالى
وتقلبك في الساجدين وفي الموطأ عنه صلى الله عليه وسلم اني لاراكم من وراء ظهري
ونحوه عن انس في الصحيحين وعن عائشة مثله قالت زيادة زادها الله اياها في حجته وفي
بعض الروايات اني لانظر من وراءي كما انظر من بين يدي وفي اخرى اني لابصر من قفاي
كما ابصر من بين يدي وحكى بقي بن مخلد عن عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم
يرى في الظلمة كما يرى في الضوء والاخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله عليه وسلم
للملائكة والشياطين ورفع النجاشي له حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه
لقريش والكعبة حين بنى مسجده وقد حكي عنه انه كان يرى في الثريا احد عشر نجما
وهذه كلها محمولة على رؤية العين وهو قول احمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم
الى ردها الى العلم والظواهر تخالفه ولا احالة في ذلك وهي من خواص الانبياء وخصالهم
كما اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد العدل من كتابه نا ابو الحسن المقرئ الفرغاني
قال حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر عن ابيها نا الشريف ابو الحسن علي بن محمد الحسني
نا محمد بن محمد بن سعيد نا محمد بن احمد بن سليمان نا محمد بن محمد بن مرزوق نا همام نا
الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى
الله لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة
فراسخ ولا يبعد على هذا ان يختص نبينا صلى الله عليه وسلم بما ذكرناه من هذا الباب

بعد الاسراء والخطوة بما راى من ايات ربه الكبرى وقد جاءت الاخبار بانه صرع ركانة
اشد اهل وقته وكان دعاه الى الاسلام وصارع ابا ركانة فى الجاهلية وكان شديدا وعاوده
ثلث مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة ما رايت احدا
اسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مشيته كانما الارض تطوى له انا لنجهد
انفسنا وهو غير مكترث وفى صفته ان ضحكه كان تبسما اذا التفت التفت معا
واذا مشى مشى تقلعا كانما ينحط من صبب **فصل** واما فصاحة اللسان وبلاغة القول
فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذى لا يجهل سلاسة طبع
وبراعة منزع وايجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف اوتى
جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم السنة العرب فكان يخاطب كل امة منها بلسانها
ويحاورها بلغتها ويباريها فى منزع بلاغتها حتى كان كثير من اصحابه يسألونه
فى غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تامل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه
وليس كلامه مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذى المشعار الهمدانى
وطهفة النهدى وقطن بن حارثة العليمى والاشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندى
وغيرهم من اقيال حضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان ان لكم فراعها ووهاطها
وعزازها تاكلون علافها وترعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق
والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش
الحورى وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله لنهد اللهم بارك لهم فى محضها و
مخضها ومذقها وابعث راعيها فى الدثر وافجر له الثمد وبارك له فى المال والولد
من اقام الصلوة كان مسلما ومن آتى الزكوة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله
كان مخلصا لكم يا بنى نهد ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط فى الزكوة ولا تلحد
فى الحيوة ولا تثاقل عن الصلوات وكتب لهم فى الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش

وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس درّكم ما
لم تضمروا الرماق وتأكلوا الرباق من اقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة ومن
كتابه لوائل بن حجر الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب في التيعة شاة لا مقورة
الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنا من بكر فاصقعوه مائة و
استوفضوه عاما ومن زنا من ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في
فرائض الله وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على الاقيال اين هذا من كتابه لانس في
الصدقة المشهور لما كان كلام هؤلاء على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط واكثر
استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما
يعلمون وكقوله في حديث عطية السعدي فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي
المنطاة قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله في حديث العامري حين
ساله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سل عنك اي سل عما شئت وهي لغة بني عامر واما
كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد الف الناس فيها
الدواوين وجمعت في الفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى
بلاغة كقوله المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم
وقوله الناس كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له
والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم و
رحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم وقوله اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرتين
وان احبكم الي واقربكم مني مجالس يوم القيامة احاسنكم اخلاقا الموطؤون اكنافا الذين
يألفون ويؤلفون وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين
لا يكون عند الله وجيها ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع وهات
وعقوق الامهات ووأد البنات وقوله اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة

ثمها وخالق الناس بخلق حسن وخير الامور اوساطها وقوله احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وقوله الظلم ظلمات يوم القيامة وقوله في بعض دعائه اللهم اني اسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها امري وتلم بها شعثي وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها الفتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اني اسألك الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء الى ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وادعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف انه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق اليها ولا قدر احد ان يفرغ في قالبه عليها كقوله حمي الوطيس ومات حتف انفه ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره في اخواتها مما يدرك الناظر العجب في مضمنها ويذهب به الفكر في اداني حكمها وقد قال له اصحابه ما راينا الذي هو افصح منك فقال وما يمنعني وانما انزل القران بلساني لسان عربي مبين وقال مرة اخرى بيد اني من قريش ونشات في بني سعد فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها الى التاييد الالهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري وقالت ام معبد في وصفها له حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كان منطقه خرزات نظمن وكان جهير الصوت حسن النغمة صلى الله عليه وسلم

فصل واما شرف نسبه وكرم بلده ومنشاه فمما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه فانه نخبة بني هاشم وسلالة قريش وصميمها واشرف العرب وافضلهم واعزهم نفرا من قبل ابيه وامه ومن اهل مكة من اكرم بلاد الله تعالى على الله وعلى عباده حدثنا قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي رحمه الله نا القاضي ابو الوليد سليمان بن خلف نا ابو ذر عبد بن احمد نا ابو محمد السرخسي وابو اسحاق وابو الهيثم قالوا نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا قتيبة

بن سعيد نا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني ادم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت
منه وعن العباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل خلق الخلق فجعلني
من خيرهم من خير قرنهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني
من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني
كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم
قال الترمذي هذا حديث صحيح وفي حديث عن ابن عمر رواه الطبري انه صلى الله عليه وسلم
قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم بني ادم ثم اختار بني ادم فاختار منهم العرب ثم اختار
العرب فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار منهم بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني فلم
ازل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم و
عن ابن عباس ان قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق ادم بالفي عام يسبح
ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله ادم القى ذلك النور في صلبه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهبطني الله الى الارض في صلب ادم وجعلني في صلب نوح
وقذف بي في صلب ابراهيم ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الاصلاب الكريمة والارحام
الطاهرة حتى اخرجني بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس
المشهور في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

فصل

واما ما تدعو ضرورة الحياة اليه
مما فصلناه فعلى ثلاثة ضروب ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل في كثرته وضرب
تختلف الاحوال فيه فاما التمدح والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة كالغذاء
والنوم ولم تزل العرب والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل والشرب
دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والاخرة جالب لادواء

الحسد وخسارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة
مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف
وعدم الذكاء والفطنة مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة
القلب وغفلته وموته والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل متواترا
من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين واشعار العرب واخبارها وصحيح الحديث و
آثار من سلف وخلف مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه اختصارا واقتصارا على اشتهار العلم
به وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين بالاقل هذا ما لا يدفع من سيرته
وهو الذي امر به وحض عليه لا سيما لارتباط احدهما بالآخر حدثنا ابو علي الصدفي نفعنا
الله به نا ابو الفضل الاصبهاني نا ابو نعيم الحافظ نا سليمان بن احمد نا بكر بن سهل نا عبد الله
بن صالح نا معاوية عن صالح بن يحيى بن جابر عن المقدام بن معدي كرب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم اكلات يقمن
صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولان كثرة النوم
من كثرة الاكل والشرب قال سفيان الثوري بقلة الطعام يملك سهر الليل وقال بعض السلف
لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا وروي عنه عليه السلام انه كان احب
الطعام اليه ما كان على ضفف اي كثرة الايدي وعن عائشة رضي الله عنها لم يمتلئ
جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط وانه كان في اهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه
ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب لا يعترض من هذا بحديث بريرة وقوله الم
ار البرمة فيها لحم اذ لعل سبب سؤاله ظنه صلى الله عليه وسلم اعتقادهم انه لا يحل له
فاراد بيان سنته اذ راهم لم يقدموه اليه مع علمه انهم لا يستأثرون عليه به فصدق
عليهم ظنه وبين لهم ما جهلوه من امره بقوله عليه السلام هو لها صدقة ولنا هدية وفي
حكمة لقمان يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء

عن العبادة وقال سحنون لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع وفي صحيح الحديث قوله عليه السلام
اما انا فلا آكل متكئا والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعد في الجلوس له كالمتربع وشبهه من
تمكن الجلسات التي يعتمد عليها الجالس على ما تحته والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل
ويستكثر منه والنبي صلى الله عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز
مقعيا ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد فليس معنى الحديث
في الاتكاء الميل على شق عند المحققين وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا شهدت
بذلك الآثار الصحيحة ومع ذلك فقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وكان نومه على
جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم لانه على الجانب الايسر اهنأ لهدوء القلب وما يتعلق به
من الاعضاء الباطنة حينئذ لميلها الى الجانب الايسر فيستدعي ذلك الاستثقال فيه و
الطول واذا نام النائم على الجانب الايمن تعلق القلب وقلق فاسرع الافاقة ولم يغمره الاستغراق

فصل والضرب الثاني ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح والجاه اما النكاح
فمتفق فيه شرعا وعادة فانه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته عادة
معروفة والتمادح به سيرة ماضية واما في الشرع فسنة مأثورة وقد قال ابن عباس افضل
هذه الامة اكثرها نساء مشيرا اليه صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام تناكحوا فاني
مباه بكم الامم يوم القيامة ونهى عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر اللذين
نبه عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله من كان ذا طول فلينكح فانه اغض للبصر و
احصن للفرج حتى لم يره العلماء مما يقدح في الزهد قال سهل بن عبد الله قد حبب الي
سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد الصحابة كثيري
الزوجات والسراري كثيري النكاح وحكي في ذلك عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم غير شيء
وقد كره غير واحد ان يلقى الله عزبا فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل وهذا
يحيى بن زكريا قد اثنى الله عليه انه كان حصورا فكيف يثني الله عليه بالعجز عما تعده

فضيلة وهذا عيسى عليه السلام متبتل من النساء ولو كان كما قررناه لنكح فأما ثناء
الله تعالى على يحيى بانه كان حصورا فليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا او لا ذكر له بل انكر
هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا تليق بالانبياء صلوات
الله وسلامه عليهم وانما معناه انه معصوم من الذنوب اى لا ياتيها كانه حصر عنها وقيل
مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة فى النساء فقد بان لك من هذا ان عدم
القدرة على النكاح نقص وانما الفضل فى كونها موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة نفس كعيسى
او بكفاية من الله كيحيى فضيلة زائدة لكونها مشغلة فى كثير من الاوقات حاطة
الى الدنيا ثم هى فى حق من اقدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة
عليا وهى درجة نبينا صلى الله عليه وسلم الذى لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده
ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته اياهن بل صرح بانها
ليست من حظوظ دنياه هو وان كانت من حظوظ دنيا غيره فقال حبب الى من دنياكم فدل
ان حبه لما ذكر من النساء والطيب الذين من امور دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه
بل لآخرته للفوائد التى ذكرناها فى التزويج وللقاء الملائكة فى الطيب ولانه ايضا مما
يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه وكان حبه لهاتين الخصلتين لاجل غيره
وقمع شهوته وكان حبه الحقيقى المختص بذاته فى مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك
ميز بين الحبين وفصل بين الحالين فقال وجعلت قرة عينى فى الصلوة فقد ساوى صلى الله
عليه وسلم يحيى وعيسى فى كفاية فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن وكان عليه السلام
ممن اقدر على القوة فى هذا واعطى الكثير منه ولهذا ابيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره وقد
روينا عن انس انه صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسائه فى الساعة من الليل والنهار
وهن احدى عشرة قال انس وكنا نتحدث انه اعطى قوة ثلاثين خرجه النسائى وروى نحوه
عن ابى رافع وعن طاوس اعطى صلى الله عليه وسلم قوة اربعين رجلا فى الجماع ومثله عن

صفوان بن سليم وقالت سلمى مولاته طاف النبي صلى الله عليه وسلم ليلة على نسائه
التسع وتطهر من كل واحدة منهن قبل ان يأتي الاخرى وقال هذا اطيب واطهر وقد قال
سليمان عليه السلام لاطوفن الليلة على مائة امراة او تسع وتسعين وانه فعل ذلك
قال ابن عباس كان في ظهر سليمان عليه السلام ماء مائة رجل وكان له ثلاث مائة امراة
وثلاث مائة سرية وحكى النقاش وغيره سبع مائة امراة وثلاث مائة سرية وقد كان
لداود عليه السلام على زهده واكله من عمل يده تسع وتسعون امراة وتمت بزوج اوريا
مائة وقد نبه على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً
وفي حديث انس عنه عليه السلام فضلت على الناس باربع بالسخاء والشجاعة وكثرة
الجماع وقوة البطش واما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه في القلوب
وقد قال تعالى في صفة عيسى عليه السلام وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ لكن
آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الآخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده
وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الارض وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد رزق من
الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه و
يؤذون اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه خفية حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا
حاجته واخبارهم في ذلك معروفة سيأتي بعضها وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من
لم يره كما روي عن قيلة انها لما رأته ارعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث
ابي مسعود ان رجلا قام بين يديه فارعد فقال له عليه الصلوة والسلام هون عليك
فاني لست بملك الحديث واما عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وانافة
رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فامر هو مبلغ النهاية ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم
وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم باسره **فصل** واما الضرب الثالث فهو ما تختلف
فيه الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لاجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة

معلوم عند العامة لاعتقادها توصله به الى حاجاته وتمكن اغراضه بسببه والا فليس فضيلة
في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه
وامله وتصريفه في مواضعه مشتريا به المعالي والثناء الحسن والمنزلة في القلوب كان فضيلة
في صاحبه عند اهل الدنيا فاذا صرفه في وجوه البر وانفقه في سبيل الخير وقصد بذلك
الله تعالى والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير
موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف
به على جدد السلامة بل اوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فاذا التمدح بالمال
وفضيلته عند مفضليه ليست لنفسه وانما هو للتوصل به الى غيره وتصريفه في متصرفاته
فجامعه اذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه وجوهه غير ملي بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا ممتدح عند
احد من العقلاء بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه اذ ما بيده من المال الموصل
لها لم يسلط عليه فاشبه خازن مال غيره ولا مال له فكانه ليس في يده منه شيء والمنفق
ملي غني بتحصيله فوائد المال وان لم يبق في يده من المال شيء فانظر سيرة نبينا صلى الله
عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد اوتي خزائن الارض ومفاتيح البلاد واحلت له الغنائم
ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة
العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق وجلب اليه من اخماسها وجزيتها وصدقاتها
ما لا يجبى للملوك الا بعضه وهادته جماعة من ملوك الاقاليم فما استاثر بشيء منه ولا امسك
منه درهما بل صرفه مصارفه واغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال ما يسرني ان لي احدا
ذهبا يبيت عندي منه دينار الا دينارا ارصده لديني واتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها
بقية فدفعها لبعض نسائه فلم ياخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت ومات ودرعه
مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته
اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن

البرد الغليظ ويفتسم على من حضرة اقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضره

اذ المباهاة في الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات

النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمروة

جنسه مما لا يؤدي الى الشهرة في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه في العادة

عند الناس انما يعود الى الفخر بكثرة الموجود وفور الحال وكذلك التباهي بجودة المسكن

وسعة المنزل وتكثير الآلات وخدمه ومركوباته ومن ملك الارض وجبي اليه ما فيها فترك

ذلك زهدا وتنزها فهو حائز لفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة ان كانت فضيلة

زائدة عليها في الفخر ومعرق في المدح باضرابه عنها وزهده في فانيها وبذلها في مظانها

فصل واما الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة والآداب الشريفة اللتي اتفق جمهور

العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقها واثنى

الشرع على جميعها وامر بها ووعد بالسعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بانه

من اجزاء النبوة وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس واوصافها و

التوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم

على الانتهاء في كمالها والاعتدال في غايتها حتى اثنى الله تعالى بذلك فقال وانك لعلى خلق

عظيم قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه وقال

صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال انس رضي الله عنه كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه مثله وكان

فيما ذكره المحققون مجبولا عليها في اصل خلقته واصل فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة

الا بجود الهي وخصوصية ربانية وهكذا سائر الانبياء ومن طالع سيرهم منذ صباهم

الى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال عيسى وموسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم السلام

بل غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة واودعوا العلم والحكمة في الفطرة قال الله تعالى

وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا قال المفسرون اعطى الله يحيى العلم بكتاب الله في حال صباه وقال معمر كان ابن سنتين او ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال اللعب خلقت وقيل في قوله تعالى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ صدق يحيى بعيسى وهو ابن ثلاث سنين فشهد له انه كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو في بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له وقد نص الله تعالى على كلام عيسى لامه عند ولادها اياه بقوله لها أَلَّا تَحْزَنِي على قراءة من قرأ من تحتها وعلى قول من قال ان المنادي عيسى عليه السلام ونص على كلامه في مهده فقال إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وقال تعالى فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وقد ذكر عن حكم سليمان وهو صبي يلعب في قضية المرجومة وفي قصة الصبي ما اقتدى به داود ابوه وحكى الطبري ان عمره كان حين اوتي الملك اثنى عشر عاما وكذلك قصة موسى مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل وقال المفسرون في قوله وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ اي هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطاء اصطفاه قبل ابداء خلقه وقال بعضهم لما ولد ابراهيم عليه السلام بعث الله اليه ملكا يأمره عن الله ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك رشده وقيل ان القاء ابراهيم في النار ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة وان ابتلاء اسحق بالذبح كان وهو ابن سبع سنين وان استدلال ابراهيم بالكواكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا وقيل اوحى الله تعالى الى يوسف وهو صبي عندما هم اخوته بالقائه في الجب بقوله تعالى وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا الآية الى غير ذلك مما ذكر في اخبارهم وغيرهم وقد حكى اهل التفسير ان امنة بنت وهب اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد حين ولد باسطا يديه الى الارض رافعا راسه الى السماء وقال في حديثه لما نشأت بغضت الي الاوثان وبغض الي الشعر ولم اهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم اعد ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق انوار المعارف في قلوبهم

حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما وقد نجد غيرهم يطبع على بعض هذه الاخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت والشهامة او صدق اللسان والسماحة كما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا قد اختلف السلف هل هذا الخلق جبلة او مكتسبة فحكى الطبري عن بعض السلف ان الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن وبه قال هو والصواب ما اصلناه وقد روى سعد عن النبي عليه السلام قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديثه والجراءة والجبن غرائز يضعها الله حيث يشاء وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الجميلة كثيرة ولكنا نذكر اصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه عليه السلام بها ان شاء الله تعالى

فصل اما اصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل الذي منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي وجودة الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل وقد اشرنا الى مكانه منه صلى الله عليه وسلم وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة محله من ذلك ومما تفرع منه متحقق عند من تتبع مجاري احواله واطراد سيره وطالع جوامع كلمه وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه وعلمه بما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم الخالية وايامها وضرب الامثال وسياسات الانام وتقرير الشرائع وتأصيل الآداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم التي اتخذ اهلها كلامه عليه السلام فيها قدوة واشاراته حجة كعبارة

والطب والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك مما سنبينه في معجزاته عليه السلام
دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمائهم بل نبي امي
لم يعرف بشيء من ذلك حتى شرح الله صدره وابان امره وعلمه واقراه يعلم ذلك بالمطالعة
والبحث عن حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص و
آحاد القضايا اذ مجموعها ما لا يأخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله كانت معارفه
عليه السلام الى سائر ما علمه الله واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب قدرته و
عظيم ملكوته قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما حارت
العقول في تقدير فضله عليه وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك او ينتهي اليه

فصل واما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره وبين هذه الالقاب فرق
فان الحلم حالة توقر وثبات عند الاسباب المحركات والاحتمال حبس النفس عند الآلام و
المؤذيات ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة واما العفو فهو ترك المؤاخذة وهذا كله مما
ادب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال خذ العفو وأمر بالعرف الآية روي ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية سأل جبريل عن تأويلها فقال له حتى اسأل
العالم ثم ذهب فأتاه فقال يا محمد ان الله يأمرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك و
تعفو عمن ظلمك وقال له واصبر على ما اصابك الآية وقال تعالى فاصبر كما صبر أولو
العزم من الرسل وقال وليعفوا وليصفحوا الآية وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك
لمن عزم الامور ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله وان كل حليم قد عرفت منه زلة و
حفظت عنه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف
الجاهل الا حلما حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا حدثنا
محمد بن عتاب نا ابو بكر بن واقد القاضي وغيره نا ابو عيسى نا عبيد الله نا يحيى بن يحيى نا مالك عن
ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم

فی امرین قط الا اختار ایسرهما مالم یکن اثما فان کان اثما کان ابعد الناس منه وما انتقم

رسول الله صلی الله علیه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله فینتقم لله بها وروی

ان النبی صلی الله علیه وسلم لما کسرت رباعیته وشج وجهه یوم احد شق ذلك علی

اصحابه شدیدا وقالوا لو دعوت علیهم فقال انی لم ابعث لعانا ولکن بعثت داعیا و

رحمة اللهم اهد قومی فانهم لا یعلمون وروی عن عمر رضی الله عنه انه قال فی بعض کلامه

بابی انت وامی یا رسول الله لقد دعا نوح علی قومه فقال رب لا تذر علی الارض الایة ولو دعوت

علینا مثلها لهلکنا من عند اخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمی وجهك وکسرت رباعیتك

فابیت ان تقول الا خیرا فقلت اللهم اغفر لقومی فانهم لا یعلمون قال القاضی ابو الفضل

رحمه الله تعالی انظر ما فی هذا القول من جماع الفضل ودرجات الاحسان وحسن الخلق وکرم النفس

وغایة الصبر والحلم اذ لم یقتصر صلی الله علیه وسلم علی السکوت عنهم حتی عفا ثم اشفق

علیهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اللهم اغفر او اهد ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومی

ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم لا یعلمون ولما قال له الرجل اعدل فان هذه قسمة ما ارید بها

وجه الله تعالی لم یزده فی جوابه ان بین له ما جهله ووعظ نفسه وذکرها بما قال له فقال

ویحك فمن یعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل ونهی من اراد من اصحابه قتله

ولما تصدی له غورث بن الحارث لیفتك به ورسول الله صلی الله علیه وسلم منتبذ

تحت شجرة وحده قائلا والناس قائلون فی غزاة فلم ینتبه رسول الله صلی الله علیه وسلم

الا وهو قائم والسیف صلتا فی یده فقال من یمنعك منی فقال الله فسقط السیف من یده

فاخذه النبی صلی الله علیه وسلم وقال من یمنعك منی فقال کن خیر آخذ فترکه وعفا عنه

فجاء الی قومه فقال جئتکم من عند خیر الناس ومن عظیم خبره فی العفو عفوه عن الیهودیة

التی سمته فی الشاة بعد اعترافها علی الصحیح من الروایة وانه لم یواخذ لبید بن الاعصم

اذ سحره وقد اعلم به واوحی الیه بشرح امره ولا عتب علیه فضلا عن معاقبته وکذلك

لم يواخذ عبد الله بن ابي واشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته قولا وفعلا
بل قال لمن اشار بقتل بعضهم لا يتحدث ان محمدا يقتل اصحابه وعن انس كنت مع النبي صلى الله
عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه اعرابي بردائه جبذة شديدة حتى اثرت حاشية البرد في
صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك فانك لا تحمل لي من مالك ولا من مال ابيك
فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده ثم قال ويقاد منك يا اعرابي ما فعلت بي
قال لا قال لم قال لانك لا تكافئ بالسيئة السيئة فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم امر
ان يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر قالت عائشة رضي الله عنها ما رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله تعالى وما ضرب بيده
شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادما ولا امراة وجيء اليه برجل فقيل له هذا
اراد ان يقتلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن تراع لن تراع ولو اردت ذلك لم تسلط
علي وجاءه زيد بن سعنة قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ
بمجامع ثيابه واغلظ له ثم قال انكم يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر وشدد له في القول والنبي
صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وهو كنا الى غير هذا
منك احوج يا عمر تامرني بحسن القضاء وتامره بحسن التقاضي ثم قال لقد بقي من اجله ثلاث
وامر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان سبب اسلامه وذلك انه كان
يقول ما بقي من علامات النبوة شيء الا وقد عرفتها في محمد الا اثنتين لم اخبرهما يسبق
حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فاختبرته بهذا فوجدته كما وصف والحديث عن
حلمه عليه السلام وصبره وعفوه عند المقدرة اكثر من ان ناتي عليه وحسبك ما ذكرنا
مما في الصحيح والمصنفات الثابتة مما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاساة
قريش وذوي الجاهلية ومصابرة الشدائد الصعبة معهم الى ان اظفره الله تعالى عليهم
وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استئصال شأفتهم وابادة خضرائهم فما زاد على ان عفا و

صفوه وقال ما تقولون انى فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اقول كما قال اخى
يوسف لا تثريب عليكم اليوم الاية اذهبوا فانتم الطلقاء وقال انس رضى الله عنه هبط ثمانون رجلا من التنعيم
صلوة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم رسول الله فانزل الله تعالى وهو الذى
كف ايديهم عنكم الاية وقال لابى سفيان وقد سيق اليه بعد ان جلب اليه الاحزاب
وقتل عمه واصحابه ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه فى القول وقال ويحك يا ابا سفيان
الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابى انت وامى ما احلمك واوصلك واكرمك
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى صلى الله عليه وسلم

فصل واما الجود والكرم والسخاء والسماحة فمعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم
بينها بفروق فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه وسموه ايضا جرأة
وهو ضد النذالة والسماحة التجافى عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد
الشكاسة والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وهو ضد التقتير
فكان عليه الصلوة والسلام لا يوازى فى هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه
كل من عرفه حدثنا القاضى الشهيد ابو على الصدفى رحمه الله نا القاضى ابو الوليد
الباجى نا ابو ذر الهروى نا ابو الهيثم الكشميهنى وابو محمد السرخسى وابو اسحاق البلخى
قالوا انبانا ابو عبد الله الفربرى نا البخارى نا محمد بن كثير نا سفيان عن ابن المنكدر
قال سمعت جابر بن عبد الله يقول ما سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن شئ فقال لا و
عن انس وسهل بن سعد مثله وقال ابن عباس كان عليه الصلوة والسلام اجود
الناس بالخير واجود ما كان فى شهر رمضان وكان اذا لقيه جبريل عليه السلام اجود
بالخير من الريح المرسلة وعن انس ان رجلا ساله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى
بلده وقال اسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لا يخشى فاقة واعطى غير واحد مائة من
الابل واعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة وهذه كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل

ان يبعث وقد قال له ورقة بن نوفل انك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على
هوازن سباياها وكانوا ستة الاف واعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله وحمل
اليه تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ
منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال له
عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال رجل من
الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم النبي صلى الله
عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا امرت ذكره الترمذي وذكر عن معوذ بن
عفراء اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب يريد طبقا واجر زغب يريد قثاء
فاعطاني ملء كفه حليا وذهبا قال انس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد
وعن ابي هريرة ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله فاستسلف له رسول الله صلى
الله عليه وسلم نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه فاعطاه وسقا وقال نصفه قضاء ونصفه
نائل والخبر بجوده وكرمه صلى الله عليه وسلم كثير **فصل** واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة
فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها الى الموت حيث
يحمد فعلها دون خوف فكان النبي صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذي لا يجهل قد
حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال عنه غير مرة وهو صلى الله عليه وسلم ثابت
لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما من شجاع الا وقد احصيت له فرة وحفظت عنه
جولة سواه حدثنا ابو علي الجياني فيما كتب لي قال نا القاضي سراج نا ابو محمد الاصيلي
نا ابو زيد الفقيه نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا ابن بشار نا غندر نا شعبة
عن ابي اسحق سمع البراء وسأله رجل افررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال نعم لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رأيته على بغلته
البيضاء وابو سفيان آخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب

وزاد غيره انا ابن عبد المطلب قيل فما رأى يومئذ احد كان اشد منه وقال غيره نزل
النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته وذكره مسلم وعن العباس قال فلما التقى المسلمون
والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو
الكفار وانا آخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفيان آخذ بركابه ثم نادى
يا للمسلمين الحديث وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا
لله لم يقم لغضبه شيء قال ابن عمر ما رأيت اشجع ولا انجد ولا اجود ولا ارضى من رسول
صلى الله عليه وسلم وقال علي رضي الله عنه انا كنا اذا حمي البأس ويروى اشتد البأس
واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو
منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو
وكان من اشد الناس يومئذ بأسا وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم
اذا دنا العدو لقربه منه وعن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم احسن الناس واشجع
الناس واجود الناس لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لابي طلحة عري والسيف
في عنقه وهو يقول لن تراعوا وقال عمران بن حصين ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتيبة الا كان اول من يضرب ولما رآه ابي بن خلف يوم احد وهو يقول اين محمد لا نجوت
ان نجا وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدى يوم بدر عندي فرس اعلفها
كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل انا اقتلك ان شاء الله
فلما رآه يوم احد شد ابي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال
من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا اي خلوا طريقه وتناول الحربة من
الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير اذا انتفض
ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا

مرارا وقيل بل كسر ضلعا من اضلاعه فرجع الى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا بأس
بك فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم اليس قد قال انا اقتلك والله لو بصق علي لقتلني فمات
بسرف في قفولهم الى مكة **فصل** واما الحياء والاغضاء فالحياء رقة تعتري وجه الانسان
عند فعل ما يتوقع كراهيته او ما يكون تركه خيرا من فعله والاغضاء التغافل عما يكره الانسان
بطبيعته وكان النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس حياء واكثرهم عن العورات اغضاء
قال الله تعالى ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم الاية حدثنا ابو محمد بن عتاب رحمه الله
بقراءتي عليه ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد المروزي ثنا
محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبدان ثنا عبد الله ثنا شعبة عن قتادة قال سمعت عبد الله مولى
انس عن ابي سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء في
خدرها وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق
الظاهر لا يشافه احدا بما يكرهه حياء وكرم نفس وعن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا وكذا ولكن
يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله وروى انس انه دخل عليه
رجل به اثر صفرة فلم يقل له شيئا وكان لا يواجه احدا بما يكره فلما خرج قال لو قلتم له
يغسل هذا ويروى ينزعها قالت عائشة رضي الله عنها في الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه
وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو
ويصفح وقد حكي مثل هذا الكلام عن التوراة من رواية عبد الله بن سلام وعبد الله بن عمرو
بن العاص وروي عنه عليه السلام انه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه احد وانه
كان يكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره وعن عائشة رضي الله عنها ما رايت فرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم قط **فصل** واما حسن عشرته وادبه وبسط خلقه صلى الله عليه وسلم
مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت به الاخبار الصحيحة قال علي رضي الله عنه في وصفه عليه

كان اوسع الناس صدرا واصدق الناس لهجة والينهم عريكة واكرمهم عشرة حدثنا

ابو الحسن علی بن مشرف الانماطی فیما اجازنیه وقرأته علی غیره قال نا ابو اسحاق الحبال

قال انبانا ابو محمد بن النحاس نا ابن الاعرابی نا ابو داود نا هشام ابو مروان ومحمد بن المثنی

قالا انبانا الولید بن مسلم نا الاوزاعی قال سمعت یحیی بن ابی کثیر یقول حدثنی محمد بن عبد الرحمن

بن اسعد بن زرارة عن قیس بن سعد قال زارنا رسول الله صلی الله علیه وسلم وذکر قصة فی اخرها فلما اراد

الانصراف قرب له سعد حمارا وطأ علیه بقطیفة فرکب رسول الله صلی الله علیه وسلم ثم قال سعد یا قیس اصحب

رسول الله صلی الله علیه وسلم قال قیس فقال لی رسول الله صلی الله علیه وسلم ارکب

فابیت فقال اما ان ترکب واما ان تنصرف فانصرفت وفی روایة اخری ارکب امامی فصاحب

الدابة اولی بمقدمها وکان علیه الصلوة والسلام یؤلفهم ولا ینفرهم ویکرم کریم کل

قوم ویولیه علیهم ویحذر الناس ویحترس منهم من غیر ان یطوی عن احد منهم بشره

ولا خلقه ویتفقد اصحابه ویعطی کل جلسائه نصیبه لا یحسب جلیسه ان احدا اکرم علیه

من جالسه او قاربه لحاجة صابره حتی یکون هو المنصرف عنه ومن ساله حاجة لم یرده

الا بها او بمیسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده

فی الحق سواء بهذا وصفه ابن ابی هالة وکان دائم البشر سهل الخلق لین الجانب لیس بفظ

ولا غلیظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عیاب ولا مداح یتغافل عما لا یشتهی ولا یؤیس

منه وقال الله تعالی فبما رحمة من الله لنت لهم الایة وقال تعالی ادفع بالتی هی احسن

الایة وکان یجیب من دعاه ویقبل الهدیة ولو کانت کراعا ویکافئ علیها قال انس خدمت

رسول الله صلی الله علیه وسلم عشر سنین فما قال لی اف قط ولا قال لشیء صنعته لم صنعته

ولا لشیء ترکته لم ترکته وعن عائشة رضی الله عنها قالت ما کان احد احسن خلقا من رسول الله

صلی الله علیه وسلم ما دعاه احد من اصحابه ولا اهل بیته الا قال لبیک وقال جریر بن

عبد الله ما حجبنی رسول الله صلی الله علیه وسلم منذ اسلمت ولا رآنی الا تبسم

يسائل عن أصحابه ويأتيهم ويجاذبهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة
الحر والعبد والأمة والمسكين ويعود المرضى في أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر قال أنس
ما التقم أحد أذن النبي صلى الله عليه وسلم فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه
وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له وكان
يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة ولم ير قط مادا رجليه بين أصحابه حتى
يضيق بهما على أحد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي
تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها إن أبى ويكني أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم
تكرمة لهم ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي أو قيام ويروى بانتهاء أو
قيام وروي أنه كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وسأله عن حاجته
فإذا فرغ عاد إلى صلاته وكان أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن
أو يعظ أو يخطب قال عبد الله بن الحارث ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعن أنس قال كان خدم المدينة يأتون النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى الغداة
بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بآنية إلا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة
يريدون به التبرك **فصل** وأما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق فقد قال تعالى فيه
عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ وقال وَمَا أَرْسَلْنَاكَ
إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وقال بعضهم من فضله عليه الصلاة والسلام أن الله تعالى أعطاه
اسمين من أسمائه فقال الله تعالى بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ وحكى نحوه الإمام أبو بكر بن
فورك حدثنا الفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقراءتي عليه نا إمام الحرمين
أبو علي الطبري نا عبد الغافر الفارسي نا أبو أحمد الجلودي نا إبراهيم بن سفيان نا مسلم بن
الحجاج نا أبو الطاهر أخبرنا ابن وهب أخبرنا يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول الله صلى
الله عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن أمية

مائة عن النعم ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب فاخبرني سعيد بن المسيب ان صفوان قال والله
لقد اعطاني ما اعطاني وانه لابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي و
روي ان اعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فاعطاه ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا
اجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله و
ارسل اليه وزاده شيئا ثم قال احسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي انفس اصحابي من ذلك شئ فان
احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال نعم فلما
كان الغداة او العشي جاء فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم
انه رضي اكذلك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال عليه السلام مثلي ومثل هذا
مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها
خلوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها منكم واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام
الارض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم
حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وروي عنه عليه السلام انه قال لا يبلغني
احد منكم عن احد من اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر ومن شفقته
على امته عليه السلام تخفيفه عنهم وتسهيله عليهم وكراهته اشياء مخافة ان تفرض
عليهم كقوله عليه السلام لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك مع كل وضوء وتاخير
صلوة الليل ونهيهم عن الوصال وكراهته دخول الكعبة لئلا يعنت امته ورغبته لربه
ان يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم وانه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلوته ومن
شفقته صلى الله عليه وسلم ان دعا ربه وعاهده فقال ايما رجل سببته او لعنته فاجعل
ذلك زكاة له ورحمة وصلوة وطهورا وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة ولما كذبه قومه
اتاه جبرئيل فقال له ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال

لتأمره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت ان شئت ان
اطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل ارجوا ان يخرج الله من اصلابهم
من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا وروى ابن المنكدر ان جبريل قال للنبي صلى الله
عليه وسلم ان الله تعالى امر السماء والارض والجبال ان تطيعك فقال أخّر عن امتي
لعل الله ان يتوب عليهم قالت عايشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه
وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما وقال ابن مسعود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا وعن عايشة رضي الله عنها انها ركبت بعيرا و
فيه صعوبة فجعلت تردده فقال لها عليه السلام عليك بالرفق **فصل** واما خلقه صلى
الله عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فحدثنا القاضي ابو عامر محمد بن اسمعيل
بقراءتي عليه قال نا ابو بكر محمد بن محمد نا ابو اسحاق الحبال نا ابو محمد بن النحاس نا ابن الاعرابي
نا ابو داود نا محمد بن يحيى نا محمد بن سنان نا ابراهيم بن طهمان عن بديل عن عبد الكريم
بن عبد الله بن شقيق عن ابيه عن عبد الله بن ابي الحمساء قال بايعت النبي صلى الله
عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان آتيه بها في مكانه فنسيت ثم
ذكرت بعد ثلاث فجئت فاذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا ههنا منذ ثلاث
انتظرك وعن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتي بهدية قال اذهبوا بها الى بيت
فلانة فانها كانت صديقة لخديجة وانها كانت تحب خديجة وعن عايشة رضي الله عنها
قالت ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها وان كان ليذبح الشاة
فيهديها الى خلائلها واستأذنت عليه اختها فارتاح اليها ودخلت عليه امرأة فهش لها
واحسن السؤال عنها فلما خرجت قال انها كانت تأتينا ايام خديجة وان حسن العهد من
الايمان ووصفه بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه من غير ان يؤثرهم على من هو افضل
منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان آل ابي فلان ليسوا لي باولياء غير ان لهم رحما

سائلها ببلالها وقد صلى عليه السلام بامامة ابنت ابنته زينب يحملها على عاتقه فاذا
سجد وضعها واذا قام حملها وعن ابى قتادة قال وفد وفد للنجاشى فقام النبى صلى الله عليه
وسلم يخدمهم فقال له اصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين وانى احب
ان اكافيهم ولما جئ باخته من الرضاعة الشيماء فى سبايا هوازن وتعرفت له بسط لها
رداءه وقال لها ان احببت اقمت عندى مكرمة محببة او متعتك ورجعت الى قومك
فاختارت قومها فمتعها وقال ابو الطفيل رايت النبى صلى الله عليه وسلم وانا غلام اذ
اقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه فقالوا امه
التى ارضعته وعن عمرو بن السائب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا
يوما فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه فوضع لها
شق ثوبه من جانبه الاخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاجلسه بين يديه وكان يبعث الى ثويبة مولاة ابى لهب مرضعته بصلة
وكسوة فلما ماتت سال من بقى من قرابتها فقيل لا احد وفى حديث خديجة انها قالت
له عليه السلام ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم
وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق **فصل** واما تواضعه عليه السلام على علو
منصبه ورفعة رتبته فكان اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا وحسبك انه خير
بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل عليه
السلام عند ذلك فان الله قد اعطاك بما تواضعت له انك سيد ولد ادم يوم القيامة
واول من تنشق عنه الارض واول شافع حدثنا ابو الوليد بن العواد الفقيه رحمه الله
بقراءتى عليه فى منزله بقرطبة سنة سبع وخمس مائة قال نا ابو على الحافظ نا ابو عمرو
بن عبد البر نا ابن عبد المؤمن نا ابن داسة نا ابو داود نا ابو بكر بن ابى شيبة نا
عبد الله بن نمير عن مسعر عن ابى العنبس عن ابى العدبس عن ابى مرزوق عن ابى غالب

عن ابی امامة رضی الله عنه قال خرج علینا رسول الله صلی الله علیه وسلم متوکئا علی
عصی فقمنا الیه فقال لا تقوموا کما تقوم الاعاجم یعظم بعضهم بعضا وقال انما انا عبد
آکل کما یأکل العبد واجلس کما یجلس العبد وکان صلی الله علیه وسلم یرکب الحمار ویردف خلفه ویعود المساکین
ویجالس الفقراء ویجیب دعوة العبد ویجلس بین اصحابه مختلطا بهم حیث ما انتهی به المجلس
جلس وفی حدیث عمر رضی الله عنه لا تطرونی کما اطرت النصاری ابن مریم انما انا عبد فقولوا
عبد الله ورسوله وعن انس رضی الله عنه ان امرأة کان فی عقلها شیء جاءته فقالت
ان لی الیک حاجة قال اجلسی یا ام فلان فی ای طرق المدینة شئت اجلس الیک حتی
اقضی حاجتک قال فجلست فجلس النبی صلی الله علیه وسلم الیها حتی فرغت من حاجتها
قال انس رضی الله عنه کان رسول الله صلی الله علیه وسلم یرکب الحمار ویجیب دعوة
العبد وکان یوم بنی قریظة علی حمار مخطوم بحبل من لیف علیه اکاف قال وکان یدعی الی
خبز الشعیر والاهالة السنخة فیجیب قال وحج صلی الله علیه وسلم علی رحل رث وعلیه قطیفة
ما تساوی اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا ریاء فیه ولا سمعة هذا وقد فتحت علیه
الارض واهدی فی حجه ذلک مائة بدنة ولما فتحت علیه مکة ودخلها بجیوش المسلمین
طأطأ علی رحله رأسه حتی کاد یمس قادمته تواضعا لله تعالی ومن تواضعه صلی الله
علیه وسلم قوله لا تفضلونی علی یونس بن متی ولا تفضلوا بین الانبیاء ولا تخیرونی
علی موسی ونحن احق بالشک من ابراهیم ولو لبثت ما لبث یوسف فی السجن لاجبت الداعی
وقال للذی قال له یا خیر البریة ذاک ابراهیم وسیأتی الکلام علی هذه الاحادیث بعد هذا ان شاء الله تعالی
وعن عائشة رضی الله عنها والحسن وابی سعید وغیرهم رضوان الله علیهم فی صفته
صلی الله علیه وسلم وبعضهم یزید علی بعض کان فی بیته فی مهنة اهله یفلی ثوبه و
یحلب شاته ویرقع ثوبه ویخصف نعله ویخدم نفسه ویقم البیت ویعقل البعیر ویعلف
ناضحه ویأکل مع الخادم ویعجن معها ویحمل بضاعته من السوق وعن انس رضی الله عنه

ان كانت الامة من اماء اهل المدينة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق
به حيث شاءت حتى تقضي حاجتها ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة
فقال له هون عليك فاني لست بملك انما انا ابن امرأة من قريش تاكل القديد وعن
ابي هريرة رضي الله عنه دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل
وقال للوزان زن وارجح وذكر القصة قال فوثب الى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم ثم
اخذ السراويل فذهبت لاحمله فقال صاحب الشيء احق بشيئه ان يحمله

فصل

واما عدله صلى الله عليه وسلم وامانته وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله عليه وسلم آمن الناس واعدل الناس
واعف الناس واصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى
قبل نبوته الامين قال ابن اسحاق كان يسمى الامين بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة
وقال تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه محمد عليه السلام ولما اختلفت قريش
وتحازبت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا اول داخل عليهم فاذا بالنبي صلى الله عليه
وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد هذا الامين قد رضينا به وعن الربيع
بن خثيم كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الاسلام وقال
عليه السلام والله اني لامين في السماء امين في الارض حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ
بقراءتي عليه نا ابو الفضل بن خيرون نا ابو يعلى بن زوج الحرة نا ابو علي السنجي نا محمد بن
محبوب المروزي نا ابو عيسى الحافظ نا ابو كريب نا معاوية بن هشام عن سفيان عن
ابي اسحاق عن ناجية بن كعب عن علي رضي الله عنه ان ابا جهل قال للنبي صلى الله
عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك
الآية وروى غيره لا نكذبك وما انت فينا بمكذب وقيل ان الاخنس بن شريق لقي
ابا جهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمعنا كلامنا تخبرني عن

محمد صادق ام كاذب فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط وسأل هرقل
عنه ابا سفيان فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا وقال النضر بن
الحارث لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا واعظمكم
امانة حتى اذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر
وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك رقها وفي حديث
علي رضي الله عنه في وصفه عليه السلام اصدق الناس لهجة وقال في الصحيح ويحك
فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل قالت عائشة رضي الله عنها ما خير
رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان
ابعد الناس منه قال ابو العباس المبرد قسم الكسرى ايامه فقال يصلح يوم الريح للنوم
ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوائج قال ابن خالويه ما كان
اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون
ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزأ نهاره ثلاثة اجزاء جزأ لله وجزأ لاهله وجزأ
لنفسه ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول ابلغوا
حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها آمنه الله
يوم الفزع الاكبر وعن الحسن رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ
احدا بقرف احد ولا يصدق احدا على احد وذكر ابو جعفر الطبري عن علي رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير
مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى اكرمني الله
برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما
يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت اول دار من مكة اسمع عزفا بالدفوف والمزامير
لعرس بعضهم فجلست انظر فضرب على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس فرجعت

ولم اقص شيئا ثم عرا فى مرة اخرى مثل ذلك ثم لم اقصّ بعد ذلك بسوء **فصل**

واما وقاره صلى الله عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروته وحسن هديه فحدثنا

ابو على الجيانى الحافظ اجازة وعارضت بكتابه قال اخبرنا ابو العباس الدلائى نا ابو

ذر الهروى نا ابو عبد الله الوراق نا اللؤلؤى نا ابو داود نا عبد الرحمن بن سلام نا

حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن ابى الزناد عن عمر بن عبد العزيز عن وهيب قال سمعت خارجة

بن زيد رضى الله عنه يقول كان النبى صلى الله عليه وسلم اوقر الناس فى مجلسه

لا يكاد يخرج شيئا من اطرافه وروى ابو سعيد الخدرى كان عليه السلام اذا جلس فى

المجلس احتبى بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا وعن جابر بن

سمرة انه صلى الله عليه وسلم تربع وربما جلس القرفصاء وهو فى حديث قيلة وكان صلى

الله عليه وسلم كثير السكوت لا يتكلم فى غير حاجة يعرض عن من تكلم بغير جميل وكان

ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك اصحابه عنده التبسم

توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات

ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساءه كانما على رؤسهم الطير وفى صفته صلى

الله عليه وسلم يخطو تكفؤا ويمشى هونا كانما ينحط من صبب وفى الحديث الآخر اذا مشى

مشى مجتمعا يعرف فى مشيته انه غير غرض ولا وكل اى غير ضجر ولا كسلان وقال عبد الله

بن مسعود رضى الله عنه ان احسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن

عبد الله رضى الله عنهما كان فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل وترسيل

قال ابن ابى هالة كان سكوته عليه السلام على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر

قالت عائشة رضى الله عنها كان عليه السلام يحدث حديثا لو عده العاد احصاه وكان

عليه السلام يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملهما كثيرا ويحض عليهما ويقول

حبب الى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلوة ومن مروته صلى الله عليه وسلم

ونهيه عن النفخ في الطعام والشراب وبالأكل مما يليه والأمر بالسواك وإنقاء البراجم
والرواجب واستعمال خصال الفطرة فصل وأما زهده في الدنيا صلى الله عليه وسلم فقد
تقدم من الأخبار أثناء هذه السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله منها وإعراضه عن
زهرتها وقد سيقت إليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها إلى أن توفي عليه السلام و
درعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد
قوتا حدثنا سفيان بن العاص والحسين بن محمد الحافظ والقاضي أبو عبد الله التميمي
قالوا نا أحمد بن عمر قال نا أبو العباس الرازي قال نا أبو أحمد الجلودي نا ابن سفيان
نا مسلم أبو الحسين بن الحجاج نا أبو بكر بن أبي شيبة نا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم
عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة
أيام تباعا من خبز حتى مضى لسبيله وفي رواية أخرى من خبز شعير يومين متواليين
ولو شاء لأعطاه الله ما لا يخطر ببال وفي رواية أخرى ما شبع آل رسول الله صلى الله
عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله تعالى وقالت عائشة رضي الله عنها ما ترك رسول الله
صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفي حديث عمرو بن الحارث ما
ترك إلا سلاحه وبغلته وأرضا جعلها صدقة قالت عائشة رضي الله عنها ولقد مات
وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي وقال لي إني عرض علي أن تجعل لي
بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب أجوع يوما وأشبع يوما فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع
إليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك وفي حديث آخر
أن جبريل عليه السلام نزل عليه فقال له إن الله يقرئك السلام ويقول لك أتحب
أن أجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت فأطرق ساعة ثم قال يا جبريل
إن الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل
ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وعن عائشة رضي الله عنها قالت إن كنا آل محمد

ثلاث اشهر ما نوقد نارا ان هو الا التمر والماء وعن عبد الرحمن بن عوف هلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير وعن عايشة وابي امامة وابن عباس
نحوه قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت هو واهله الليالي المتتابعة
طاويا لا يجدون عشاء وعن انس قال ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان و
لا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة سميطا قط وعن عايشة رضي الله عنها انما كان
فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه ادما حشوه ليف وعن حفصة كان
فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه ليلة
باربع فلما اصبح قال ما فرشتموني الليلة فذكرنا له ذلك فقال ردوه بحاله فان وطاته
منعتني الليلة صلاتي وكان ينام احيانا على سرير مرمول بشريط حتى يوثر في جنبه و
عن عايشة رضي الله عنها قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم
يبث شكوى الى احد وكانت الفاقة احب اليه من الغنى وان كان ليظل جائعا يلتوي
طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الارض و
ثمارها ورغد عيشها ولقد كنت ابكي له رحمة مما ارى به وامسح بيدي على بطنه مما
ارى به من الجوع واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول
يا عايشة ما لي وللدنيا اخواني من اولي العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا
على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت
في معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم وما من شيء هو احب الي من اللحوق باخواني واخلائي
قالت فما اقام بعد الا شهرا حتى توفي صلوات الله وسلامه عليه فصل
واما خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثنا
ابو محمد بن عتاب قراءة مني عليه قال اخبرنا ابو القاسم الطرابلسي نا ابو الحسن القابسي
انا ابو زيد المروزي نا ابو عبد الله الفربري نا محمد بن اسمعيل نا يحيى بن بكير عن الليث

عن عُقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة رضي الله عنه كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا انتهى وفي روايتنا عن ابي عيسى الترمذي مرفوعا الى ابي ذر اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون أطّت السماء وحُقّ لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى لوددت اني شجرة تعضد ويروى هذا الكلام لوددت اني شجرة تعضد من قول ابي ذر نفسه وهو اصح وفي حديث المغيرة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفي رواية انه كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل له أتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا ونحوه عن ابي سلمة وابي هريرة رضي الله عنهما وقالت عايشة رضي الله عنها كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وايكم يطيق ما كان يطيق وقالت كان يصوم حتى تقول لا يفطر ويفطر حتى تقول لا يصوم ونحوه عن ابن عباس رضي الله عنه وام سلمة وانس وقالت كنت لا تشاء ان تراه من الليل مصليا الا رايته مصليا ولا نائما الا رايته نائما وقال عوف بن مالك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي فقمت معه فبدأ فاستفتح البقرة فلا يمر باية رحمة الا وقف فسال ولا يمر باية عذاب الا وقف وتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك وعن حذيفة مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه وقال حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وعن عائشة رضي الله عنها قام عليه الصلوة والسلام باية من القرآن ليلة وعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل قال ابن ابي هالة

كان صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة وقال عليه السلام
انى لاستغفر الله فى اليوم مائة مرة وروى سبعين مرة وعن على رضى الله عنه قال
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة رأس مالى والعقل اصل
دينى والحب اساسى والشوق مركبى وذكر الله انيسى والثقة كنزى والحزن رفيقى و
العلم سلاحى والصبر ردائى والرضا غنيمتى والعجز فخرى والزهد حرفتى واليقين قوتى
والصدق شفيعى والطاعة حسبى والجهاد خلقى وقرة عينى فى الصلوة وفى حديث آخر
وثمرة فؤادى فى ذكره وغمى لاجل امتى وشوقى الى ربى **فصل** قال المؤلف رحمه الله تعالى
اعلم وفقنا الله واياك ان صفات جميع الانبياء والرسل صلوات الله عليهم من كمال
الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن هى هذه الصفات لانها
صفات الكمال والكمال والتمام البشرى والفضل الجميع لهم صلوات الله عليهم اذ رتبهم
اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن فضل الله بعضهم على بعض قال الله تعالى
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقال
قال عليه الصلوة والسلام ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم قال
اخر الحديث على خلق رجل واحد على صورة ابيهم آدم صلى الله عليه وسلم طوله ستون
ذراعا فى السماء وفى حديث ابى هريرة رايت موسى فاذا هو رجل ضرب رجل اقنى كانه
من رجال شنوءة ورايت عيسى فاذا هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه احمر كانما خرج من
ديماس وفى حديث آخر مبطن مثل السيف قال وانا اشبه ولد ابراهيم به وقال فى حديث
آخر فى صفة موسى عليه السلام كاحسن ما انت راء من ادم الرجال وفى حديث ابى هريرة
رضى الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله تعالى من بعد لوط نبيا الا فى ذروة
من قومه ويروى فى ثروة اى كثرة ومنعة وحكى الترمذى عن قتادة ورواه الدارقطنى
من حديث قتادة عن انس ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت فكان نبيكم احسنهم

وجيهاً واحسنهم صوتاً وفي حديث هرقل وسألتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب
وكذلك الرسل تبعث في انساب قومها وقال تعالى في ايوب عليه السلام انا وجدناه صابراً
نعم العبد انه اواب وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث حياً
وقال ان الله يبشرك بيحيى مصدقاً الى قوله الصالحين وقال ان الله اصطفى آدم
ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين الايتين وقال في نوح انه كان عبداً
شكوراً وقال ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الاية وقال اني عبد الله
آتاني الكتاب الى قوله ما دمت حياً وقال يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا
موسى الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم كان رجلاً حيياً ستيراً ما يرى من جلده شيء
استحياء الحديث وقال تعالى عنه فوهب لي ربي حكماً الاية وقال في وصف جماعة
منهم اني لكم رسول امين وقال ان خير من استأجرت القوي الامين وقال فاصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا الى قوله
فبهداهم اقتده فوصفهم باوصاف جمة من الصلاح والهدى والحكم والاجتباء والنبوة
وقال فبشرناه بغلام عليم وحليم وقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم
رسول كريم الى قوله امين وقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقال في
اسمعيل انه كان صادق الوعد الايتين وفي موسى انه كان مخلصاً وفي سليمان
نعم العبد انه اواب وقال واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي
والابصار الى الاخيار وفي داود انه اواب ثم قال وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة
وفصل الخطاب وقال عن يوسف اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وفي موسى
ستجدني ان شاء الله صابراً وقال في شعيب ستجدني ان شاء الله من الصالحين
وقال وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت
وقال ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً وقال انهم كانوا يسارعون في الخيرات الاية وقال

سفيان هو الحزن الدائم في آي كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن اخلاقهم الدالة
على كمالهم وجاء من ذلك في الاحاديث كثير كقوله انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن
الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي وفي حديث انس
وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وروى ان سليمان عليه السلام كان
مع ما اعطي من الملك لا يرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا لله تعالى وكان يطعم الناس
لذائذ الاطعمة ويأكل خبز الشعير واوحى الله اليه يا رأس العابدين وابن محجة الزاهدين
وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده فيأمر الريح فتقف فينظر في حاجتها
ويمضي وقيل ليوسف مالك تجوع وانت على خزائن الارض قال اخاف ان اشبع فانسى
الجائع وروى ابو هريرة رضي الله عنه عليه السلام خفف على داود القرآن فكان يأمر بدابته
فتسرج فيقرأ القرآن قبل ان تسرج ولا يأكل الا من عمل يده قال الله تعالى والنا له
الحديد الآية وكان سأل ربه ان يرزقه عملا بيده ويغنيه عن بيت مال الله وقال عليه
الصلوة والسلام احب الصلوة الى الله صلاة داود واحب الصيام الى الله صيام داود
وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما وكان
يلبس الصوف ويفترش الشعر ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع
ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا بصره الى السماء حياء من ربه ولم يزل
باكيا حياته كلها وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت الدموع في
خده اخدودا وقيل كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيستمع الثناء عليه فيزداد
تواضعا وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت حمارا فقال انا اكرم على الله من ان
يشغلني بحمار وكان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولم يكن له بيت اينما ادركه النوم نام
كان احب الاسامي اليه ان يقال له مسكين وقيل ان موسى لما ورد ماء مدين
كانت ترى خضرة البقل في بطنه من الهزال وقال صلى الله عليه وسلم لقد كان الانبياء

قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم وقال عيسى عليه
السلام لخنزير لقيه اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال اكره ان اعود لساني النطق
بسوء وقال مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان يبكي من خشية الله حتى اتخذ الدمع
مجرى في خده وكان يأكل مع الوحش لئلا يخالط الناس وحكى الطبري عن وهب ان موسى عليه السلام
كان لا يستظل العريش وكان يأكل في نقرة من حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة تواضعا
لله تعالى بما اكرمه الله به من كلامه واخبارهم في هذا كله صلوات الله عليهم مسطورة وصفاتهم
في الكمال وجميل الاخلاق وحسن الصور والشمائل معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا تلتفت
الى ما تجده في كتب بعض جهلة المؤرخين والمفسرين مما يخالف هذا **فصل** قال المؤلف
رحمه الله قد اتيناك اكرمك الله من ذكر الاخلاق الحميدة والفضائل المجيدة وخصال الكمال
العديدة واريناك صحتها له صلى الله عليه وسلم وجلبنا من الآثار ما فيه مقنع والامر
اوسع فمجال هذا الباب في حقه عليه السلام ممتد ينقطع دون نفاده الادلاء وبحر
علم خصائصه زاخر لا تكدره الدلاء ولكنا اتينا فيه بالمعروف مما اكثره في الصحيح
والمشهور من المصنفات واقتصرنا في ذلك بقل من كل وغيض من فيض ورأينا ان نختم
هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن ابن ابي هالة لجمعه من شمائله واوصافه كثيرا
وادماجه جملة كافية من سيره وفضائله ونصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله
حدثنا القاضي ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله بقراءتي عليه سنة ثمان
وخمسمائة قال نا الامام ابو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي قرأت عليه اخبركم الفقيه
الاديب ابو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه ابو عبد الله
محمد بن احمد بن الحسن المحمدي والقاضي ابو علي الحسن بن علي بن جعفر الوحشي قالوا انا
ابو القاسم علي بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعي قال انا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي
قال انا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ قال نا سفيان بن وكيع نا جميع بن

عمر بن عبد الرحمن العجلي املاءً من كتابه قال ثنى رجل من بني تميم من ولد ابي هالة زوج خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها يكنى ابا عبد الله عن ابن لابي هالة عن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال سالت خالي هند بن ابي هالة قال القاضي ابو علي رحمه الله وقرأت على الشيخ ابي طاهر احمد بن الحسن بن احمد بن خداداذ الكرخي الباقلاني قال واجاز لنا الشيخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون قالا اخبرنا ابو علي الحسن بن احمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران الفارسي قراءةً عليه فاقرّ به قال اخبرنا ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى ابن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب المعروف بابن اخي طاهر العلوي قال نا اسمعيل بن محمد بن اسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب قال ثنى علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن اخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علي عن علي بن الحسين قال قال الحسن بن علي واللفظ لهذا السند سالت خالي هند بن ابي هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان وصّافا وانا ارجو ان يصف لي منها شيئا اتعلق به قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر اطول من المربوع واقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر ان انفرقت عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو وفّره ازهر اللون واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدرّه الغضب اقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله اشم كث اللحية ادعج العينين سهل الخدين ضليع الفم اشنب مفلج الاسنان دقيق المسربة كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادنا متماسكا سواء البطن والصدر مشيح الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس انور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك اشعر الذراعين والمنكبين واعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن

الكفين والقدمين سائل الاطراف او قال سائن الاطراف وسائر الاطراف سبط العصب
خمصان الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء اذا زال زال تقلعا ويخطو تكفؤا
ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا خافض
الطرف نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه و
يبدأ من لقيه بالسلام قلت له صف لي منطقه قال كان عليه السلام متواصل الاحزان
دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه
باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافي
ولا المهين يعظم النعمة وان دقت لا يذم شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام
لغضبه اذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اذا اشار
اشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها فضرب بابهامه اليمنى راحته
اليسرى واذا غضب اعرض واشاح واذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن
مثل حب الغمام قال الحسن فكتمتها عن الحسين بن علي زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقني اليه
فسأل اباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه وملبسه ومجلسه و
شكله فلم يدع منه شيئا قال الحسين سألت ابي رضي الله عنه عن دخول رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه مأذونا له في ذلك فكان اذا اوى الى
منزله جزأ دخوله ثلثة اجزاء جزأ لله تعالى وجزأ لاهله وجزأ لنفسه ثم جزأ جزأه بينه
وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا فكان من سيرته
في جزء الامة ايثار اهل الفضل باذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين فمنهم ذو الحاجة
ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما اصلحهم والامة من
مسألته عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغائب و
ابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغي حاجته فانه من ابلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع

بالا عنها اثبت الله قدميه يوم القيامة لا يذكر عنده الا ذلك ولا يقبل من احد غيره

قال في حديث سفيان بن وكيع يدخلون روادا ولا يتفرقون الا عن ذواق ويخرجون

ادلة يعني فقهاء قلت فاخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان رسول الله صلى

الله عليه وسلم يخزن لسانه الا فيما يعنيهم ويؤلفهم ولا يفرقهم يكرم كريم كل قوم ويوليه

عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد بشره وخلقه ويتفقد

اصحابه ويسأل الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه

معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا او يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر

عن الحق ولا يجاوزه الى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وافضلهم عنده اعمهم

نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة وموازرة فسألته عن مجلسه كيف

كان يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر

ولا يوطن الاماكن وينهى عن ايطانها واذا انتهى الى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس

ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه

من جالسه او قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من سأله حاجة لم يرده

الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده

في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى وفي الرواية الاخرى وصاروا عنده في

الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه

الحرم ولا تنثى فلتاته وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون فيه بالتقوى متواضعين

يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ويؤثرون ذا الحاجة ويرحمون الغريب فسألته

عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه قال كان عليه السلام دائم البشر سهل الخلق

لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح يتغافل

عما لا يشتهي ولا يؤيس منه قد ترك نفسه من ثلاث الرياء والاكثار وما لا يعنيه

وترك الناس من ثلاث كان لا يذم أحداً ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم إلا فيما
رجا ثوابه إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير وإذا سكت تكلموا لا يتنازعون
عنده الحديث من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ حديثهم عنده حديث أولهم يضحك مما
يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق ويقول إذا
رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فأرفدوه ولا يطلب الثناء إلا من مكافئ ولا يقطع على أحد
حديثه حتى يجوز فيقطعه بانتهاء أو قيام هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع وزاد
الآخر قلت كيف كان سكوته صلى الله عليه وسلم قال كان سكوته على أربع على الحلم و
الحذر والتقدير والتفكر فأما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس وأما تفكره
ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم في الصبر فكان لا يغضبه شيء يستفزه
وجمع له في الحذر أربع أخذه بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاده الرأي
بما أصلح أمته والقيام لهم بما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة صلى الله عليه وسلم ورضي
عن أصحابه أجمعين **فصل** في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله قوله المشذب أي
البائن الطول في نحافة وهو مثل قوله في الحديث الآخر ليس بالطويل الممغط والشعر الرجل
الذي كأنه مشط فتكسر قليلاً ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الرأس أراد إن
انفرقت من ذات نفسها فرقها وإلا تركها معقوصة ويروى عقيصته وأزهر اللون
نيره وقيل أزهر حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا أي زينتها وهذا كما قال في الحديث الآخر
ليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم والأمهق هو الناصع البياض والآدم الأسمر اللون
ومثله في الحديث الآخر أبيض مشرب أي فيه حمرة والحاجب الأزج المقوس الطويل
الوافر الشعر والأقنى السائل الأنف المرتفع وسطه والأشم الطويل قصبة الأنف و
القرن اتصال شعر الحاجبين وضده البلج ووقع في حديث أم معبد وصفه بالقرن
والأدعج الشديد سواد الحدقة وفي الحديث الآخر أشكل العين وأسجر العين وهي التي

في بياضهما حمرة والضليع الواسع والشنب رونق الأسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزيز فيها
كما يوجد في أسنان الشباب والفلج فرق بين الثنايا ودقيق المسربة خيط الشعر الذي
بين الصدر والسرة بادن ذو لحم ومتماسك معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا مثل
قوله في الحديث الآخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم أي ليس بمسترخي اللحم والمكلثم القصير
الذقن وسواء البطن والصدر أي مستويهما ومشيح الصدر إن صحت هذه اللفظة فتكون من
الإقبال وهو أحد معاني أشاح أي أنه كان بادي الصدر ولم يكن في صدره قعس وهو
تطامن فيه وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر أي ليس بمتقاعس الصدر ولا
مفاض البطن ولعل اللفظة مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع في الرواية
الأخرى وحكاه ابن دريد والكراديس رؤوس العظام وهو مثل قوله في الحديث الآخر
جليل المشاش والكتد والمشاش رؤوس المناكب والكتد مجتمع الكتفين وشثن الكفين و
القدمين لحيمهما والزندان عظما الذراعين وسائل الأطراف أي طويل الأصابع وذكر ابن
الأنباري أنه روي سائن الأطراف وقال سائن بالنون قال وهما بمعنى واحد تبدل اللام من
النون إن صحت الرواية بها وأما على الرواية الأخرى وسائر الأطراف فإشارة إلى فخامة
جوارحه كما وقعت مفصلة في الحديث ورحب الراحة أي واسعها وقيل كني به عن سعة العطاء
والجود وخمصان الأخمصين أي متجافي أخمص القدم وهو الموضع الذي لا تناله الأرض من وسط
القدم ومسيح القدمين أي أملسهما ولهذا قال ينبو عنهما الماء وفي حديث أبي هريرة خلاف
هذا قال فيه إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له أخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح
القدمين وبه قالوا سمي المسيح عيسى ابن مريم أي لم يكن له أخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما
وهذا أيضا يخالف قوله شثن القدمين والتقلع رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل إلى
سنن المشي وقصده والهون الرفق والوقار والذريع الواسع الخطو أي أن مشيه
كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه بخلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل

ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال كانما يتحطط من صبب فقيل له يفتح الكلام ويختمه باشداقه
اى ليستعمل فمه والعرب تتمادح بهذا وتذم بصغر الفم واستكره مال والقبض وحب العامة الذى
وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة اى جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة اليه فتوصل
عنه العامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها فى جزء آخر بالعامة ويدخلون روادا اى
محتاجين اليه وطالبين لما عنده ولا يتفرقون الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه ويشبه
ان يكون على ظاهره اى فى الغالب والاكثر والعتاد العدة والشئ الحاضر المعد والموازرة
المعاونة وقوله لا يوطن الاماكن اى لا يتخذ لصلاته موضعا معلوما وقد ورد نهيه عن
هذا مفسرا فى غير هذا الحديث وصابره اى حبس نفسه على ما يريد صاحبه ولا تؤبن
فيه الحرم اى لا يذكرن بسوء ولا تثنى فلتاته اى لا يتحدث بها اى لم تكن فيه فلتة و
ان كانت من احد سترت ويرفدون يعينون والسخاب الكثير الصياح وقوله لا يقبل
الثناء الا من مكافئ قيل من مقتصد فى ثنائه ومدحه وقيل الا من
مكافئ على يد سبقت من النبى صلى الله عليه وسلم ويستفزه يستخفه وفى حديث آخر
فى وصفه منهوس العقبين اى قليل لحمهما واهدب الاشفار اى طويل شعرها ✦

الباب الثالث

فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه
ومنزلته وما خصه به فى الدارين من كرامته عليه السلام لا خلاف انه صلوات الله و
سلامه عليه اكرم البشر وسيد ولد آدم وافضل الناس منزلة عند الله عز وجل واعلاهم درجة
واقربهم زلفى واعلم ان الاحاديث الواردة فى ذلك كثيرة جدا وقد قصرنا منها على صحيحها
ومنتشرها وحصرنا معانى ما اوردناه منها فى اثنى عشر فصلا

الفصل الاول

فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد
آدم وما خصه به فى الدنيا من مزايا الرتب والبركة اسمه الطيب اخبرنا الشيخ ابو محمد
عبد الله بن احمد العدل اذنا بلفظه قال اخبرنا ابو الحسن الفرغانى حدثتنا ام القاسم بنت

الباب الثالث من القسم الاول

ابی بکر بن یعقوب عن ابیہا نا حاتم و نا ابن عقیل عن یحیی هو ابن اسمعیل عن یحیی الثانی
نا قیس عن الاعمش عن عبایۃ بن ربعی عن ابن عباس رضی اللہ عنہما قال قال رسول اللہ
صلی اللہ علیہ وسلم ان اللہ قسم الخلق قسمین فجعلنی من خیرهم قسما فذلک قولہ عز وجل
الیمین و اصحب الشمال فانا من اصحاب الیمین وانا خیر اصحاب الیمین ثم جعل القسمین اثلاثا
فجعلنی من خیرها ثلثا وذلک قولہ واصحب المیمنۃ ما اصحب المیمنۃ واصحب المشئمۃ
ما اصحب المشئمۃ والسبقون السبقون فانا من السابقین وانا خیر السابقین
ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلنی من خیرها قبیلۃ وذلک قولہ وجعلنکم شعوبا وقبائل
الایۃ فانا اتقی ولد آدم واکرمهم علی اللہ ولا فخر ثم جعل القبائل بیوتا فجعلنی من خیرها
بیتا فذلک قولہ انما یرید اللہ لیذهب عنکم الرجس اهل البیت الایۃ وعن ابی سلمۃ
عن ابی هریرۃ قال قالوا یا رسول اللہ متی وجبت لک النبوۃ قال وآدم بین الروح والجسد
وعن واثلۃ بن الاسقع قال قال علیہ السلام ان اللہ اصطفی من ولد ابراهیم اسمعیل
واصطفی من ولد اسمعیل بنی کنانۃ واصطفی من بنی کنانۃ قریشا واصطفی من قریش
بنی هاشم واصطفانی من بنی هاشم ومن حدیث انس انا اکرم ولد آدم علی ربی ولا فخر
وفی حدیث ابن عباس انا اکرم الاولین والآخرین ولا فخر وعن عائشۃ رضی اللہ عنہا
عنہ علیہ السلام اتانی جبریل فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا
افضل من محمد صلی اللہ علیہ وسلم ولم ار بنی اب افضل من بنی هاشم وعن انس
ان النبی صلی اللہ علیہ وسلم اتی بالبراق لیلۃ اسری بہ فاستصعب علیہ فقال لہ جبریل
ابمحمد تفعل هذا فما رکبک احد اکرم علی اللہ منہ فارفض عرقا وعن ابن عباس رضی اللہ
عنہما لما خلق اللہ آدم اهبطنی الی الارض فی صلبہ وجعلنی فی صلب نوح فی السفینۃ
وقذف بی فی النار فی صلب ابراهیم ثم لم یزل ینقلنی فی اصلاب الکریمۃ الی الارحام الطاهرۃ
حتی اخرجنی بین ابوی لم یلتقیا علی سفاح قط والی هذا اشار العباس بن عبد المطلب

عنه فيه يقول نظم

مِن قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق
وانت لما ولدت اشرقت الارض وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق

وارَوى عنه عليه الصلوة والسلام ابو ذر وابن عمر وابن عباس وابو هريرة وجابر بن عبد الله انه صلى الله عليه وسلم قال اعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلوة فليصل واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وبعثت الى الناس كافة واعطيت الشفاعة وفي رواية بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه وفي رواية اخرى وعرض علي امتي فلم يخف علي التابع من المتبوع وفي رواية بعثت الى الاحمر والاسود قيل السود العرب لان الغالب على الوانهم الادمة فهم من السود والحمر العجم وقيل البيض والسود من الامم وقيل الحمر الانس والسود الجن وفي الحديث الاخر عن ابي هريرة نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم وبينا انا نائم اذ جئ بمفاتيح خزائن الارض فوضعت في يدي وفي رواية عنه وختم بي النبيون وعن عقبة بن عامر انه قال صلى الله عليه وسلم اني فرط لكم على الحوض وانا شهيد عليكم واني والله لانظر الى حوضي الان واني قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخاف عليكم ان تنافسوا فيها وعن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا محمد النبي الامي لا نبي

بعدي واوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمرو
بعثت بين يدي الساعة ومن رواية ابن وهب انه صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى
سل يا محمد فقلت يا رب ما اسأل اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت
نوحا واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فقال الله تعالى ما اعطيتك خير
من ذلك اعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء و
جعلت الارض طهورا لك ولامتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فانت
تمشي في الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت قلوب امتك
مصاحفها وخبأت لك شفاعتك ولم اخبأها لنبي غيرك وفي حديث اخر رواه حذيفة
بشرني يعني ربه اول من يدخل الجنة معي من امتي سبعون الفا مع كل الف سبعون
الفا ليس عليهم حساب واعطاني ان لا تجوع امتي ولا تغلب واعطاني النصر والعزة
والرعب يسعى بين يدي امتي شهرا وطيب لي ولامتي الغنائم واحل لنا كثيرا مما شدد على
من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج وعن ابي هريرة رضي الله عنه عنه عليه
الصلوة والسلام ما من نبي من الانبياء الا وقد اعطي من الايات ما مثله آمن عليه البشر
وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحى الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة
معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا وسائر معجزات الانبياء ذهبت للحين
ولم يشاهدها الا الحاضر لها ومعجزة القرآن يقف عليها قرن بعد قرن عيانا لا خبرا الى
يوم القيامة وفيه كلام يطول هذا نخبته وقد بسطنا القول فيه وفيما ذكر فيه سوى هذا
آخر باب المعجزات وعن علي كل نبي اعطي سبعة نجباء من امته واعطي نبيكم اربعة عشر
نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار وقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حبس
عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وانها لم تحل لاحد بعدي وانما احلت لي
ساعة من نهار وعن العرباض بن سارية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

انی عبداللہ وخاتم النبیین وان آدم لمنجدل فی طینتہ وعدۃ ابی ابراھیم وبشارۃ عیسیٰ
مریم وعن ابن عباس قال ان اللہ تعالیٰ فضل محمدا صلی اللہ علیہ وسلم علی اھل السموٰت وعلی الانبیاء
صلوات اللہ علیہم قالوا فما فضلہ علی اھل السماء قال ان اللہ تعالیٰ قال لاھل السموٰت ومن یقل
منھم انی الٰہ من دونہ الایۃ وقال لمحمد انا فتحنا لک فتحا مبینا الایۃ قالوا فما فضلہ
علی الانبیاء قال ان اللہ تعالیٰ وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومہ لیبین لھم
الایۃ وقال لمحمد وما ارسلناک الا کافۃ للناس وعن خالد بن معدان ان نفرا من اصحاب
رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم قالوا یا رسول اللہ اخبرنا عن نفسک وقد روی نحوہ عن ابی
ذر وشداد بن اوس وانس بن مالک فقال نعم انا دعوۃ ابی ابراھیم یعنی قولہ ربنا وابعث فیھم
رسولا منھم وبشر بی عیسیٰ ورأت امی حین حملت بی انہ خرج منھا نور اضاءلہ قصور بصری
من ارض الشام واسترضعت فی بنی سعد بن بکر فبینا انا مع اخ لی خلف بیوتنا نرعی
بہما لنا اذ جاءنی رجلان علیہما ثیاب بیض وفی حدیث اخر ثلاثۃ رجال بطست من ذھب
مملوءۃ ثلجا فاخذانی فشقا بطنی وقلبی وقال فی غیر ھذا الحدیث من نحری الی مراق بطنی
ثم استخرجا منہ قلبی فشقاہ فاستخرجا منہ علقۃ سوداء فطرحاھا ثم غسلا قلبی وبطنی
بذلک الثلج حتی انقیاہ وقال فی حدیث اخر ثم تناول احدھما شیئا فاذا بخاتم فی یدہ من
نور یحار الناظر دونہ فختم بہ قلبی فامتلأ ایمانا وحکمۃ ثم اعادہ مکانہ وامر الاخر یدہ
علی مفرق صدری فالتأم وفی روایۃ ان جبریل علیہ السلام قال قلب وکیع ای شدید
فیہ عینان تنظران واذنان تسمعان ثم قال احدھما لصاحبہ زنہ بعشرۃ من امتہ
فوزننی بھم فوزنتھم ثم قال زنہ بمائۃ من امتہ فوزننی بھم فوزنتھم ثم قال زنہ بالف
من امتہ فوزننی بھم فوزنتھم ثم قال دعہ عنک فلو وزنتہ بامتہ کلھا لوزنھا قال
فی الحدیث الاخر ثم ضموہ الی صدرہ وقبلوا رأسی وما بین عینی ثم قالوا یا حبیب
انک لو تدری ما یراد بک من الخیر لقرت عیناک وفی بقیۃ ھذا الحدیث من قولھم ما اکرمک

على الله ان الله صلى عليك وملائكته قال فى حديث ابى ذر فما هو الا ان وليا عنى فكانما ارى الامر معاينة وحكى ابو محمد المكى وابو الليث السمرقندى وغيرهما ان ادم عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر لى خطيئتى ويروى تقبل توبتى فقال الله تعالى له من اين عرفت محمدا قال رايت فى كل موضع من الجنة مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدى ورسولى فعلمت انه اكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند قائله تاويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمت فتاب عليه وفى رواية اخرى فقال آدم لما خلقتنى رفعت راسى الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله اليه وعزتى وجلالى انه لاخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان آدم يكنى بابى محمد وقيل بابى البشر وروى عن سريج بن يونس انه قال ان لله ملائكة سياحين عبادتهم كل دار فيها احمد او احمد اكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن قانع القاضى عن ابى الحمراء قال قال عليه الصلوة والسلام لما اسرى بى الى السماء اذا على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلى وفى التفسير عن ابن عباس فى قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن راى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدى ورسولى وعن ابن عباس على باب الجنة مكتوب انى انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله لا اعذب من قالها وذكر انه وجد على الحجارة القديمة مكتوب لا اله الا الله محمد رسول ونبى مصلح وسيد امين وذكر السمنطارى انه شاهد فى بعض بلاد خراسان مولودا ولد مكتوب على احد جنبيه لا اله الا الله وعلى الاخر محمد رسول الله وذكر الاخباريون ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوب عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله وروى عن جعفر بن محمد عن ابيه اذا كان يوم القيامة نادى مناد الا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه

عليه السلام وروى ابن القاسم في سماعه وابن وهب في جامعه عن مالك سمعت اهل مكة يقولون
ما من بيت فيه اسم محمد الا نما ورزقوا ورزق جيرانهم وعنه عليه السلام ما ضر احدكم ا ن
يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وعن عبد الله بن مسعود ان الله نظر الى قلوب العباد
فاختار منها قلب محمد عليه السلام فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته وحكى النقاش ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت وَمَا كَانَ لَكُمْ اَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللّٰهِ وَلَا اَنْ تَنْكِحُوا اَ
ازواجه الاية قام خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان ان الله فضلني عليكم تفضيلا و
فضل نسائي على نسائكم تفضيلا الحديث صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

فصل في تفضيله بما تضمنته كرامة الاسراء من المناجاة والرؤية وامامة الانبياء

والعروج به الى سدرة المنتهى وما رأى من آيات ربه الكبرى ومن خصائصه عليه الصلوة
والسلام قصة الاسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما نبه عليه الكتاب العزيز
وشرحته صحاح الاخبار قال الله تعالى سُبْحٰنَ الَّذِيْ اَسْرٰى بِعَبْدِهٖ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
الاية وقال وَالنَّجْمِ اِذَا هَوٰى الى قوله لَقَدْ رَاٰى مِنْ اٰيٰتِ رَبِّهِ الْكُبْرٰى فلا خلاف بين
المسلمين في صحة الاسراء به عليه السلام اذ هو نص القرآن وجاءت بتفصيله وشرح
عجائبه وخواص نبينا محمد عليه السلام فيه احاديث كثيرة منتشرة راينا ان نقدم اكملها
ونشير الى زيادة من غيره يجب ذكرها حدثنا القاضي الشهيد ابو علي والفقيه ابو بحر
بسماعي عليهما والقاضي ابو عبد الله التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا ثنا ابو العباس
العذري ثنا ابو العباس الرازي ثنا ابو احمد الجلودي نا ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا
شيبان بن فروخ ثنا حماد بن سلمة نا ثابت البناني عن انس بن مالك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل
يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي
تربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل بانا

من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح
جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا
فاذا انا بآدم صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية
فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه
قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلى الله
عليهما فرحبا ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا
فاذا انا بيوسف صلى الله عليه وسلم واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي
بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس فرحب بي ودعا لي بخير
قال الله ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهارون
فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى فرحب بي
ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم مسندا ظهره
الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي
الى سدرة المنتهى فاذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من
امر الله ما غشي تغيرت فما يستطيع احد من خلق الله ان ينعتها من حسنها فاوحى الله
الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلوة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض
ربك على امتك قلت خمسين صلوة قال ارجع الى ربك فسئله التخفيف فان امتك
لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل قبلك وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا
رب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال
ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فسئله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين
ربي تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلوة
عشر فذلك خمسون صلوة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها

كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة
قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه قال القاضي رضي الله عنه
جوّد ثابت رحمه الله هذا الحديث عن انس ما شاء فلم يأت احد عنه باصوب من هذا وقد خلط
فيه غيره عن انس تخليطا كثيرا لا سيما من رواية شريك بن ابي نمر فقد ذكر في اوله مجيء
الملك له وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا انما كان وهو صبي وقبل الوحي وقد قال شريك
في حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة الاسراء ولا خلاف انها كانت بعد الوحي
وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا وقد روى ثابت عن انس من
رواية حماد بن سلمة ايضا مجيء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان
عند ظئره وشقه قلبه تلك القصة مفردة من حديث الاسراء كما رواه الناس فجوّد في
القصتين وفي ان الاسراء الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة وانه
وصل الى البيت المقدس ثم عرج به من هنالك فازاح كل اشكال اوهمه غيره وقد روى عن ابن شهاب عن انس قال كان
ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي فنزل جبريل ففرج صدري
ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها في صدري ثم اطبقه
ثم اخذ بيدي فعرج بي الى السماء فذكر القصة وروى قتادة الحديث بمثله عن انس عن مالك بن
صعصعة وفيه تقديم وتأخير وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب الانبياء في السموات وحديث ثابت
عن انس اتقن واجود وقد وقعت في حديث الاسراء زيادات نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا منها
في حديث ابن شهاب فيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح الا آدم وابراهيم فقالا
والابن الصالح وفيه من طريق ابن عباس ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام
وعن انس ثم انطلق بي حتى اتيت سدرة المنتهى فغشيها الوان لا ادري ما هي قال ثم ادخلت الجنة
وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسى بكى فنودي ما يبكيك قال رب هذا

بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي وفي حديث ابي هريرة وقد رأيتني في جماعة
من الانبياء فحانت الصلوة فاممتهم فقال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت
فبدأني بالسلام وفي حديث ابي هريرة ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى صخرة
فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلوة قالوا يا جبرئيل من هذا الذي معك قال هذا محمد رسول
الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من اخ وخليفة فنعم
الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبياء فاثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهو
ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال
وان محمدا صلى الله عليه وسلم اثنى على ربه فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثني على ربي الحمد لله
الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي القرآن فيه تبيان كل شيء
وجعل امتي خير امة اخرجت للناس وجعل امتي امة وسطا وجعل امتي هم الاولون وهم
الاخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال
ابراهيم بهذا فضلكم محمد ثم ذكر انه عرج به الى السماء الدنيا ومن سماء الى سماء نحو ما تقدم
وفي حديث ابن مسعود وانتهى الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة اليها ينتهي ما
يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى
السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية ابي هريرة من طريق الربيع بن انس فقيل
لي هذه سدرة المنتهى ينتهي اليها كل احد من امتك خلا على سبيلك وهي السدرة المنتهى
يخرج من اصلها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين
وانهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وان ورقة منها مظلة
الخلق فغشيها نور وغشيتها الملائكة قال فهو قوله اذ يغشى السدرة ما يغشى فقال
تبارك وتعالى له سل فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى
تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان

ملكا عظيما وسخرت له الجن والانس والشياطين والرياح وعلمته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التورة
والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما
سبيل فقال له ربه تعالى قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التورية محمد حبيب الرحمن
الى الناس كافة وجعلت امتك هم الاولون وهم الآخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتى
يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا وآخرهم بعثا واعطيتك سبعا
من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها
نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي الرواية الاخرى قال فاعطي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلاثا اعطي الصلوات الخمس واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا
من امته المقحمات وقال ما كذب الفؤاد ما رأى الآيتين رأى جبريل في صورته له ستمائة
جناح وفي حديث شريك انه رأى موسى في السابعة قال بتفضيل كلام الله قال ثم علا به
فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله فقال موسى عليه السلام لم اظن ان يرفع علي احد وقد روي
عن انس انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء ببيت المقدس عن انس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه السلام فوكز بين
كتفي فقمت الى شجرة فيها مثل وكري الطائر فقعد في واحدة وقعدت في الاخرى
فسمت حتى سدت الخافقين ولو شئت لمسست السماء وانا اقلب طرفي ونظرت
جبريل كانه حلس لاطئ فعرفت فضل علمه بالله علي وفتح لي باب السماء ورأيت النور الاعظم ولط دوني
الحجاب وفرجه الدر والياقوت ثم اوحى الله الي ما شاء ان يوحي وذكر البزار عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق
فذهب يركبها فاستصعبت عليه فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك عبد اكرم على الله
من محمد فركبها حتى اتى بها الى الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من
الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق اني لاقر

الخلق مكاناً وان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر
الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله
فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا الله لا اله الا انا وذكر مثل هذا في بقية الاذان الا انه
لم يذكر جواباً عن قوله حي على الصلوٰة حي على الفلاح وقال ثم اخذ الملك بيد محمد صلى الله
عليه وسلم فقدمه فام اهل السماء فيهم آدم ونوح قال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين
روايه اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على اهل السموات والارض قال لقا
رضي الله عنه ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم
المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه على
ابصار خلقه وبصائرهم وادراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء كقوله كلا انهم
عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقوله في هذا الحديث الحجاب واذا خرج ملك من الحجاب يجب ان
يقال انه حجاب حجب به من وراءه من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه و
عظمته وعجائب ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث قول جبريل عن الملك الذي
خرج من وراءه ان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل ان هذا الحجاب
لم يختص بالذات ويدل عليه قول كعب في تفسير سدرة المنتهى قال اليها ينتهي علم الملائكة
وعندها يجدون امر الله لا يجاوزها علمهم واما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف
المضاف اي يلي عرش الرحمن او امراً ما من عظيم اياته او مبادي حقائق معارفه مما هو اعلم
كما قال تعالى واسئل القرية اي اهلها وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق انا اكبر فظاهره
انه سمع في هذا الموطن كلام الله ولكن من وراء الحجاب كما قال وما كان لبشر ان يكلمه
الله الا وحياً او من وراء حجاب اي وهو لا يراه حجب بصره عن رؤيته فان صح القول
بان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فيحتمل انه في غير هذا الموطن بعد هذا او قبله دفع الحجاب
عن بصره حتى رآه والله اعلم **فصل** ثم اختلف السلف والعلماء هل كان اسراء

بروحه او جسده على ثلاث مقالات فذهبت طائفة الى انه اسراء بالروح وانه رؤيا
منام مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء حق ووحي والى هذا ذهب معاوية وحكي عن الحسن والمشهور
عنه خلافه واليه اشار محمد بن اسحاق وحجتهم قوله تعالى وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ
وما حكوا عن عائشة ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا انا نائم
وقول انس وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال في آخرها فاستيقظت وانا بالمسجد
الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين الى انه اسراء بالجسد وفي اليقظة وهذا هو الحق وهو
قول ابن عباس وجابر وانس وحذيفة وعمر وابي هريرة ومالك بن صعصعة وابي حبة
البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد
والحسن وابراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو دليل قول عائشة وهو قول
الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين وهو قول اكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين
والمتكلمين والمفسرين وقالت طائفة كان الاسراء بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى السماء
بالروح واحتجوا بقوله سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ
الْأَقْصَى فجعل المسجد الاقصى غاية الاسراء الذي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف
النبي محمد به واظهار الكرامة له بالاسراء اليه قال هؤلاء ولو كان الاسراء بجسده الى زائد
على المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ في المدح ثم اختلفت هذه الفرقتان هل صلى ببيت المقدس
ام لا ففي حديث انس وغيره ما تقدم من صلوته فيه وانكر ذلك حذيفة بن اليمان وقال والله
ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا قال القاضي رضي الله عنه والحق من هذا والصحيح ان شاء
الله انه اسراء بالجسد والروح في القصة كلها وعليه تدل الآية وصحيح الاخبار والاعتبار
ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التأويل الا عند الاستحالة وليس في الاسراء بجسده و
حال يقظته استحالة اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله مَا زَاغَ الْبَصَرُ
وَمَا طَغَى ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه

فيه ولا ارتدّ به ضعفاء من أسلم وافتتنوا به إذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن
ذلك منهم إلا وقد علموا أن خبره إنما كان عن جسمه وحال يقظته إلى ما ذكر في الحديث
من ذكر صلوته بالأنبياء ببيت المقدس في رواية أنس أو في السماء على ما روى غيره وذكر
مجيء جبريل له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال ومن معك فيقول
محمد ولقائه الأنبياء فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشأنه في فرض الصلوة ومراجعته
مع موسى في ذلك وفي بعض هذه الأخبار فأخذ يعني جبريل بيدي فعرج بي إلى السماء
إلى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام وأنه وصل إلى سدرة المنتهى
وأنه دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره قال ابن عباس هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله
عليه وسلم لا رؤيا منام وعن الحسن فيه بينا أنا نائم في الحجر جاءني جبريل فهمزني بعقبه
فقمت فجلست فلم أر شيئا فعدت لمضجعي ذكر ذلك ثلاثا فقال في الثالثة فأخذ بعضدي
فجرّني إلى باب المسجد فإذا بدابة وذكر خبر البراق وعن أم هانئ ما أسري برسول الله صلى الله
عليه وسلم إلا وهو في بيتي تلك الليلة صلى العشاء الآخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر
أهبّنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا قال يا أم هانئ لقد
صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه
ثم صليت الغداة معكم الآن كما ترون وهذا بيّن في أنه بجسمه وعن أبي بكر من رواية
شداد بن أوس عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به طلبتك يا رسول الله
البارحة في مكانك فلم أجدك فأجابه أن جبريل حمله إلى المسجد الأقصى وعن عمر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة أسري بي في مقدم المسجد ثم دخلت
الصخرة فإذا بملك قائم معه آنية ثلاث وذكر الحديث وهذه التصريحات ظاهرة غير
مستحيلة فتحمل على ظاهرها وعن أبي ذر عنه صلى الله عليه وسلم فرج سقف بيتي وأنا
بمكة فنزل جبريل فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم إلى آخر القصة ثم أخذ بيدي

فعرج بي وعن انس اتيت فانطلق بي الى زمزم فشرح عن صدري وعن ابي هريرة لقد رايتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن اشياء لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لي انظر اليه ونحوه عن جابر وقد روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث الاسراء عنه عليه الصلوة والسلام انه قال ثم رجعت الى خديجة وما تحولت عن جانبها

فصل في ابطال حجج من قال انها نوم احتجوا بقوله وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس فسماها رؤيا قلنا قوله سبحان الذي اسرى يرده لانه لا يقال في النوم اسرى وقوله فتنة للناس يؤيد انها رؤية عين واسراء بشخص اذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب به احد لان كل احد يرى مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة واحدة في اقطار متباينة على ان المفسرين قد اختلفوا في هذه الاية فذهب بعضهم الى انها نزلت في قضية الحديبية وما وقع في نفوس الناس من ذلك وقيل غير هذا واما قولهم انه قد سماها في الحديث مناما وقوله في حديث آخر بين النائم واليقظان وقوله ايضا وهو نائم وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك اليه كان وهو نائم او اول حمله والاسراء به وهو نائم وليس في الحديث انه كان نائما في القصة كلها الا ما يدل عليه ثم استيقظت وانا في المسجد الحرام فلعل قوله استيقظت اصبحت او استيقظ من نوم آخر بعد وصوله بيته ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليله وانما كان في بعضه وقد يكون قوله استيقظت وانا في المسجد الحرام لما كان غمره من عجائب ما طالع من ملكوت السموات والارض وخامر باطنه من مشاهدة الملأ الاعلى وما رأى من آيات ربه الكبرى فلم يستفق ويرجع الى حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام ووجه ثالث ان يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه اسري بجسده وقلبه حاضر ورؤيا الانبياء حق تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض اصحاب الاشارات الى نحو من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات عن الله ولا يصح هذا ان يكون في وقت صلوته بالانبياء ولعله كانت لهذا الاسراء

حالات ووجه رابع وهو ان يعبر بالنوم ههنا عن هيئة النائم من الاضطجاع ويقويه
قوله في رواية عبد بن حميد عن همام بينا انا نائم وربما قال مضطجع وفي رواية هدبة عنه
بينا انا نائم في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الاخرى بين النائم واليقظان
فيكون سمى هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات
من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة في هذا الحديث انما هي من رواية شريك
عن انس وهي منكرة من روايته اذ شق البطن في الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره عليه
السلام وقبل النبوة ولانه قال في الحديث قبل ان يبعث والاسراء باجماع كان بعد المبعث
فهذا كله يوهن ما وقع في رواية انس مع ان انسا قد بين من غير طريق انه انما رواه عن
غيره وانه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي
كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة كان ابو ذر يحدث واما قول
عايشة ما فقدت جسده فعايشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن حينئذ زوجة و
لا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الاسراء متى كان فان الاسراء
كان في اول الاسلام على قول الزهري ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عايشة
في الهجرة بنت نحو ثمانية اعوام وقد قيل كان الاسراء لخمس قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة بعام
والاشبه انه لخمس والحجة لذلك تطول ليست من غرضنا فاذا لم تشاهد ذلك عايشة
دل على انها حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على خبر غيرها وغيرها يقول خلافه مما
وقع نصا في حديث ام هانئ وغيره وايضا فليس حديث عايشة بالثابت والاحاديث الاخر
اثبت لسنا نعني حديث ام هانئ وما ذكرت فيه خديجة وايضا فقد روي في حديث عايشة ما
فقدت ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم الا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذي يدل عليه
صحيح قولها انه بجسده لانكارها ان تكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها مناما
لم تنكره فان قيل فقد قال تعالى ما كذب الفؤاد ما راى فقد جعل ما راه للقلب وهذا يدل

وهو الجلّ وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع
دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولا حجة
لمن استدل على منعها بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف التاويلات في الاية و
اذ ليس يقتضي قول من قال في الدنيا الاستحالة وقد استدل بعضهم بهذه الاية نفسها
على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة وقد قيل لا تدركه ابصار الكفار وقيل لا تدركه
الابصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقد قيل لا تدركه الابصار وانما يدركه المبصرون
وكل هذه التاويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله لن تراني
الاية وقوله تبت اليك لما قدمناه ولانها ليست على العموم ولان من قال معناها لن تراني
في الدنيا انما هو تاويل وايضا فليس فيه نص على الامتناع وانما جاءت في حق موسى وحيث
تتطرق التاويلات وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع اليه سبيل وقوله تبت اليك
اي من سؤالي ما لم تقدره لي وقد قال ابو بكر الهذلي في قوله لن تراني اي ليس لبشر ان
يطيق ان ينظر الي في الدنيا وانه من نظر الي مات وقد رايت لبعض السلف والمتاخرين
ما معناه ان رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب اهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة
غرضا للآفات والفناء فلم تكن لهم قوة على الرؤية فاذا كان في الآخرة وركبوا تركيبا آخر
ورزقوا قوى ثابتة باقية واتم انوار ابصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية وقد رايت
نحو هذا لمالك بن انس رحمه الله قال لم ير في الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا
كان في الآخرة ورزقوا ابصارا باقية رأى الباقي بالباقي وهذا كلام حسن مليح وليس فيه
دليل على الاستحالة الا من حيث ضعف القدرة فاذا قوى الله سبحانه وتعالى من شاء
من عباده واقدره على حمل اعباء الرؤية لم تمتنع في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى
ومحمد عليهما السلام ونفوذ ادراكهما بقوة الهية منحاها لادراك ما ادركاه ورؤية ما رأياه والله
اعلم وقد ذكر القاضي ابو بكر في اثناء اجوبته عن الايتين ما معناه ان موسى عليه السلام

رای الله فلذلک خر صعقا وان الجبل رای ربه فصار دکا بادراک خلقه الله له واستنبط ذلک والله اعلم من قوله ولکن انظر الی الجبل فان استقر مکانه فسوف ترانی ثم قال فلما تجلی ربه للجبل جعله دکا وخر موسی صعقا وتجلیه للجبل هو ظهوره له حتی راه علی هذا القول و قال جعفر بن محمد شغله بالجبل حتی تجلی ولولا ذلک لمات صعقا بلا افاقة وقوله هذا یدل علی ان موسی راه وقد وقع لبعض المفسرین فی الجبل انه راه وبروية الجبل له یستدل من قال بروية محمد نبینا له اذ جعله دلیلا علی الجواز ولا مریة فی الجواز اذ لیس فی الایات نص بالمنع واما وجوبه لنبینا والقول بانه راه بعینه فلیس فیه قاطع ایضا ولا نص اذ المعول فیه علی ایتی النجم والتنازع فیهما ماثور والاحتمال لهما ممکن ولا اثر قاطع متواتر عن النبی صلی الله علیه وسلم بذلک وحدیث ابن عباس خبر عن اعتقاده لم یسنده الی النبی صلی الله علیه وسلم فیجب العمل باعتقاد مضمنه ومثله حدیث ابی ذر فی تفسیر الایة وحدیث معاذ محتمل للتاویل وهو مضطرب الاسناد والمتن وحدیث ابی ذر الاخر مختلف محتمل مشکل فروی نور انی اراه وحکی بعض شیوخنا انه روی نورانی اراه وفی حدیثه الاخر سالته فقال رایت نورا ولیس یمکن الاحتجاج بواحد منها علی صحة الروية فان کان الصحیح رایت نورا فهو قد اخبر انه لم یر الله وانما رای نورا منعه وحجبه عن روية الله تعالی والی هذا یرجع قوله نور انی اراه ای کیف اراه مع حجاب النور المغشی للبصر وهذا مثل ما فی الحدیث الاخر لم اره بعینی ولکن رایته بقلبی مرتین وتلا ثم دنی فتدلی والله قادر علی خلق الادراک الذی فی البصر فی القلب وکیف شاء لا اله غیره فان ورد حدیث نص بین فی الباب اعتقد ووجب المصیر الیه اذ لا استحالة فیه ولا مانع قطعی یرده والله تعالی الموفق

فصل واما ما ورد فی هذه القصة من مناجاته لله وکلامه معه بقوله فاوحی الی عبده ما اوحی الی ما تضمنته الاحادیث فاکثر المفسرین علی ان الموحی الله الی جبریل وجبریل الی محمد الا شذوذا منهم فذکر عن جعفر بن محمد الصادق قال اوحی الله تعالی الیه بلا واسطة ونحوه

عن الواسطي وإلى هذا ذهب بعض المتكلمين أن محمداً كلم ربه في الإسراء وحكي عن الأشعري
وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وأنكره آخرون وحكى النقاش عن ابن عباس في قصة
الإسراء عنه عليه السلام في قوله دنا فتدلى قال فارقني جبريل فانقطعت الأصوات
عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن وفي حديث أنس في الإسراء
نحو منه وقد احتجوا في هذا بقوله وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل
رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء فقالوا هي ثلاثة أقسام من وراء حجاب كتكليم موسى وبإرسال
الملائكة كحال جميع الأنبياء وأكثر حال نبينا صلى الله عليه وسلم الثالث قوله وحياً ولم
يبق من تقسيم صور الكلام إلا المشافهة مع المشاهدة وقد قيل الوحي هنا هو ما يلقيه
في قلب النبي صلى الله عليه وسلم دون واسطة وقد ذكر أبو بكر البزار عن علي في حديث
الإسراء ما هو أوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله من الآية فذكر فيه فقال الملك
الله أكبر الله أكبر فقيل لي من وراء الحجاب صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر وقال في سائر كلمات
الأذان مثل ذلك ويجيء الكلام في مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه
وفي أول فصل من الباب منه وكلام الله لمحمد ومن اختصه من أنبيائه جائز غير ممتنع
عقلاً ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فإن صح في ذلك خبر اعتمد عليه وكلامه تعالى لموسى
كائن حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب وأكده بالمصدر دلالة على الحقيقة ورفع مكانه على
ما ورد في الحديث في السماء السابعة بسبب كلامه ورفع محمداً فوق هذا كله حتى بلغ مستوى
وسمع صريف الأقلام فكيف يستحيل في حق هذا أو يبعد سماع الكلام فسبحان من خص
من شاء بما شاء وجعل بعضهم فوق بعض درجات فصل وأما ما ورد في حديث الإسراء
وظاهر الآية من الدنو والقرب من قوله تعالى دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى
فأكثر المفسرين أن الدنو والتدلي منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما السلام أو مختص بأحدهما
من الآخر ومن السدرة المنتهى قال الرازي وقال ابن عباس هو محمد دنا فتدلى من ربه و

قيل معنى دنى قرب وتدلى زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد اي قرب وحكى مكي والماوردي
عن ابن عباس هو الرب دنى من محمد فتدلى اليه اي امره وحكمه وحكى النقاش عن الحسن قال
دنى من عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه فاراه ما شاء ان يريه من قدرته
وعظمته قال وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة
المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنى من ربه قال فارقني جبريل فانقطعت عني الاصوات وسمعت
كلام ربي وعن انس في الصحيح عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنى الجبار رب العزة فتدلى
حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه بما شاء واوحى اليه خمسين صلوة و
ذكر حديث الاسرا وعن محمد بن كعب هو محمد دنى محمد من ربه فكان قاب قوسين وقال
جعفر بن محمد ادناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد والدنو من الله
لا حد له ومن العباد بالحدود وقال ايضا انقطعت الكيفية عن الدنو الا ترى كيف حجب
جبريل عن دنوه ودنى محمد الى ما اودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى بسكون قلبه الى
ما ادناه وزال عن قلبه الشك والارتياب قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه اعلم ان ما وقع
من اضافة الدنو والقرب هنا من الله والى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل هو
كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبي من ربه وقربه منه ابانة عظيم
منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته و
من الله تعالى له مبرة وتانيس وبسط واكرام ويتاول فيه ما يتاول في قوله ينزل ربنا الى
سماء الدنيا على احد الوجوه نزول افضال واجمال وقبول واحسان قال الواسطي من توهم انه
بنفسه دنى جعل ثم مسافة بل كل ما دنى بنفسه من الحق تدلى بعدا يعني عن ادراك حقيقته
اذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله قاب قوسين او ادنى فمن جعل الضمير عائدا الى الله لا الى
جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على
الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن اجابة الرغبة وقضاء المطالب واظهار

التجلي وإنافة للمنزلة والمرتبة من الله له وبيانا ولي فيه ما يتأول في قوله من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة قربه بالإجابة والقبول وإتيان بالإحسان وتعجيل المأمول

فصل في ذكر تفضيله في القيامة بخصوص الكرامة

حدثنا القاضي ابو علي نا ابو الفضل وابو الحسين قالا نا ابو يعلى نا السنجي نا ابن محبوب نا الترمذي نا الحسين بن يزيد الكوفي نا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن انس عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفي رواية ابن زحر عن الربيع بن انس في لفظ هذا الحديث انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ابلسوا لواء الكرم بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ويطوف علي الف خادم كانهم لؤلؤ مكنون وعن ابي هريرة واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر وعن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيامة واول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع وعن ابن عباس انا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فادخلها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر وعن انس انا اول الناس يشفع في الجنة وانا اكثر الناس تبعا وعن انس قال النبي صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيامة وتدرون لم ذلك يجمع الله الاولين والآخرين وذكر حديث الشفاعة وعن ابي هريرة انه عليه السلام قال اطمع ان اكون اعظم الانبياء اجرا يوم القيامة وفي حديث آخر اما ترضون ان يكون ابراهيم و

فيلجمهم يوم القيامة ثم قال الحا في امتي يوم القيامة اما ابراهيم فيقول انت دعوتي وذريتي فجعلني
من امتك واما عيسى فالانبياء اخوة بنو علات امهاتهم شتى وان عيسى اخي ليس بيني وبينه
نبي وانا اولى الناس به وقوله انا سيد الناس يوم القيامة هو سيدهم في الدنيا ويوم القيامة
ولكن اشار عليه السلام لانفراده فيه بالسؤدد والشفاعة دون غيره اذ لجأ الناس اليه في
ذلك فلم يجدوا سواه والسيد هو الذي يلجأ الناس اليه في حوائجهم فكان حينئذ سيدا
منفردا من بين البشر لم يزاحمه احد في ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار والملك له تعالى في الدنيا والاخرة لكن في الاخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك
في الدنيا وكذلك لجأ الى محمد جميع الناس في الشفاعة فكان سيدهم في الاخرة دون دعوى
وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول
الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت لا افتح لاحد قبلك وعن عبد الله بن عمرو قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه ابيض من الورق
وريحه اطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ ابدا وعن ابي ذر نحوه وقال
طوله ما بين عمان الى ايلة يشخب فيه ميزابان من الجنة وعن ثوبان مثله وقال احدهما من ذهب
والاخر من ورق وفي رواية حارثة بن وهب كما بين المدينة وصنعاء وقال انس ايلة وصنعاء
وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الاسود وروى حديث الحوض ايضا انس وجابر وسمرة وابن
عمر وعقبة بن عامر وحارثة بن وهب الخزاعي والمستورد وابو برزة الاسلمي وحذيفة بن
اليمان وابو امامة وزيد بن ارقم وابن مسعود وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد وسويد بن
جبلة وابو سعيد الخدري وعبد الله الصنابحي وابو هريرة والبراء وجندب وعائشة واسماء
بنتا ابي بكر وابو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم

فصل في تفضيله بالمحبة والخلة

جاءت بذلك الاثار الصحيحة واختص صلى الله عليه وسلم على السنة المسلمين بحبيب الله انا
ابو القاسم بن ابراهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت احمد قالت ثنا ابو الهيثم وحدثنا

الحسين بن محمد الحافظ سماعا عليه ثنا القاضي ابو الوليد ثنا اسد بن احمد ثنا ابو الحيثم ثنا
عبد الله بن محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبد الله بن محمد ثنا ابو عامر ثنا فليح
ثنا ابو النضر عن بسر بن سعيد عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت
متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر وفي حديث آخر وان صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله
بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن ابن عباس قال جلس ناس من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم
فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ ابراهيم من خلقه خليلا وقال آخر ماذا باعجب من كلام موسى
كلمه الله تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم
فسلم وقال قد سمعت كلامكم وتعجبكم ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وهو كذلك وموسى
نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وادم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا
حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع
ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر
وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر وفي حديث ابي هريرة من قول الله تعالى لنبيه صلى
الله عليه وسلم اني اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التورية انت حبيب الرحمن **فصل**
قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه اختلف في تفسير الخلة واصل اشتقاقها فقيل
الخليل المنقطع الى الله الذي ليس في انقطاعه اليه ومحبته له اختلال وقيل الخليل المختص
واختار هذا القول غير واحد وقال بعضهم اصل الخلة الاصطفاء وسمي ابراهيم خليل الله
لانه والى فيه وعادى فيه وخلة الله له نصره وجعله اماما لمن بعده وقيل الخليل
اصله الفقير المحتاج المنقطع مأخوذ من الخلة وهي الحاجة فسمي بها ابراهيم لانه قصر
حاجته على ربه وانقطع اليه بهمه ولم يجعله قبل غيره اذ جاءه جبريل وهو في المنجنيق ليرمى
في النار فقال الك حاجة قال اما اليك فلا وقال ابو بكر بن فورك الخلة صفاء المودة التي

توجب الاختصاص بتخلل الاسرار و قال بعضهم اصل الخلة المحبة و معناها الاسعاف والالطاف والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك تعالى فى كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فاوجب للمحبوب ان لا يؤاخذ بذنوبه قال هذا والخلة مقام اقوى من البنوة لان البنوة قد تكون فيها العداوة كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ولا يصح ان تكون عداوة مع خلة فاذا تسمية ابراهيم ومحمد عليهما السلام بالخلة اما بانقطاعهما الى الله ووقف حوائجهما عليه والانقطاع عمن دونه والاضراب عن الوسائط والاسباب او لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفى الطافه عندهما وما خالل بواطنهما من اسرار الهية ومكنون غيوبه ومعرفته او لاستصفائه لهما واستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم يخالطهما حب لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله عليه السلام ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام واختلف العلماء ارباب القلوب ايهما ارفع درجة الخلة او درجة المحبة فجعلهما بعضهم سواء فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص ابراهيم بالخلة ومحمدا بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربى فلم يتخذه وقد اطلق المحبة عليه السلام لفاطمة وابنيها واسامة وغيرهم واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب نبينا ارفع من درجة الخليل ابراهيم واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحب ولكن هذا فى حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهى درجة المخلوق فاما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاغراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة اسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال فى الحديث فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به ولا ينبغى ان يفهم من هذا سوى التجرد لله والانقطاع الى الله تعالى

والإعراض عن غير الله وصفاء القلب لله واخلاص الحركات لله كما قالت عائشة كان خلقه القرآن برضاه يرضى وبسخطه يسخط ولهذا عبّر بعضهم عن الخلة بقوله **شعر**

قد تخللت مسلك الروح منى ✽ وبذا سُمّي الخليل خليلا ✽ فاذا ما نطقتُ كنتَ حديثي ✽ واذا ما سكتُّ كنتَ الغليلا ✽ واذا عرفتَ الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا عليه السلام بما دلت عليه الآثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة وكفى بقوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله الآية حكى اهل التفسير ان هذه الآية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله غيظا لهم ورغما على معاندتهم هذه الآية قل اطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم على التولي عنه بقوله فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين وقد نقل الامام ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يطول جملة اشاراته الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا يهدي الى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة من قوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض والحبيب يصل به من قوله فكان قاب قوسين او ادنى وقيل الخليل الذي تكون مغفرته في حد الطمع من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم الآية والخليل قال ولا تخزني والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي فابتدى بالبشارة قبل السؤال والخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له يا ايها النبي حسبك الله والخليل قال واجعل لي لسان صدق والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك اعطي بلا سؤال والخليل قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والاحوال فكل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا **فصل** في تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا **اخبرنا** الشيخ ابو

الغساني الجياني فيما كتب الي بخطه حدثنا سراج بن عبد الله القاضي ثنا ابو محمد
الاصيلي ثنا ابو زيد وابو احمد قالا نا محمد بن يوسف قال نا محمد بن اسمعيل ثنا اسمعيل بن
ابان ثنا ابو الاحوص عن آدم بن علي قال سمعت ابن عمر يقول ان الناس يصيرون يوم القيامة
جثى كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة
الى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود وعن ابي هريرة سئل عنها
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقال هي
الشفاعة وروى كعب بن مالك عنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيامة فاكون انا
وامتي على تل ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فاقول ما شاء الله ان اقول فذلك
المقام المحمود وعن ابن عمر وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي حتى ياخذ بحلقة الجنة فيومئذ
يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده وعن ابن مسعود عنه انه قيامه عن يمين العرش مقاما
لا يقومه غيره يغبطه فيه الاولون والاخرون ونحوه عن كعب والحسن وفي رواية هو المقام
الذي اشفع لامتي فيه وعن ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لقائم المقام
المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى على كرسيه الحديث وعن ابي موسى عنه عليه
السلام خيرت بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لانها
اعم اترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخطائين وعن ابي هريرة قلت يا رسول الله ماذا رد
عليك في الشفاعة فقال شفاعتي لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن
ام حبيبة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت ما تلقى امتي من بعدي وسفك بعضهم
دماء بعض وسبق لهم من الله ما سبق للامم قبلهم فسالت الله ان يوليني شفاعة يوم القيامة
فيهم ففعل وقال حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر
حفاة عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس الا باذنه فينادى محمد فيقول لبيك وسعديك
والخير في يديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك ولك واليك

لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك المقام المحمود الذي
ذكره الله وقال ابن عباس إذا دخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة فيبقى آخر زمرة من الجنة وآخر زمرة من
النار فتقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم إيمانكم فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم أهل الجنة فيسألون
آدم وغيره بعده في الشفاعة لهم فكل يعتذر حتى يأتوا محمدا فيشفع لهم فذلك المقام المحمود ونحوه عن
ابن مسعود أيضا ومجاهد وذكره علي بن الحسين عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله ليزيد
الفقير سمعت بمقام محمد الذي يبعثه الله فيه قال نعم قال فإنه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج
يعني من النار وذكر حديث الشفاعة في إخراج الجهنميين وعن أنس نحوه وقال فهذا المقام المحمود الذي وعده
وعن سلمان المقام المحمود هو الشفاعة في أمته يوم القيامة وقال قتادة كان أهل العلم يرون المقام
المحمود شفاعته يوم القيامة وعلى أن المقام المحمود هو عامة ما عليه الكلام الشفاعة مذهب السلف
من الصحابة والتابعين وعامة أئمة المسلمين وبذلك جاء تفسيره في صحيح الأخبار عنه عليه السلام وجاءت
مقالات في تفسيرها شاذة عن بعض السلف بحيث لا يثبت الخبر بعضدها صحيح أثر ولا سديد نظر ولو صحت لكان لها
تأويل غير مستنكر لكن ما فسره النبي صلى الله عليه وسلم في صحاح الآثار أبين وجهة فارغب بما يلقى إليك بسمعك إذ لم
يأت في كتاب ولا سنة ولا تعقب على المقال أئمة وفي إطلاقه ظاهر مستنكر من القول وفي رواية أنس وأبي هريرة وغيرهما
دخل حديث بعضهم في حديث بعض قال عليه السلام يجمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة فيهتمون أو قال فيلهمون فيقولون
لو استشفعنا إلى ربنا ومن طريق ماج الناس بعضهم في بعض وعن أبي هريرة فتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون
ولا يحتملون فيقولون ألا تنظرون من يشفع لكم فيأتون آدم فيقولون زاد بعضهم أنت آدم أبو البشر
خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا
عند ربك حتى يريحنا من مكاننا ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله
ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا فيقولون
أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله عبدا شكورا ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما بلغنا ألا تشفع لنا إلى ربك فيقول
إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي قال في رواية أنس ويذكر خطيئته

اللتى اصاب يسوآله ربه بغير علم وفى رواية ابى هريرة وقد كانت لى دعوة دعوتها على قومى اذهبوا الى ابراهيم
فانه خليل الله فيأتون ابراهيم فيقولون انت نبى الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى
ما نحن فيه فيقول ان ربى قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله ويذكر ثلاث كلمات كذبهن نفسى نفسى لست لها ولكن
عليكم بموسى فانه كليم الله وفى رواية فانه عبد آتاه الله التورية وكلمه وقربه نجيا فيأتون موسى فيقول لست لها
ويذكر خطيئته التى اصاب وقتله النفس نفسى نفسى ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول
لست لها ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتونى فاقول انا لها فانطلق فاستأذن
على ربى فيؤذن لى فاذا رأيته وقعت ساجدا وفى رواية فآتى تحت العرش فاخر ساجدا وفى رواية فاقوم بين يديه
فاحمده بمحامد لا اقدر عليها الآن يلهمنيها الله وفى رواية فيفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه
على احد قبلى قال فى رواية ابى هريرة فيقال يا محمد ارفع راسك سل تعطه اشفع تشفع فارفع راسى فاقول يا رب امتى يا رب
امتى فيقول ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء
الناس فيما سوى ذلك من الابواب ولم يذكر فى رواية انس هذا الفصل وقال مكانه ثم
اخر ساجدا فيقال لى يا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه فاقول
يا رب امتى امتى فيقال انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من برة او شعيرة من ايمان
فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربى فاحمده بتلك المحامد وذكر مثل الاول وقال فيه
مثقال حبة من خردل قال فافعل ثم ارجع الى ربى وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان
فى قلبه ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل فافعل وذكر فى المرة الرابعة فيقال لى
ارفع راسك وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا رب ائذن لى فيمن قال لا اله
الا الله قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتى وكبريائى وعظمتى وجبريائى لاخرجن من
النار من قال لا اله الا الله ومن رواية قتادة عنه قال فلا ادرى فى الثالثة او الرابعة
فاقول يا رب ما بقى فى النار الا من حبسه القرآن اى من وجب عليه الخلود وعن ابى بكر
وعقبة بن عامر وابى سعيد وحذيفة مثله قال فيأتون محمدا فيؤذن له وتأتى الامانة و

الرحم فتقوما جنبتي الصراط وذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة فياتون محمدا فيشفع فيضرب الصراط فيمرون اولهم كالبرق ثم كالريح والطير وشد الرجال ونبيكم صلى الله عليه وسلم على الصراط يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس فذكر اخرهم جوازا الحديث وفي رواية ابي هريرة فاكون اول من يجيز يومئذ وعن ابن عباس عنه عليه السلام توضع للانبياء منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه قائما بين يدي ربي منتصبا يقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك فاقول يارب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد امر بهم الى النار حتى ان خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في امتك من نقمة ومن طريق زياد النميري عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنفلق الارض عن جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيامة وانا اول من تفتح له الجنة ولا فخر فاتي فاخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار تعالى فاخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم ومن رواية انيس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيامة لاكثر مما في الارض من حجر وشجر فقد اجتمع باختلاف الفاظ هذه الاثار ان شفاعته صلى الله عليه وسلم ومقامه المحمود من اول الشفاعات الى اخرها من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء في الحديث عن ابي هريرة وحذيفة وهذا الحديث اتقن فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من امته الى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسبما تقتضيه الاحاديث الصحيحة ثم فيمن قال لا اله الا الله وليس هذا لسواه صلى الله عليه وسلم وفي الحديث المنتشر الصحيح لكل

نبي دعوة يدعو بها وخبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة قال أهل العلم معناه دعوة أعلم أنها تستجاب لهم ويبلغ
فيها مرغوبهم وإلا فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم عند
الدعاء بها بين الرجاء والخوف وضمنت لهم إجابة دعوة فيما شاءوه يدعون بها على يقين من الإجابة وقال
محمد بن زياد وأبو صالح عن أبي هريرة في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها في أمته فاستجيب وأنا أريد أن أؤخر دعوتي
شفاعة لأمتي يوم القيامة وفي رواية أبي صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية
أبي زرعة عن أبي هريرة وعن أنس مثل رواية ابن زياد عن أبي هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالأمة
مضمونة الإجابة وإلا فقد أخبر صلى الله عليه وسلم أنه سأل لأمته أشياء من أمور الدين والدنيا أعطي بعضها
ومنع بعضها وادخر لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم السؤل والرغبة جزاه الله أحسن ما جزى نبيا عن
أمته صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا فصل في تفضيله في الجنة بالكوثر والوسيلة والدرجة الرفيعة والفضيلة حدثنا
القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه أبو الوليد هشام بن أحمد بقراءتي عليهما
قالا نا أبو علي الغساني نا النمري نا ابن عبد المؤمن نا أبو بكر التمار نا أبو داود نا محمد بن سلمة
نا ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن أبي أيوب عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن
بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول
إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي مرة صلى الله
عليه عشرا ثم سلوا الله تعالى لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من
عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل الله تعالى لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة
وفي حديث آخر عن أبي هريرة الوسيلة أعلى درجة في الجنة وعن أنس رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهر حافتاه
قباب اللؤلؤ فقلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذي أعطاكه الله قال ثم ضرب
بيده إلى طينته فاستخرج مسكا وعن عائشة وعبد الله بن عمرو مثله قال ومجراه على
الدر والياقوت وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج وفي رواية عنه فإذا هو يجري

ولم يُسْقَ منها احد بعدهم من يرد عليها امتي وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس وعن ابن
عباس ايضا قال الكوثر الخير الذي اعطاه الله اياه وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في
الجنة من الخير الذي اعطاه الله وعن حذيفة فيما ذكر عليه السلام عن ربه واعطاني الكوثر
نهرا في الجنة يسيل في حوضي وعن ابن عباس في قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى قال
الف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن وفي رواية اخرى وفيه ما ينبغي له
من الازواج والخدم **فصل** فان قلت اذا تقرر من دليل القرآن وصحيح الآثار واجماع
الامة كونه اكرم البشر وافضل الانبياء فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل
كقوله فيما حدثناه الاسدي قال نا السمرقندي نا الفارسي نا الجلودي نا ابن سفيان نا مسلم
حدثنا ابن مثنى نا محمد بن جعفر نا شعبة عن قتادة قال سمعت ابا العالية يقول حدثني
ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم يعني ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ينبغي
لاحد يقول انا خير من يونس بن متى وفي غير هذا الطريق عن ابي هريرة
انه قال يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لعبد الحديث وفي حديث
ابي هريرة في اليهودي الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل من الانصار
وقال تقول ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا فبلغ ذلك النبي عليه السلام
فقال لا تفضلوا بين الانبياء وفي رواية لا تخيروني على موسى وذكر الحديث وفيه
ولا اقول ان احدا افضل من يونس بن متى وعن ابي هريرة ومن قال انا خير من يونس
بن متى فقد كذب وعن ابن مسعود لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى وفي حديث
الاخر فجاءه رجل فقال يا خير البرية فقال ذاك ابراهيم عليه السلام فاعلم ان للعلماء
في هذه الاحاديث تأويلات احدها ان نهيه عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه
سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل بلا علم فقد كذب
وكذلك قوله لا اقول ان احدا افضل منه لا يقتضي تفضيله هو وانما هو في الظاهر

بكف عن التفضيل الوجه الثاني انه قال عليه السلام على طريق التواضع ونفي التكبر
والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض الوجه الثالث ان لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي
الى تنقص بعضهم او الغض منه لا سيما في جهة يونس عليه السلام اذ اخبر الله عنه
بما اخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة وانحطاط من رتبته الرفيعة
اذ قال تعالى عنه اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فربما يخيل لمن
لا علم عنده حطيطة بذلك الوجه الرابع منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فان
الانبياء فيها على حد واحد اذ هي شيء واحد لا يتفاضل وانما التفاضل في زيادة
الاحوال والخصوص والكرامات والرتب والالطاف واما النبوة في نفسها فلا تتفاضل
وانما التفاضل بامور اخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم اولو عزم ومنهم من رفع
مكانا عليا ومنهم من اوتي الحكم صبيا واوتي بعضهم الزبر وبعضهم البينات
ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض
النبيين على بعض الاية وقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية قال
بعض اهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة احوال ان تكون
اياته ومعجزاته اظهر واشهر وتكون امته ازكى واكثر ويكون في ذاته افضل واظهر
وفضله في ذاته راجع الى ما خصه الله تعالى به من كرامته واختصاصه من كلام
او خلة او رؤية او ما شاء الله من الطافه وتحف ولايته واختصاصه وقد روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان للنبوة اثقالا وان يونس تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ
صلى الله عليه وسلم موضع الفتنة من اوهام من يسبق اليه بسببها جرح في نبوته
او قدح في اصطفائه او حط من رتبته ووهن في عصمته شفقة منه عليه السلام
على امته وقد يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس وهو ان يكون انا راجعا الى
القائل نفسه اي لا يظن احد وان بلغ من الزكاء والعصمة والطهارة ما بلغ انه خير

من يونس لاجل ما حكى الله عنه فان درجة النبوة افضل واعلى من ان تلك الاقدار لم تحطه عنها حبة خردل ولا ادنى وسنبين في القسم الثالث من هذا بيانا ان شاء الله فقد بان لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض ان شاء الله تعالى

فصل في اسمائه عليه السلام وما تضمنته من فضيلته صلى الله عليه وسلم

حدثنا ابو عمران موسى بن ابي تليد الفقيه قال نا ابو عمر الحافظ نا سعيد بن نصر نا قاسم بن اصبغ نا محمد بن وضاح نا يحيى نا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب وقد سماه الله تعالى في كتابه محمدا واحمد فمن خصائصه تعالى له ان ضمن اسماءه ثناءه فطوى اثناء ذكره عظيم شكره فاما اسمه احمد فافعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو صلى الله عليه وسلم اجل من حمد وافضل من حمد واكثر الناس حمدا فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيامة ليتم له كمال الحمد ويشتهر في تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا كما وعده يحمده فيه الاولون والآخرون بشفاعته لهم ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال عليه الصلوة والسلام ما لم يعط غيره وسمى الله امته في كتب انبيائه بالحمادين فحقيق ان يسمى محمدا واحمد ثم في هذين الاسمين من عجائب خصائصه وبدائع آياته فن آخر هو ان الله تعالى حمى ان يسمى بهما احد قبل زمانه اما احمد الذي اتى في الكتب وبشرت به الانبياء فمنع الله تعالى بحكمته ان يسمى به احد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب او شك وكذلك محمد ايضا لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده عليه السلام وميلاده ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم

بذلك وجاء ان يكون احدهم هو والله اعلم حيث يجعل رسالته وهم محمد بن احيحة بن الجلاح الاوسي ومحمد بن مسلمة الانصاري ومحمد بن براء البكري ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي السلمي لاسابع لهم ويقال اول من سمي محمد بن سفيان واليمن تقول بل محمد بن اليحمد من الازد ثم حمى الله كل من تسمى به ان يدعي النبوة او يدعيها احد له او يظهر عليه سبب يشكك احدا في امره حتى تحققت السمتان له صلى الله عليه وسلم ولم ينازع فيهما واما قوله وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ففسر في الحديث ويكون محو الكفر اما من مكة وبلاد العرب وما زوي له من الارض ووعد انه يبلغه ملك امته او يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال الله تعالى ليظهره على الدين كله وقد ورد تفسيره في الحديث انه الذي محيت به سيئات من اتبعه وقوله وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي يعني على عقبي زماني وعهدي اي ليس بعدي نبي كما قال تعالى وخاتم النبيين وسمي عاقب لانه عقب غيره من الانبياء وقيل معنى على قدمي اي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وفي الصحيح وانا العاقب الذي ليس بعدي نبي وقيل على قدمي على سابقتي قال الله تعالى ان لهم قدم صدق عند ربهم وقيل على قدمي اي قدامي وحولي اي يجتمعوا الي في القيامة وقيل قدمي سنتي ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء قيل انها موجودة في الكتب المتقدمة وعند اولي العلم من الامم السالفة والله اعلم وقد روي عنه عليه السلام لي عشرة اسماء وذكر منها طه ويس حكاه مكي وقد قيل في بعض تفاسير طه انه يا طاهر يا هادي وفي يس يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد وذكر غيره لي عشرة اسماء فذكر الخمسة التي في الحديث الاول قال وانا رسول الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم وانا المقفي قفيت النبيين وانا قيم والقيم الكامل الجامع

كذا وجدته ولم اروه وارى ان صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه
بعد عن الحربى وهو اشبه بالتفسير وقد وقع ايضا فى
كتب الانبياء وقال داود عليه السلام اللهم
ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه وروى النقاش عنه
عليه السلام لى فى القرآن سبعة اسماء انا محمد وانا احمد ويس وطه والمدثر و
المزمل وعبد الله وفى حديث عن جبير بن مطعم هى ستة محمد واحمد وخاتم وحاشر
وعاقب وماحى وفى حديث ابى موسى الاشعرى انه كان صلى الله عليه وسلم يسمى لنا
نفسه اسماء فيقول انا محمد واحمد والمقفى والحاشر ونبى التوبة ونبى الملحمة ويروى
نبى المرحمة والراحة وكل صحيح ان شاء الله تعالى ومعنى المقفى معنى العاقب واما
نبى الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين وكما وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم
الى صراط مستقيم وبالمؤمنين رؤف رحيم وقد قال فى صفة امته انها امة
مرحومة وقال تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اى يرحم بعضهم بعضا
فبعثه صلى الله عليه وسلم ربه تعالى رحمة لامته ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما
مستغفرا لهم وجعل امته امة مرحومة ووصفها بالرحمة وامرها بالتراحم واثنى
عليه فقال ان الله يحب من عباده الرحماء وقال الراحمون يرحمهم الرحمن يوم القيامة
ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء واما رواية نبى الملحمة فاشارة الى ما بعث
من القتال والسيف صلى الله عليه وسلم وهى صحيحة وروى حذيفة مثل حديث
ابى موسى وفيه نبى الرحمة ونبى التوبة ونبى الملاحم وروى الحربى فى حديثه انه
عليه السلام قال اتانى ملك فقال لى انت قثم اى مجتمع قال والقثوم الجامع للخير وهذا
اسم هو فى اهل بيته عليه الصلوة والسلام معلوم وقد جاءت من القابه عليه السلام

وسماته في القرآن عدة كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور والسراج المنير والمنذر والنذير
والمبشر والبشير والشاهد والشهيد والحق المبين وخاتم النبيين والرءوف الرحيم والأمين
وقدم الصدق ورحمة للعالمين ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط المستقيم والنجم
الثاقب والكريم والنبي الامي وداعي الى الله في اوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى
منها في كتب الله المتقدمة وكتب انبيائه واحاديث رسوله واطلاق الامة جملة شافية
كتسميته بالمصطفى والمجتبى وابي القاسم والحبيب ورسول رب العالمين والشفيع
المشفع والمتقي والمصلح والطاهر والمهيمن والصادق والمصدوق والهادي وسيد
ولد ادم وسيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل الرحمن
وصاحب الحوض المورود والشفاعة والمقام المحمود وصاحب الوسيلة والفضيلة
والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج واللواء والقضيب وراكب البراق
والناقة والنجيب وصاحب الحجة والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب
الهراوة والنعلين ومن اسمائه عليه السلام في الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة
والمقدس وروح الحق وهو معنى البارقليط في الانجيل وقال ثعلب البارقليط هو الذي
يفرق بين الحق والباطل ومن اسمائه في الكتب السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب طيب
وحمطايا والخاتم والحاتم حكاه كعب الاحبار قال ثعلب فالخاتم الذي ختم الانبياء والحاتم
احسن الانبياء خلقا وخلقا صلى الله عليه وسلم ويسمى بالسريانية مشفح و
المنحمنا واسمه ايضا في التوراة احيد روى ذلك عن ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب
اي السيف وقع ذلك مفسرا في الانجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل به وامته
كذلك وقد يحمل على انه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه صلى الله عليه وسلم
وهو الآن عند الخلفاء واما الهراوة التي وصف بها فهي في اللغة العصى واراها والله
اعلم العصا المذكورة في حديث الحوض اذود الناس عنه بعصاي لاهل اليمن واما

الساجد والمراد به اليمامة ولم تكن حينئذ لا العرب في العالم تاريخات العرب واوصافه والقابه
وسماته في الكتب كثيرة وفيما ذكرناه منها مقنع ان شاء الله تعالى وكانت كنيته المشهورة
ابا القاسم وروي عن انس انه لما ولد له ابراهيم جاءه جبريل فقال له السلام عليك
يا ابا ابراهيم **فصل** في تشريف الله تعالى له بما سماه به من اسمائه الحسنى ووصفه
به من صفاته العلى قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه ما احرى هذا الفصل بفصول
الباب الاول لانخراطه في سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها لكن لم يشرح
الله الصدر للهداية الى استنباطه ولا انار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه الا
عند الخوض في الفصل الذي قبله فرأينا ان نضيفه اليه ونجمع به شمله فاعلم ان الله
تعالى خص كثيرا من الانبياء بكرامة خلعها عليهم من اسمائه كتسمية اسحاق و
اسمعيل بعليم وحليم وابراهيم بحليم ونوح بشكور وعيسى ويحيى ببر وموسى بكريم و
قوي ويوسف بحفيظ عليم وايوب بصابر واسمعيل بصادق الوعد كما نطق بذلك
الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم وفضل نبينا محمدا عليه السلام بان حلاه منها
في كتابه العزيز وعلى السنة انبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر
واحضار الذكر اذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ فيها لتاليف
فصلين وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسما ولعل الله تعالى كما الهم الى ما علم
منها وحققه يتم النعمة بابانة ما لم يظهر لنا الآن ويفتح غلقه فمن اسمائه تعالى الحميد و
معناه المحمود لانه حمد نفسه وحمده عباده ويكون ايضا بمعنى الحامد لنفسه
ولاعمال الطاعات وسمى النبي صلى الله عليه وسلم محمدا واحمد فمحمد بمعنى محمود و
كذا وقع اسمه في زبور داود واحمد بمعنى اكبر من حمد واجل من حمد وقد اشار الى
نحو من هذا حسان رضي الله عنه بقوله وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش
محمود وهذا محمد ومن اسمائه تعالى الرؤف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه في

كتابه بذلك فقال بالمؤمنين رؤف رحيم ومن اسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق
الموجود والمتحقق امره وكذلك المبين اى البين امره والهيته بان وابان بمعنى و
يكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم ومعادهم وسمى النبى صلى الله عليه وسلم بذلك
فى كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال وقل انى انا النذير المبين وا
قال قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد وقيل القرآن
ومعناه ههنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وامره وهو بمعنى الاول والمبين البين
امره ورسالته او المبين عن الله ما بعثه به كما قال لتبين للناس ما نزل اليهم ومن
اسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور اى خالقه او منور السموات والارض بالانوار
ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وسماه نورا فقال تعالى قد جاءكم من الله نور
وكتاب مبين قيل محمد وقيل القرآن وقال فيه وسراجا منيرا وسمى بذلك لوضوح
امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به ومن اسمائه
تعالى الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيامة وسماه شهيدا
وشاهدا فقال انا ارسلناك شاهدا وقال ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى
الاول ومن اسمائه تعالى الكريم ومعناه كثير الخير وقيل المفضل وقيل العفو وقيل
العلى وفى الحديث المروى فى اسمائه تعالى الاكرم وسماه الله تعالى كريما بقوله
انه لقول رسول كريم قيل محمد وقيل جبريل وقال عليه الصلوة والسلام انا اكرم
ولد آدم ومعانى الاسم صحيحة فى حقه صلى الله عليه وسلم ومن اسمائه تعالى العظيم
ومعناه الجليل الشان الذى كل شىء دونه وقال فى النبى عليه السلام وانك لعلى
خلق عظيم ووقع فى اول سفر من التوراة عن اسمعيل عليه السلام وسيلد عظيما
لامة عظيمة فهو صلى الله عليه وسلم عظيم وعلى خلق عظيم ومن اسمائه تعالى الجبار
ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل العلى العظيم الشان وقيل المتكبر وسمى النبى صلى الله

عليه وسلم في كتاب داود جبار فقال تقلد ايها الجبار سيفك فان ناموسك وشرائعك
مقرونة بهيبة يمينك ومعناه في حق النبي عليه السلام اما لاصلاحه الامة بالهداية
والتعليم او لقهره اعداءه او لعلو منزلته على البشر ولعظيم خطره ونفى عنه في
القرآن جبرية التكبر التي لا يليق به فقال وما انت عليهم بجبار ومن اسمائه تعالى
الخبير ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال تعالى الرحمن
فاسئل به خبيرا قال القاضي بكر بن العلاء المأمور بالسؤال غير النبي صلى الله
عليه وسلم والمسئول الخبير هو النبي عليه السلام وقال غيره بل السائل النبي صلى الله
عليه وسلم والمسئول الله تعالى فالنبي صلى الله عليه وسلم خبير بالوجهين المذكورين
قبل قيل لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر
لامته بما اذن له في اعلامهم به ومن اسمائه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده
او فاتح ابواب الرزق والرحمة والمنغلق من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم وبصائرهم
لمعرفة الحق ويكون ايضا بمعنى الناصر كقوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اي
ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه مبدئ النصر والفتح وسمى الله تعالى
نبيه محمدا عليه السلام بالفاتح في حديث الاسراء الطويل من رواية الربيع بن انس
عن ابي العالية وغيره عن ابي هريرة وفيه من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا
وخاتما وفيه من قوله عليه الصلوة والسلام في ثنائه على ربه وتعديد مراتبه و
رفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم او الفاتح لابواب
الرحمة على امته او الفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله او الناصر للحق او
المبتدئ بهداية الامة او المبدا المقدم في الانبياء والخاتم لهم كما قال عليه السلام
كنت اول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث ومن اسمائه تعالى في الحديث الشكور
ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل المثني على المطيعين ووصف بذلك نبيه

نوحاً فقال إنه كان عبداً شكوراً وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم بذلك نفسه
فقال أفلا أكون عبداً شكوراً أي معترفاً بنعمة ربي عالماً بقدر ذلك مثنياً عليه مجتهداً
نفسي في الزيادة من ذلك لقوله لئن شكرتم لأزيدنكم ومن أسمائه تعالى العليم
والعالم العلام وعالم الغيب والشهادة ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه
بمزية منه فقال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم
ما لم تكونوا تعلمون ومن أسمائه تعالى الأول والآخر ومعناهما السابق للأشياء
قبل وجودها والباقي بعد فنائها وتحقيقه أنه ليس له أول ولا آخر وقال عليه السلام
كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث وفسر بهذا قوله تعالى وإذ أخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمداً عليه السلام وقد أشار إلى نحو
منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون
وقوله أنا أول من تنشق عنه الأرض وأول من يدخل الجنة وأول شافع وأول مشفع
وخاتم النبيين وآخر الرسل صلى الله عليه وسلم ومن أسمائه تعالى القوي وذو القوة
المتين ومعناه القادر وقد وصفه الله تعالى بذلك فقال ذي قوة عند ذي العرش
مكين قيل محمد وقيل جبريل عليهما السلام ومن أسمائه تعالى الصادق في الحديث
المأثور وورد في الحديث أيضاً اسمه عليه السلام بالصادق والمصدوق ومن أسمائه
تعالى الولي والمولى ومعناهما الناصر وقد قال تعالى إنما وليكم الله ورسوله
وقال عليه السلام أنا ولي كل مؤمن وقال تعالى النبي أولى بالمؤمنين الآية وقال
عليه السلام من كنت مولاه فعلي مولاه ومن أسمائه تعالى العفو ومعناه الصفوح
وقد وصف الله تعالى بهذا نبيه عليه السلام في القرآن والتوراة وأمره بالعفو
فقال خذ العفو وأمر بالعرف وقال فاعف عنهم واصفح وقال له جبريل وقد سأله عن
قوله تعالى خذ العفو فقال أن تعفو عمن ظلمك وقال في التوراة والإنجيل في

التحليات المستويات في صفته ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولكن يعفو ويصفح ومن
اسمائه تعالى الهادي وهو بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعاء
وقال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم
واصل الحيم من الميل وقيل من التقديم وقيل في تفسير طه انه يا طاهر يا هادي
يعني النبي عليه السلام وقال تعالى له وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقال
فيه وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فالله مختص بالمعنى الاول قال الله تعالى
انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وبمعنى الدلالة
ينطلق على غيره تعالى ومن اسمائه تعالى المؤمن المهيمن وقيل هما بمعنى واحد فمعنى
المؤمن في حقه تعالى المصدق وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق
لعباده المؤمنين ورسله وقيل الموحد نفسه وقيل المؤمن عباده في الدنيا من
ظلمه والمؤمن في الاخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الامين مصغر منه فقلبت
الهمزة هاء وقد قيل ان قولهم في الدعاء امين انه اسم من اسمائه تعالى ومعناه
معنى المؤمن وقيل المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ والنبي صلى الله عليه وسلم
امين ومهيمن ومؤمن وقد سماه الله تعالى امينا فقال مطاع ثم امين وكان
عليه السلام يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها وسماه العباس في شعر
مهيمنا في قوله شعر ثم احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق
قيل المراد يا ايها المهيمن قاله القتبي والامام ابو القاسم القشيري وقال تعالى يؤمن
بالله ويؤمن للمؤمنين اي يصدق وقال انا امنة لاصحابي فهذا بمعنى المؤمن و
من اسمائه تعالى القدوس ومعناه المقدس عن النقائص المطهر من سمات
الحدث وسميت بيت المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادي المقدس
وروح القدس ووقع في كتب الانبياء في اسمائه عليه السلام المقدس المطهر

من الذنوب كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الذي يطهرهم من الذنوب ويبرئه باتباعه عنها كما قال تعالى ويزكيهم وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور او يكون مقدسا بمعنى مطهر من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية و من اسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب او الذي لا نظير له او المعز لغيره و قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين اى الامتناع وجلالة القدر وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال الله تعالى ان الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه وسماه الله مبشرا ونذيرا اى مبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته ومن اسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم ايضا انهما من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم

فصل قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى وها انا اذكر نكتة اذيل بها هذا الفصل و اختم بها هذا القسم وازيح الاشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم تخلصه من مهاوي التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه وهو ان يعتقد ان الله عز وجل في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى اسمائه وعلا صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به وان ما جاء مما اطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق فكما ان ذاته لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك عن الاعراض والاغراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته واسمائه و كفى في هذا قوله تعالى ليس كمثله شيء و لله در من قال من العلماء العارفين المحققين التوحيد اثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة عن الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي رحمه الله تعالى بيانا وهي مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ وجلت

الذاتُ القديمةُ أن يكون لها صفة حديثة كما استحال أن تكون للذات المحدثة صفة قديمةٌ وهذا كلّه مذهب أهل الحقّ والسنّة والجماعة رضي الله عنهم وقد فسّر الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى قوله هذا ليزيده بيانا فقال هذه الحكاية تشتمل على جوامع من مسائل التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهي بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب أنس ودفع نقص حصل ولا بخواطر وأغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه وقال آخر من مشايخنا ما توهّمتموه بأوهامكم وأدركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال الإمام أبو المعالي الجويني من اطمأنّ إلى موجود انتهى إليه فكره فهو مشبّه ومن اطمأنّ إلى النفي المحض فهو معطّل وإن قطع بموجود واعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحّد وما أحسن قول ذي النون المصري حقيقة التوحيد أن تعلم أنّ قدرة الله تعالى في الأشياء بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج وعلّة كلّ شيء صنعه ولا علّة لصنعه وما تصوّر في وهمك فالله بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس محقّق والفصل الآخر تفسير لقوله تعالى ليس كمثله شيء والثاني تفسير لقوله لا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون والثالث تفسير لقوله تعالى إنّما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ثبّتنا الله وإيّاك على التوحيد والإثبات والتنزيه وجنّبنا طرفي الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه بمنّه ورحمته وفضله لا ربّ غيره ولا معبود سواه

الباب الرابع فيما أظهره الله على يديه من المعجزات

وشرّفه به من الخصائص والكرامات قال المؤلف رحمه الله تعالى حسبك للمتأمّل أن يحقّق أنّ كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوّة نبيّنا عليه السلام ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج إلى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها حتّى لا يتوصّل الطاعن إليها وتذكر شروط المعجز

والتحدي وسعته وفساد قول من ابطل نسخ الشرائع ورده على القائلين لاهل ملة المليين
لدعوته المصدقين لنبوته ليكون تاكيدا لمحبتهم له وسماته لاعمالهم وليزدادوا
ايمانا مع ايمانهم ونيتنا ان نثبت في هذا الباب امهات معجزاته ومشاهير اياته لتدل
على عظيم قدره عند ربه واتينا منها بالمحقق والصحيح الاسناد واكثره مما بلغ القطع
او كاد واضفنا اليها بعض ما وقع من مشاهير كتب الائمة واذا تامل المتامل المنصف
ما قدمناه من جميل اثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة
كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته
وقد كفى هذا غير واحد في اسلامه والايمان به فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما
باسانيدهم ان عبد الله بن سلام قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة جئته
لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب حدثنا القاضي
الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون عن ابي يعلى
البغدادي عن ابي علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي ثنا محمد بن بشار ثنا ابن ابي
الثقفي ومحمد بن جعفر وابن ابي عدي ويحيى بن سعيد عن عوف ابن ابي جميلة الاعرابي
عن زرارة ابن ابي اوفى عن عبد الله بن سلام الحديث وعن ابي رمثة التيمي قال اتيت النبي
صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فاريته فلما رايته قلت هذا نبي الله صلى الله عليه وسلم وروى
مسلم وغيره ان ضمادا لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله
نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له واشهد ان
لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال له اعد علي كلماتك
هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك وقال جامع بن شداد كان رجل
منا يقال له طارق فاخبر انه راى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم
شيء تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فاخذ بخطامه وسار

الى المدينة فقلنا بعنا من رجل لا ندرى من هو ومعنا ظعينة فقالت انا ضامنة لثمن البعير رايت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم فاصبحنا فجاء رجل بتمر فقال انا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم يامركم ان تاكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا وفى خبر الجلندى ملك عمان لما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام قال الجلندى والله لقد دلنى على هذا النبى الامى انه لا يامر بخير الا كان اول آخذ به ولا ينهى عن شئ الا كان اول تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفى بالعهد وينجز الموعود واشهد انه نبى وقال بعضهم فى قوله تعالى يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه عليه السلام يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل قرآنا كما قال ابن رواحة شعر

لو لم تكن فيه آيات مبينة ۔ لكان منظره ينبيك بالخبر

وقد آن ان ناخذ فى ذكر النبوة والوحى والرسالة وبعده فى معجزة القرآن وما فيه من برهان ودلالة

فصل اعلم ان الله تعالى جل اسمه قادر على خلق المعرفة فى قلوب عباده والعلم بذاته واسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء ودون واسطة لو شاء كما حكى عن سنته فى بعض الانبياء وذكره بعض اهل التفسير فى قوله تعالى وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه ويكون ذلك الواسطة اما من غير البشر كالملئكة مع الانبياء او من جنسهم كالانبياء مع الامم ولا مانع لهذا من دليل العقل واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم فى جميع ما اتوا به لان المعجزة مع التحدى من النبى قائم مقام قول الله صدق عبدى فاطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه فى الذى يقول وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن اراد تتبعه

مُستقى فى مصنّفات ائمّتنا رحمهم الله تعالى والنبوّة فى لغة من همز مأخوذ من النبأ
وقد تُسهّل على هذا التأويل تسهيلا والمعنى ان الله تعالى قد اطلعه على غيبه واعلمه
انه نبيه فيكون نبى منبّأً فعيل بمعنى مفعول او يكون مخبرا بما بعثه الله به ومنبئا
بما اطلعه الله عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمزه من النبوة وهى ما ارتفع
من الارض ومعناه ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة فا
لوصفان فى حقه مؤتلفان واما الرسول فهو المرسل ولم يأت فعول بمعنى مفعل
فى اللغة الا نادرا وارساله امر الله له بالابلاغ الى من ارسله اليه واشتقاقه من
التتابع ومنه قولهم جاء الناس ارسالا اذا اتبع بعضهم بعضا فكانه الزم تكرير
التبليغ او الزمت الامة اتباعه واختلف العلماء هل النبى والرسول بمعنى او بمعنيين
فقيل هما سواء واصله من الانباء وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى فقد اثبت لهما معا الارسال قال ولا يكون
النبى الا رسولا ولا الرسول الا نبيا وقيل هما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا
فى النبوة التى هى الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص النبوة او الرفعة بمعرفة
ذلك وحوز درجتها وافترقا فى زيادة الرسالة التى للرسول وهو الامر
بالانذار والاعلام كما قلنا وحجتهم من الاية نفسها التفريق بين الاسمين فلو كانا
شيئا واحدا لما حسن تكرارهما فى الكلام البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا من نبى
الى امة او نبى ليس بمرسل الى احد وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول من جاء بشرع
مبتدأ ومن لم يأت به نبى غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار والصحيح والذى
عليه الجماء الغفير ان كل رسول نبى وليس كل نبى رسولا واول الرسل آدم وآخرهم
محمد صلى الله عليه وسلم وفى حديث ابى ذر رضى الله عنه عليه السلام ان الانبياء مائة الف
واربعة وعشرون الف نبى وذكر ان الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر اولهم آدم

فقد بان لك معنى النبوة والرسالة وليستا عند المحققين ذاتا للنبي صلى الله عليه وسلم
ولا وصف ذات خلافا للكرامية في تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل وأما الوحي
فأصله الإسراع فلما كان صلى الله عليه وسلم يتلقى ما يأتيه من ربه بعجل سمي وحيا و
سميت أنواع الإلهامات وحيا تشبيها بالوحي إلى النبي وسمي الخط وحيا لسرعة حركة
يد كاتبه ووحي الحاجب واللحظ سرعة إشارتهما ومنه قوله تعالى فأوحى إليهم أن
سبحوا بكرة وعشيا أي أومأ ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحا الوحا أي السرعة
السرعة وقيل أصل الوحي السر والإخفاء ومنه سمي الإلهام وحيا ومنه قوله تعالى وإن
الشياطين ليوحون إلى أوليائهم أي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله تعالى
وأوحينا إلى أم موسى أي ألقى في قلبها وقد قيل ذلك في قوله تعالى وما كان
لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أي ما يلقيه في قلبه دون واسطة **فصل** اعلم
أن معنى تسميتنا ما جاءت به الأنبياء معجزة هو أن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها
وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل
الله دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الإتيان بمثل القرآن
على رأي بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الإتيان بمثله
كإحياء الموتى وقلب العصا حية وإخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء
من بين الأصابع وانشقاق القمر مما لا يمكن أن يفعله أحد إلا الله تعالى فيكون ذلك
على يد النبي من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه أن يأتي بمثله تعجيز له واعلم
أن المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين
صدقه من هذين النوعين معا وهو أكثر الرسل معجزة وأبهرهم آية وأظهرهم برهانا
كما سنبينه وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فإن واحدا منها وهو القرآن لا يحصى
عدد معجزاته بألف ولا ألفين ولا أكثر لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى

بسورة منه فعجز عنها قال اهل العلم و اقصر السور انا اعطيناك الكوثر فكل اية او
آيات منه بعددها وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما نفصله فيما انطوى عليه من
المعجزات ثم معجزاته عليه الصلوٰة والسلام على قسمين قسم منها علم قطعا و نقل الينا
متواترا كالقران فلا مرية ولا خلاف بمجئ النبي صلى الله عليه وسلم به وظهوره من
قبله و استدلاله بحجته و ان انكر هذا معاند جاحد فهو كانكاره وجود محمد صلى الله
عليه وسلم في الدنيا و انما جاء اعتراض الجاحدين في الحجة به فهو في نفسه و جميع
ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة و وجه اعجازه معلوم ضرورة و نظرا كما سنشرح
ان شاء الله تعالى قال بعض ائمتنا و يجري هذا المجرى على الجملة انه قد جرى
على يديه عليه السلام آيات و خوارق عادات ان لم يبلغ واحد منها معينا القطع
فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان معانيها على يديه ولا يختلف مؤمن ولا كافر انه
جرت على يديه عجائب و انما خلاف المعاند في كونها من قبل الله وقد قدمنا كونها
من قبل الله و ان ذلك بمثابة قوله صدقت فقد علم وقوع مثل هذا ايضا من نبينا
صلى الله عليه وسلم ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم و شجاعة عنترة
وحلم احنف لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا و شجاعة هذا
وحلم هذا و ان كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته والقسم الثاني
ما لم يبلغ مبلغ الضرورة و القطع وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد
الكثير وشاع الخبر به عند المحدثين و الرواة و نقلة السير والاخبار كنبع الماء من
بين الاصابع و تكثير الطعام و نوع منه اختص به الواحد والاثنان و رواه العدد
اليسير و لم يشتهر اشتهار غيره لكنه اذا جمع الى غيره اتفقا في المعنى و اجتمعا على
الاتيان بالمعجز كما قدمنا قال القاضي ابو الفضل رحمه الله و انا اقول صدعا بالحق ان
كثيرا من هذه الايات المأثورة عنه صلى الله عليه وسلم معلومة بالقطع اما

انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه واخبر عن وجوده ولا يعدل عن ظاهره الا بدليل
وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار من طرق كثيرة فلا يوهن عزمنا خلاف اخرق
منحل عرى الدين ولا يلتفت الى سخافة مبتدع يلقى الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين
بل نرغم بهذا انفه وننبذ بالعراء سخفه وكذلك قصة نبع الماء وتكثير الطعام رواها
الثقات والعدد الكثير عن الجم الغفير عن العدد الكثير من الصحابة ومنها ما رواه
الكافة عن الكافة متصلا عمن حدث بها من الصحابة واخبارهم ان ذلك كان
في مواطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط وغزوة الحديبية
وغزوة تبوك وامثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر عن احد من الصحابة
مخالفة للراوي فيما حكاه ولا انكار لما ذكر عنهم انهم رأوه كما رآه فسكوت
الساكت منهم كنطق الناطق اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة
في كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم
وغير معروف لديهم لانكروه كما انكر بعضهم على بعض اشياء رواها من السنن و
السير وحروف القرآن وخطأ بعضهم بعضا ووهمه في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع
كله يلحق بالقطعي من معجزاته لما بيناه وايضا فان امثال الاخبار التي لا اصل لها
وبنيت على باطل لا بد مع مرور الازمان وتداول الناس واهل البحث من انكشاف
ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد في كثير من الاخبار الكاذبة والاراجيف الطارية
واعلام نبينا صلى الله عليه وسلم هذه الواردة من طريق الآحاد لا تزداد مع
مرور الزمان الا ظهورا ومع تداول القرون وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها
وتضعيف اصلها واجتهاد الملحد على اطفاء نورها الا قوة وقبولا وللطاعن عليها
الا حسرة وغليلا وكذلك اخباره عن الغيوب وانباؤه بما يكون وكان معلوم
من آياته على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطاء عليه وقد قال به من ائمتنا

القاضي والاستاذ ابي بكر وغيرهما رحمهم الله وما عندي اوجب قول القائل ان هذه
القصص المشهورة من باب خبر الواحد لقلة مطالعته للاخبار وروايتها وشغله
بغير ذلك من المعارف والا فمن اعتنى بطريق النقل وطالع الحديث والسير لم يرتب
في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه ولا يبعد ان يحصل العلم
بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر فان اكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد
موجودة وانها مدينة عظيمة ودار الامارة والخلافة وآحاد من الناس لا يعلمون
اسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من اصحاب مالك بالضرورة وتواتر
النقل عنه ان مذهبه ايجاب قراءة ام القرآن في الصلوة للمنفرد والامام و
اجزاء النية في اول ليلة من رمضان عما سواه وان الشافعي يرى تجديد النية
كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض الراس وان مذهبهما القصاص في القتل
بالمحدد وغيره وايجاب النية في الوضوء واشتراط الولي في النكاح وان ابا حنيفة
يخالفهما في هذه المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى اقوالهم لا يعرف
هذا من مذاهبهم فضلا عمن سواه وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات نزيد
الكلام فيها بيانا ان شاء الله تعالى **فصل** في اعجاز القرآن قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله تعالى اعلم وفقنا الله واياك ان كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الاعجاز
كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط انواعها في اربعة وجوه اولها حسن تاليفه و
التئام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك
انهم كانوا ارباب هذا الشان وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم ما لم
يخص به غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت انسان ومن فصل الخطاب
ما يقيد الالباب جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون منه
على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديها في المقامات وشديد

الخطب ويتحرون به بين الطعن والضرب ويتمدحون ويتقدحون ويتوسلون
ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون بالسحر الحلال ويطوقون من اوصافهم
اجمل من سمط اللآل فيخدعون الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون الاحن و
يهيجون الدمن ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص
كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوى ذو اللفظ الجزل والقول الفصل
والكلام الفخم والطبع الجوهرى والمنزع القوى ومنهم الحضرى ذو البلاغة البا
رعة والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف فى القول القليل
الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما فى البلاغة الحجة
البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج لا يشكون ان الكلام
طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا
من كل باب من ابوابها وعلوا صرحا لبلوغ اسبابها فقالوا فى الخطير والمهين
وتفننوا فى الغث والسمين وتقاولوا فى القل والكثر وتساجلوا فى النظم والنثر
فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه تنزيل من حكيم حميد احكمت اياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول
وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر ايجازه واعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه
وتبارت فى الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه واعتدل
مع ايجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه وهم افسح ما كانوا فى
هذا الباب مجالا واشهر فى الخطابة رجالا واكثر فى الشعر والسجع ارتجالا واوفى
فى الغريب واللغة مقالا بلغتهم التى بها يتحاورون ومنازعهم التى عنها يتناضلون
صارخا بهم فى كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رؤس الملاء اجمعين
ام يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا وَقَالَ تَعَالَى قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ الْآيَةَ وَقَالَ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَذَلِكَ أَنَّ الْمُفْتَرِيَ أَسْهَلُ وَضْعُ الْبَاطِلِ وَالْمُخْتَلَقِ عَلَى الِاخْتِيَارِ أَقْرَبُ وَاللَّفْظُ إِذَا تَبِعَ الْمَعْنَى الصَّحِيحَ كَانَ أَصْعَبَ وَلِهَذَا قِيلَ فُلَانٌ يَكْتُبُ كَمَا يُقَالُ لَهُ وَفُلَانٌ يَكْتُبُ كَمَا يُرِيدُ وَلِلْأَوَّلِ عَلَى الثَّانِي فَضْلٌ وَبَيْنَهُمَا شَأْوٌ بَعِيدٌ فَلَمْ يَزَلْ يُقَرِّعُهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ التَّقْرِيعِ وَيُوَبِّخُهُمْ أَشَدَّ التَّوْبِيخِ وَيُسَفِّهُ أَحْلَامَهُمْ وَيَحُطُّ أَعْلَامَهُمْ وَيُشَتِّتُ نِظَامَهُمْ وَيَذُمُّ آلِهَتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ وَيَسْتَبِيحُ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَهُمْ فِي كُلِّ هَذَا نَاكِصُونَ عَنْ مُعَارَضَتِهِ مُحْجِمُونَ عَنْ مُمَاثَلَتِهِ يُخَادِعُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالتَّشْغِيبِ بِالتَّكْذِيبِ وَالْإِغْرَاءِ بِالِافْتِرَاءِ وَقَوْلِهِمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ وَسِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ وَإِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ وَالْمُبَاهَتَةِ وَالرِّضَى بِالدَّنِيَّةِ كَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ وَفِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ وَلَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ وَالِادِّعَاءِ مَعَ الْعَجْزِ بِقَوْلِهِمْ لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا وَقَدْ قَالَ لَهُمُ اللَّهُ وَلَنْ تَفْعَلُوا فَمَا فَعَلُوا وَلَا قَدَرُوا وَمَنْ تَعَاطَى ذَلِكَ مِنْ سُخَفَائِهِمْ كَمُسَيْلِمَةَ كَشَفَ عَوَارَهُ لِجَمِيعِهِمْ وَسَلَبَهُمُ اللَّهُ مَا أَلِفُوهُ مِنْ فَصِيحِ كَلَامِهِمْ وَإِلَّا فَلَمْ يَخْفَ عَلَى أَهْلِ الْمَيْزِ مِنْهُمْ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَمَطِ فَصَاحَتِهِمْ وَلَا جِنْسِ بَلَاغَتِهِمْ بَلْ وَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ وَأَتَوْا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ مِنْ بَيْنِ مُهْتَدٍ وَبَيْنِ مَفْتُونٍ وَلِهَذَا لَمَّا سَمِعَ الْمُغِيرَةُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ الْآيَةَ قَالَ وَاللَّهِ إِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُغْدِقٌ وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُثْمِرٌ مَا يَقُولُ هَذَا بَشَرٌ وَذَكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ فَسَجَدَ وَقَالَ سَجَدْتُ لِفَصَاحَتِهِ وَسَمِعَ آخَرُ رَجُلًا يَقْرَأُ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا فَقَالَ أَشْهَدُ أَنَّ

مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يوما
نائما فى المسجد فاذا هو بقائم على رأسه يتشهد بشهادة الحق فاستخبره فاعلمه انه
من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين
يقرأ آية من كتابكم فتأملتها فاذا قد جمع فيها ما انزل الله على عيسى بن مريم من احوال
الدنيا والآخرة وهى قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك
هم الفائزون وحكى الاصمعى انه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله ما افصحك فقالت
او يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الآية
فجمع الله فى آية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين فهذا نوع من اعجازه
منفرد بذاته غير مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح من القولين وكون القرآن
من قبل النبى صلى الله عليه وسلم وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه عليه السلام
متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة وكونه فى فصاحته
خارقا للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس
من اهلها علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته واعتراف المقرين باعجاز
بلاغته وانت اذا تاملت قوله تعالى ولكم فى القصاص حيوة وقوله ولو ترى
اذ فزعوا فلا فوت الآية وقوله ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه
عداوة كانه ولى حميم وقوله قيل يا ارض ابلعى ماءك الآية وقوله فكلا اخذنا
بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا الآية واشباهها من الآى بل اكثر القرآن
حققت ما بينته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تاليف
حروفها وتلاؤم كلمها وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما
زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات المستنبطة
عنها ثم هو فى سرد القصص الطوال واخبار القرون السوالف التى يضعف فى عادة

الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتأمله من ربط الكلام بعضه
ببعض والتيام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف على طولها ثم اذا ترددت قصصه
اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها
ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا معاداة للمعاد منها فصل الوجه الثاني من اعجاز القرآن
صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها
ونثرها الذي جاء عليه ووقفت عليه مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته
اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع احد مماثلة شيء منه بل
حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم
من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن
المغيرة وقرأ عليه القرآن رق له فجاءه ابو جهل منكرا عليه فقال والله ما منكم
احد اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا وفي خبره الآخر
حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه رأيا لا يكذب
بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه
قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو
بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو
بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال
ما انتم بقائلين من هذا شيئا الا وانا اعرف انه باطل وان اقرب القول انه ساحر
وانه سحر يفرق بين المرء وابنه والمرء واخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته
فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس فانزل الله تعالى في الوليد ذرني
ومن خلقت وحيدا الآيات وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن يا قوم قد علمتم
اني لم اترك شيئا الا وقد علمته وقرأته وقلته ولقد سمعت قولا والله ما سمعت

مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر بن الحارث مثله وفي حديث اسلام ابي ذر ووصف اخاه انيسا فقال والله ما سمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر رجلا في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجاء الى ابي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقراء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون والاخبار في هذا صحيحة كثيرة والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها او الاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد منهما خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها والى هذا ذهب غير واحد من ائمة المحققين وذهب بعض المقتدى بهم الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب واتى على ذلك بقول تمجه الاسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا ومن تفنن في علوم البلاغة وارهف خاطره ولسانه ادب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد اختلف ائمة اهل السنة في وجه عجزهم عنه فاكثرهم يقول انه ما جمع في قوة جزالته ونصاعة الفاظه وحسن نظمه وايجازه وبديع تاليفه واسلوبه لا يصح ان يكون في مقدور البشر وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق عليها كاحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصا وذهب الشيخ ابو الحسن الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله تعالى عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من اصحابه وعلى الطريقين فعجز العرب عنه ثابت واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون في مقدور البشر وتحديهم بان ياتوا بمثله قاطع وهو ابلغ في التعجيز واحرى بالتقريع و

الاحتياج بمجئ بشر مثله وبشئ ليس من قدرة البشر لازم وهو ابهر آية واقمع دلالة
وعلى كل حال فما اتوا فى ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات
الصغار والذل وكانوا من شموخ الانف وابائية الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك
اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا والا فالمعارضة لو كانت من قدرهم والشغل بها
اهون عليهم واسرع بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم وهم من هم قدرة
على الكلام وقدوة فى المعرفة به لجميع الانام وما منهم الا من جهد جهده واستنفد
ما عنده فى اخفاء ظهوره واطفاء نوره فما جلوا فى ذلك خبيئة من بنات شفاههم
ولا اتوا بنطفة من معين مياههم مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد
وما ولد بل ابلسوا فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان من اعجازه

فصل

الوجه الثالث من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما
لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد وعلى الوجه الذى اخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد
الحرام ان شاء الله آمنين وقوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله ليظهره
على الدين كله وقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم فى الارض الاية وقوله اذا جاء نصر الله والفتح الى آخرها
فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس فى بضع سنين ودخل الناس الاسلام
افواجا فما مات عليه السلام وفى بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام و
استخلف المؤمنين فى الارض ومكن فيها دينهم وملكهم اياها من اقصى المشارق
الى اقصى المغارب كما قال عليه السلام زويت لى الارض فاريت مشارقها و
مغاربها وسيبلغ ملك امتى ما زوى لى منها وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا
له لحافظون فكان كذلك لا يكاد يعد من يسعى فى تغييره وتبديل محكمه من
الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة فاجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفا

على خمسمائة عام فما قدر واحد على اطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلمه ولا
تشكيك المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله سيهزم
الجمع ويولون الدبر وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم الآية وقوله
هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق الآية وقوله لن يضروكم إلا أذى
الآية فكان كل ذلك وما فيه من كشف أسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم
في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول
الآية وقوله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك الآية وقوله ومن الذين هادوا
يحرفون الكلم عن مواضعه الى قوله في الدين وقد قال مبديا ما قدره الله
وما اعتقده المؤمنون يوم بدر وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم الآية
ومنه قوله إنا كفيناك المستهزئين ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
أصحابه بأن الله كفاه إياهم وكان المستهزؤن نفرا بمكة ينفرون الناس عنه
ويؤذونه فهلكوا وقوله والله يعصمك من الناس فكان كذلك على كثرة من رام
ضره وقصد قتله والأخبار بذلك معروفة صحيحة **فصل** الوجه الرابع ما
أنبأه به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الداثرة مما كان
لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في
تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه فيعترف
العالم بذلك بصحته وصدقه وأن مثله لم ينله بتعليم وقد علموا أنه عليه
الصلوة والسلام أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة ولم يغب عنهم
ولا جهل حاله أحد منهم وقد كان أهل الكتاب كثيرا ما يسئلونه عليه السلام
عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الأنبياء وخبر
موسى والخضر ويوسف وإخوته وأصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان و

ابنه واشباه ذلك من الانباء والقصص بدء الخلق وما في التوراة والانجيل
والزبور وصحف ابراهيم وموسى ومما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على
تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق آمن بما سبق له من خير ومن
شقي معاند حاسد ومع هذا لم يحك عن احد من النصارى واليهود على شدة
عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم
بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له صلى الله عليه وسلم وتعنيتهم
اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه
لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين و
اصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم اسرائيل على نفسه وما حرم عليهم
من الانعام ومن طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله ذلك
مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل وغير ذلك من امورهم التي نزل فيها القرآن
فاجابهم وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك انه انكر ذلك
وكذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقاله واعترف بعناده وحسده
اياه كاهل نجران وابن صوريا وابن اخطب وغيرهم ومن باهت في ذلك
بعض المباهتة وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة دعي الى اقامة
حجته وكشف دعوته فقيل له فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين
الى قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعا الى احضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما
جحده ومتواقح يلقي على فضيحته من كتابه يده ولم يؤثر ان واحدا منهم اظهر
خلاف قوله من كتبه ولا ابدى صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله تعالى
يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب
ويعفو عن كثير الآيتين فصل هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة لا نزاع

فيها ولا مرية وسنشرح الوجوه البينة في اعجازه من غير هذه الوجوه اي ورد بتعجيز قوم في قضايا واعلامهم انهم لا يفعلون بها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة الاية قال ابو اسحق الزجاج في هذه الاية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله وصحة ما اوحي اليه اذ لم يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته قال ابو محمد الاصيلي من اعجب امرهم انه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم امر الله تعالى بذلك نبيه يقدم عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم وكذلك آية المباهلة من هذا حيث وفد عليه اساقفة نجران وابوا الاسلام فانزل الله عليه اية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم الاية فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي وانه ما لاعن قوم نبيا قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله وان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم انهم لا يفعلون فكان كما قال وهذه الآية ادخل في باب الاخبار عن الغيب لكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها

فصل

ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وابانة خطره وهي على المكذبين به اعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال عليه السلام ان القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم

وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته إياه مع تلاوته توليه انجذاباً وتكسبه
هشاشة لميل قلبه إليه وتصديقه به قال تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون
ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل
الآية ويدل على ان هذا شيء خص به انه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره
كما روي عن نصراني انه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له مم بكيت قال للشجا والنظم
وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده فمنهم من اسلم لها لاول وهلة
وآمن به ومنهم من كفر فحكي في الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون الى
قوله المسيطرون كاد قلبي ان يطير وفي رواية وذلك اول ما وقر الايمان في قلبي
وعن عتبة بن ربيعة انه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه
فتلا عليهم حم فصلت الى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة بيده
على في النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف وفي رواية فجعل النبي صلى الله
عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمد عليهما حتى انتهى الى السجدة
فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لا يدري بما يراجعه ورجع الى اهله و
لم يخرج الى قومه حتى اتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت
اذناي بمثله قط والله ما دريت ما اقول له وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته
انه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكي ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه
وشرع فيه فمر بصبي يقرأ وقيل يا ارض ابلعي ماءك فرجع فمحا ما عمل وقال اشهد
ان هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان من افصح اهل وقته وكان يحيى بن حكم
الغزال بليغ الاندلس في زمنه فحكي انه رام شيئاً من هذا فنظر في سورة الاخلاص
ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترتني خشية ورقة حملتني على التوبة

والاستغفار فصل ومن وجوه اعجازه المعدودة كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت
الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وسائر معجزات الانبياء انقضت بانقضاء
اوقاتها فلم يبق الا خبرها والقرآن العزيز الباهرة آياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه
اليوم مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة لاول نزوله الى وقتنا هذا حجته قاهرة
ومعارضته ممتنعة والاعصار كلها طافحة باهل البيان وحملة علم اللسان وائمة
البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادي للشرع
عتيد فما منهم من اتى بشيء يؤثر في معارضته ولا ألف كلمتين في مناقضته
ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند شحيح
بل المأثور عن كل من رام ذلك القاؤه في العجز بيديه والنكوص على عقبيه فصل
وقد عد جماعة من الائمة ومقلدي الامة في اعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لا يمله
وسامعه لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا
طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى
اذا اعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويؤنس بتلاوته في الازمات وسواه
من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى احدث اصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك
اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن
بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل
ولا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة هو الذي لم تنته
الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ومنها
جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته
خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها احد من علماء الامم ولا يشتمل عليها كتاب

من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الامم ببراهين قوية وادلة بينة سهلة الالفاظ موجزة المقاصد رام المتمنون لقوت بعد ان ينصبوا ادلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم وقل يحييها الذي انشاها اول مرة ولو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا الى ما حواه من علوم السير وانباء الامم والمواعظ والحكم واخبار الدار الاخرة ومحاسن الاداب والشيم قال الله جل اسمه ما فرطنا في الكتب من شيء ونزلنا عليك الكتب تبيانا لكل شيء ولقد صرفنا للناس في هذا القران من كل مثل وقال عليه السلام ان الله انزل هذا القران امرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نباكم وخبر من كان قبلكم ونبا ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به اقسط ومن عمل به اجر ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره اضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود وقال فيه لا يختلف ولا يتشان فيه نبا الاولين والاخرين وفي الحديث قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم اني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن كعب عليكم بالقران فانه فهم العقول ونور الحكمة وقال الله تعالى ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى الاية فجمع فيه مع وجازة الفاظه وجوامع كلمه اضعاف ما في الكتب قبله التي الفاظها على الضعف منه مرات ومنها جمعه فيه بين الدليل والمدلول

وذلك انه احتج بنظم القران وحسن وصفه وايجازه وبلاغته واثناء هذه البلاغة امره
ونهيه ووعده ووعيده فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معاً من كلام واحد
وسورة منفردة ومنها ان جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور
لان المنظوم اسهل على النفوس واوعى للقلوب واسمع في الاذان واحلى على الافهام فالناس
اليه اميل والاهواء اليه اسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه
قال الله تعالى ولقد يسرنا القران للذكر وسائر الامم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف
الجماء على مرور السنين عليهم والقران ميسر حفظه للغلمان في اقرب مدة ومنها مشاكلة
بعض اجزائه بعضا وحسن ائتلاف انواعها والتئام اقسامها وحسن التخلص من قصة
الى اخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة
على امر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد وتفريد وترغيب وترهيب الى
غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت
قوته ولانت جزالته وقل رونقه وتقلقلت الفاظه فتامل اول ص وما جمع فيها
من اخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من
تكذيبهم لمحمد وتعجبهم مما اتى به والخبر عن اجتماع ملائهم على الكفر وما ظهر من الحسد
في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا والاخرة وتكذيب الامم قبلهم
واهلاك الله لهم ووعيد هولاء مثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم
على اذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم اخذ في ذكر داود وقصص الانبياء كل هذا
في اوجز كلام واحسن نظام ومنه الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة
وهذا كله وكثير مما ذكرنا انه ذكر في اعجاز القران الى وجوه كثيرة ذكرها الائمة لم
نذكرها اكثرها داخل في باب بلاغته فلا يجب ان يعد فنا منفردا في اعجازه الا في باب
تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه وفضائله

لا في عجازه وحقيقة الاعجاز الوجوه الاربعة التي ذكرناها فليعتمد عليها وما بعدها من
خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي وبالله التوفيق **فصل** في انشقاق القمر وحبس
الشمس قال الله تعالى اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا
سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ اخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي واعراض الكفرة عن آياته واجمع
المفسرون واهل السنة على وقوعه اخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه نا القاضي
سراج بن عبد الله نا الاصيلي نا المروزي نا الفربري نا البخاري نا مسدد نا يحيى ابن
سعيد عن شعبة وسفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن ابي معمر عن ابن مسعود قال
انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه
فقال عليه الصلوة والسلام اشهدوا وفي رواية مجاهد ونحن مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي بعض طرق الاعمش بمنى ورواه ايضا عن ابن مسعود الاسود وقال حتى
رأيت الجبل بين فرجتي القمر ورواه عنه مسروق انه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش
سحركم ابن ابي كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر فانه لا يبلغ من سحره ان
يسحر الارض كلها فاسئلوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا فأتوهم فسئلوهم فاخبروهم
انهم رأوا مثل ذلك وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه وقال فقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا
الى اهل الآفاق حتى ينظروا أرأوا ذلك ام لا فاخبر اهل الآفاق انهم رأوه منشقا فقالوا
يعني الكفار هذا سحر مستمر ورواه ايضا عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء اربعة عن عبد الله
وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم انس وابن عباس وابن عمر وحذيفة
وعلي وجبير بن مطعم فقال علي من رواية ابي حذيفة الارحبي انشق القمر ونحن مع النبي
صلى الله عليه وسلم وعن انس سأل اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فاراهم انشقاق القمر فرقتين حتى رأوا حراء بينهما
رواه عن انس قتادة وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه اراهم القمر مرتين انشقاقه
فنزلت اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه

جبیر بن مطعم ورواه عن ابن عباس عبید الله بن عبد الله بن عتبة ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذیفة ابو عبد الرحمن السلمی ومسلم بن ابی عمران الازدی واکثر طرق هذه الاحادیث صحیحة والآیة مصرحة ولا یلتفت الی اعتراض مخذول بانه لو کان هذا لم یخف علی اهل الارض اذ هو شیء ظاهر لجمیعهم اذ لم ینقل لنا عن اهل الارض انهم رصدوه تلک اللیلة فلم یروه انشق ولو نقل الینا عمن لا یجوز تمالؤهم لکثرتهم علی الکذب لما کانت علینا به حجة اذ لیس القمر فی حد واحد لجمیع اهل الارض فقد یطلع علی قوم قبل ان یطلع علی آخرین وقد یکون من قوم بضد ما هو من مقابلیهم من اقطار الارض ویحول بین قوم وبینه سحاب او جبال ولهذا نجد الکسوفات فی بعض البلاد دون بعض وفی بعضها جزئیة وفی بعضها کلیة وفی بعضها لا یعرفها الا المدعون لعلمها ذلک تقدیر العزیز العلیم وآیة القمر کانت لیلا والعادة من الناس فی اللیل الهدو والسکون وایجاف الابواب وقطع التصرف ولا یکاد یعرف من امور السماء شیئا الا من رصد ذلک واهتبل به ولذلک ما یکون الکسوف القمری کثیرا فی البلاد واکثرهم لا یعلم به حتی یخبر وکثیر ما حدث الثقات بعجائب یشهدونها من انوار ونجوم طوالع عظام تظهر فی الاحیان باللیل فی السماء ولا علم عند احد منها واخرج الطحاوی فی مشکل الحدیث عن اسماء بنت عمیس من طریقین ان النبی صلی الله علیه وسلم کان یوحی الیه ورأسه فی حجر علی فلم یصل العصر حتی غربت الشمس فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم اصلیت یا علی قال لا فقال علیه السلام اللهم انه کان فی طاعتک وطاعة رسولک فاردد علیه الشمس قالت اسماء فرأیتها غربت ثم رأیتها طلعت بعد ما غربت ووقفت علی الجبال والارض وذلک بالصهباء فی خیبر قال وهذان الحدیثان ثابتان ورواتهما ثقات وحکی الطحاوی ان احمد بن صالح کان یقول لا ینبغی لمن سبیله العلم التخلف عن حفظ حدیث اسماء لانه من علامات النبوة وروی

يونس بن بكير فى زيادة المغازى بروايته عن ابن اسحاق لما اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة التى فى العير قالوا متى تجئ قال يوم الاربعاء قال فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار فلم تجئ فدعا عليه الصلوة والسلام فزيد له فى النهار ساعة وحبست عليه الشمس فصل فى نبع الماء من بين اصابعه وتكثيره ببركته عليه الصلوة والسلام قال القاضى ابو الفضل رحمه الله تعالى اما الاحاديث فى هذا فكثيرة جدا وروى حديث نبع الماء من بين اصابعه عليه السلام جماعة من الصحابة منهم انس وجابر وابن مسعود نا ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله تعالى بقراتى عليه قال نا القاضى عيسى بن سهل نا ابو القاسم حاتم بن محمد نا ابو عمر بن الفخار نا ابو عيسى نا يحيى نا مالك عن اسحاق بن عبد الله بن ابى طلحة عن انس بن مالك قال رايت النبى صلى الله عليه وسلم وحانت صلوة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فاتى النبى صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك الاناء يده وامر الناس ان يتوضؤا منه قال فرايت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤا من عند اخرهم ورواه ايضا عن انس قتادة وقال باناء فيه ماء يغمر اصابعه او لا يكاد يغمر قال كم كنتم قال زهاء ثلاثمائة وفى رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق ورواه ايضا حميد وثابت والحسن عن انس وفى رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت عنه وعنه ايضا وهم نحو من سبعين رجلا واما ابن مسعود ففى الصحيح عنه من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء فاتى بماء فصبه فى اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم وفى الصحيح عن سالم بن ابى الجعد عن جابر عطش الناس يوم الحديبية

ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ منها واقبل الناس نحوه قالوا ليس
عندنا ماء الا في ركوتك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء
يفور من بين اصابعه كامثال العيون وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة الف لكفانا
كنا خمس عشرة مائة وروى مثله عن انس عن جابر وفيه انه كان بالحديبية وفي
رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط
قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث
بطوله وانه لم يجد الا قطرة في عزلاء شجب فاتي به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه
وتكلم بشيء لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة الركب فاتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر
ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق اصابعه وصب جابر عليه وقال
بسم الله كما امره قال فرايت الماء يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت
حتى امتلأت وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي احد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى وعن الشعبي ان النبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره باداوة ماء و
قيل ما معنا لرسول الله ماء غيرها فسكبها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركوة ووضع اصبعه وسطها وغمسها في الماء
وجعل الناس يجيئون ويتوضؤون ثم يقومون قال الترمذي وفي الباب عن عمران بن حصين
ومثل هذا في هذه المواطن الحفيلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به
لانهم كانوا اسرع شيء الى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك ولانهم كانوا
ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء قد رووا هذا واشاعوه ونسبوا حضور الجم الغفير له
ولم ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه وشاهدوه فصار
كتصديق جميعهم له **فصل** ومما يشبه هذا من معجزاته تفجير الماء ببركته وانبعاثه
بمسه ودعوته ما رواه مالك في الموطا عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك وانهم
وردوا العين وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع

فی شیء ثم غسل رسول الله صلی الله علیه وسلم فیه وجهه ویدیه ثم اعاده فیها فجرت العین بماء کثیر
فاستقی الناس قال فی حدیث ابن اسحاق فانخرق من الماء ماله حس کحس الصواعق ثم
قال یوشك یا معاذ ان طالت بك حیاة ان تری ما ههنا قد ملیء جنانا وفی حدیث
البراء وسلمة بن الاکوع وحدیثه اتم فی قصة الحدیبیة وهم اربع عشرة مائة وبئرها
لا تروی خمسین شاة فنزحناها فلم نترك فیها قطرة فقعد رسول الله صلی الله علیه
وسلم علی جباها قال البراء واتی رسول الله صلی الله علیه وسلم بدلو منها فبصق فدعا
وقال سلمة فاما دعا واما بصق فیها فجاشت فارووا انفسهم ورکابهم وفی غیر هاتین
الروایتین فی هذه القصة من طریق ابن شهاب فی الحدیبیة فاخرج سهما من کنانته
فوضع فی قعر قلیب لیس فیه ماء فروی الناس حتی ضربوا بعطن وعن ابی قتادة
وذکر ان الناس شکوا الی رسول الله صلی الله علیه وسلم العطش فی بعض اسفاره
فدعا بالمیضأة فجعلها فی ضبنه ثم التقم فمها فالله اعلم انفث فیها ام لا فشرب الناس
حتی رووا وملؤا کل اناء معهم فخیل الی انها کما اخذها منی وکانوا اثنین وسبعین
رجلا وروی مثله عمران بن حصین وذکر الطبری حدیث ابی قتادة علی غیر ما ذکره اهل
الصحیح وان النبی صلی الله علیه وسلم خرج لهم ممدا لاهل مؤتة عندما بلغه قتل الامراء
وذکر حدیثا طویلا فیه معجزات وآیات للنبی صلی الله علیه وسلم وفیه اعلامهم انهم
یفقدون الماء فی غد وذکر حدیث المیضأة قال والقوم زهاء ثلاثمائة وفی کتاب مسلم
انه قال لابی قتادة احفظ علی میضأتك فانه سیکون لها نبأ عظیم وذکر نحوه ومن
ذلك حدیث عمران بن حصین حین اصاب النبی صلی الله علیه وسلم واصحابه عطش
فی بعض اسفارهم فوجه رجلین من اصحابه واعلمهما انهما یجدان امرأة بمکان
کذا معها بعیر علیه مزادتان الحدیث فوجداها واتیا بها الی النبی صلی الله علیه وسلم
فجعل فی اناء من مزادتیها وقال فیه ما شاء الله ان یقول ثم اعاد الماء فی المزادتین

ثم نحيت عن إليهما وامر الناس فملؤا أسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا إلا ملؤه قال عمران وتخيل إلى انهما لم تزدادا إلا امتلاء ثم امر فجمع للمراة من الازواد حتى ملأ ثوبها وقال اذهبي فانا لم ناخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا الحديث بطوله وعن سلمة بن الاكوع قال قال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل بإداوة فيها نطفة فافرغها في قدح فتوضأنا كلنا ندغفقه دغفقة اربع عشرة مائة وفي حديث عمر في جيش العسرة وذكر ما اصابهم من العطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه فرغب ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملؤا ما معهم من آنية ولم تجاوز العسكر وعن عمرو بن شعيب ان ابا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت وليس عندي ماء فنزل النبي صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال اشرب والحديث في هذا الباب كثير ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه

فصل ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته ودعائه صلى الله عليه وسلم حدثنا القاضي الشهيد ابو علي نا العذري نا الرازي نا الجلودي نا ابن سفيان نا مسلم بن الحجاج نا سلمة بن شبيب نا الحسن بن اعين نا معقل عن ابي الزبير عن جابر ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال ياكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال لو لم تكله لاكلتم منه ولقام بكم ومن ذلك حديث ابي طلحة المشهور واطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين او سبعين رجلا من اقراص من شعير جاء بها انس تحت يده اي ابطه فامر بها ففتت وقال فيها ما شاء الله ان يقول وحديث جابر في اطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق الف رجل من صاع شعير وعناق وقال جابر فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين

والبركة وبارك دعا عن جابر سعيد بن ميناء والبين وعن ثابت مثله عن رجل من الانصار
وامرأة ولم يسمهما قال وجيء بمثل الكف فجعل يبسطها رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الاناء ويقول ما شاء الله فاكل به من في البيت والحجرة والدار وكان ذلك قد امتلأ
ممن قدم معه عليه السلام لذلك وبقي بعد ما شبعوا مثل ما كان في الاناء وحديث
ابي ايوب انه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر من الطعام زهاء ما
يكفيهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين من اشراف الانصار فدعاهم
فاكلوا حتى تركوه ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فاكلوا
حتى تركوه وما خرج منهم احد حتى اسلم وبايع قال ابو ايوب فاكل من طعامي مائة
وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب اتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم
فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن
بن ابي بكر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر في الحديث انه عجن
صاع من طعام وصنعت شاة فشوي سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلاثين ومائة
الا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل في القصعتين
فحملته على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي عمرة الانصاري عن ابيه ومثله
لسلمة بن الاكوع وابي هريرة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم فذكروا مخمصة اصابت
الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد فجاء
الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك واعلاهم الذي اتى بالصاع من التمر فجمعه
على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس باوعيتهم فما بقي في الجيش
وعاء الا ملؤوه وبقي منه وعن ابي هريرة رضي الله عنه امرني النبي صلى الله عليه
وسلم ان ادعو له اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين ايدينا صحفة
فاكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت الا ان فيها اثر الاصابع وعن

علي بن ابي طالب رضي الله عنه جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب
وكانوا اربعين منهم قوم يأكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام
فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كانه لم يشرب
وقال انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب امره
ان يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت حتى امتلأ البيت والحجرة وقدم اليهم
تورا فيه قدر مد من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلاث اصابعه وجعل القوم
يتغدون ويخرجون وبقي التور نحو ما كان وكان القوم احدا واثنين وسبعين
وفي رواية اخرى في هذه القصة او مثلها ان القوم كانوا زهاء ثلاثمائة وانهم
اكلوا حتى شبعوا وقال لي ارفع فلا ادري حين وضعت كانت اكثر ام حين رفعت وفي حديث
جعفر بن محمد عن ابيه عن علي رضي الله عنه ان فاطمة طبخت قدرا لغدائهما
ووجهت عليا الى النبي صلى الله عليه وسلم ليتغدى معهما فامرها فغرفت
منها لجميع نسائه صحفة صحفة ثم له صلى الله عليه وسلم ولعلي ثم لها ثم رفعت
القدر وانها لتفيض قال فاكلنا منها ما شاء الله وامر عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ان يزود اربعمائة راكب من احمس فقال يا رسول الله ما هي الا اصوع فقال اذهب
فذهب فزودهم منها وكان قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية
دكين الاحمسي ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان بن مقرن الخبر بعينه
الا انه قال اربعمائة راكب من مزينة ومن ذلك حديث جابر في دين ابيه بعد
موته وكان قد بذل لغرماء ابيه اصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها كفاف دينهم
فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان امره بجدادها وجعلها بيادر في اصولها
فمشى فيها ودعا فاوفى منها جابر غرماء ابيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل
سنة وفي رواية مثل ما اعطاهم قال وكان الغرماء يهود فتعجبوا من ذلك وقال ابو هريرة

اوباب الناس مخمصة فقال لی رسول الله صلی الله علیه وسلم هل من شیٔ قلت نعم شیٔ من التمر فی المزود قال فأتنی به فادخل یده فاخرج قبضة فبسطها ودعا بالبرکة ثم قال ادع عشرة فاکلوا حتی شبعوا ثم عشرة کذلک حتی اطعم الجیش کلهم وشبعوا قال خذ ما جئت به وادخل یدک وکل منه ولا تکبه فقبضت علی اکثر مما جئت به فاکلت منه واطعمت حیاة رسول الله صلی الله علیه وسلم وابی بکر وعمر الی ان قتل عثمان فانتهب منی فذهب وفی روایة فقد حملت من ذلک التمر کذا وکذا من وسق فی سبیل الله وذکرت مثل هذه الحکایة فی غزوة تبوک وان التمر کان بضع عشرة تمرة ومنه ایضا حدیث ابی هریرة حین اصابه الجوع فاستتبعه صلی الله علیه وسلم فوجد لبنا فی قدح قد اهدی الیه وامره ان یدعو له اهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فیهم کنت احق ان اصیب منه شربة اتقوی بها فدعوتهم وذکر امر النبی صلی الله علیه وسلم له ان یسقیهم فجعلت اعطی الرجل فیشرب حتی یروی ثم یاخذه الاخر حتی روی جمیعهم قال فاخذ النبی صلی الله علیه وسلم القدح وقال بقیت انا وانت قعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب وما زال یقولها واشرب حتی قلت لا والذی بعثک بالحق ما اجد له مسلکا فاخذ القدح فحمد الله وسمی وشرب الفضلة وفی حدیث خالد بن عبد الخزاعی انه اجزر للنبی صلی الله علیه وسلم شاة وکان عیال خالد کثیرا یذبح الشاة فلا تبدد عیاله عظما عظما وان النبی صلی الله علیه وسلم اکل من هذه الشاة وجعل فضلتها فی دلو خالد ودعا له بالبرکة فنثر ذلک لعیاله فاکلوا وافضلوا ذکره الدولابی ومن حدیث الاجری فی نکاح النبی صلی الله علیه وسلم علیا فاطمة ان النبی صلی الله علیه وسلم امر بلالا بقصعة من اربعة امداد او خمسة ویذبح جزورا لولیمتها قال فاتیته بذلک فطعن فی راسها ثم ادخل الناس رفقة رفقة یاکلون منها حتی فرغوا وبقیت منها فضلة فبرک فیها وامر بحملها الی ازواجه

ثم قال كل واطعم من خشيت وفي حديث انس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم
فصنعت امي ام سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ضعه وادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم ادع احدا لقيته الا دعوته
وذكر انهم كانوا زهاء ثلاثمائة حتى ملؤا الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله عليه
وسلم تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا
فيه وقال ما شاء الله ان يقول فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع فما ادري
حين وضعت كان اكثر ام حين رفعت واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة في الصحيح وقد اجتمع على معنى
حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم اضعافهم من التابعين ثم
من لا ينعد بعدهم واكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهودة لا يمكن التحدث عنها
الا بالحق ولا يسكت الحاضر لما علم انكر فصل في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة
واجابتها دعوته حدثنا احمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما اجازنيه عن
ابي عمر الطلمنكي عن ابي بكر بن المهندس عن ابي القاسم البغوي نا احمد بن عمران الاخنسي
نا ابو حيان التيمي وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في سفر فدنا منه اعرابي فقال يا اعرابي اين تريد قال الى اهلي قال هل لك الى
خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده و
رسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي
فادعها فانها تجيبك قال فدعاها فاقبلت تخد الارض حتى قامت بين يديه فا
ستشهدها ثلاثا فشهدت انه كما قال ثم رجعت الى مكانها وعن بريدة سال اعرابي النبي صلى
الله عليه وسلم اية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك قال
فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد
الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقالت

السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها
في ذلك الموضع فاستقرت فقال الاعرابي ايذن لي اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد
لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها قال فاذن لي ان اقبل يديك ورجليك فاذن له و
في الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي
حاجته فلم ير شيئا يستتر به فاذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى احدهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله فانقادت
معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده وذكر انه فعل بالاخرى مثل ذلك حتى اذا
كان بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله فالتأمتا وفي رواية اخرى فقال
يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك حتى
اجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت احضر و
جلست احدث نفسي فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد
افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقفة فقال براسه هكذا يمينا وشمالا وروى اسامة بن زيد نحوه قال قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل تعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل او حجارة فقلت
ارى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يأمركن ان تاتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت
ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق لقد رايت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن
حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي نفسي
بيده لكاني انظر اليهن والحجارة يفترقن حتى عدن الى مواضعهن وقال يعلى بن سيابة كنت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سير وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر فامر

ويحكي ايضا في رواية اسامة بن زيد وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين و
عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في غزاة حنين وعن يعلى بن مرة وهو
ابن سيابة ايضا وذكر اشياء راها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ان
طلحة او سمرة جاءت فاطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال عليه الصلوة والسلام انها
استاذنت ان تسلم علي وفي حديث عبد الله بن مسعود اذنت النبي صلى الله عليه وسلم
بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث ان الجن قالوا من
يشهد لك قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل الحديث
الاول او نحوه قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وا
بن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب وابن
عباس وغيرهم رضي الله عنهم قد اتفقوا على هذه القصة نفسها او معناها ورواها
عنهم من التابعين اضعافهم فصارت في انتشارها من القوة حيث هي وذكر ابن
فورك انه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف ليلا وهو وسن فاعترضته
سدرة فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا وهي هناك
معروفة معظمة ومن ذلك حديث انس ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه
وسلم وراه حزينا اتحب ان اريك اية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه
فقال مرها فلترجع فعادت الى مكانها وعن علي نحو هذا ولم يذكر فيه جبريل قال اللهم
ارني اية لا ابالي من كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه عليه السلام
لتكذيب قومه وطلبه الاية لهم لا له وذكر ابن اسحاق ان النبي صلى الله عليه وسلم
ارى ركانة مثل هذه الاية في شجرة دعاها فاتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي
فرجعت وعن الحسن انه عليه السلام شكى الى ربه من قومه وانهم يخوفونه وساله

ايه يعلم بها ان لا مخافة عليه فاوحى الله اليه ان ائت وادي كذا فيه شجرة فادع
غصنا منها يأتك ففعل فجاء يخط الارض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء
ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال يا رب علمت ان لا مخافة علي ونحوه عن عمر وقال
فيه ارني اية لا ابالي من كذبني بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس انه عليه الصلوة
والسلام قال لاعرابي ارايت ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة اتشهد اني رسول الله
قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى اتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه وخرجه الترمذي وقال
هذا حديث صحيح **فصل** في قصة حنين الجذع وبعض هذه الاخبار حديث انين
الجذع وهو في نفسه مشهور منتشر والخبر به متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه من
الصحابة بضعة عشر منهم ابي بن كعب وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله بن
عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدري وبريدة وام سلمة و
المطلب بن ابي وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذي وحديث انس صحيح
قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع النخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت
العشار وفي رواية انس حتى ارتج المسجد بخواره وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما
راوا به وفي رواية المطلب حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع
يده عليه فسكت زاد غيره فقال عليه الصلوة والسلام ان هذا بكى لما فقد من الذكر
وزاد غيره والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيامة تحزنا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر كذا
في حديث المطلب وسهل بن سعد واسحاق عن انس وفي بعض الروايات عن سهل
فدفن تحت المنبر او جعلت في السقف وفي حديث ابي فكان اذا صلى النبي صلى الله
عليه وسلم صلى اليه فلما هدم المسجد اخذه ابي فكان عنده الى ان اكلته الارض وعاد

ذُرفانا وذكر الاسفرايني انّ النبيّ صلى الله عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاءه يخرق
الارض بالزرنمة ثم امره فعاد الى مكانه وفي حديث بريدة فقال يعني النبي صلى الله عليه
وسلم ان شئت اردّك الى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك
ويجدد لك خوص وثمرة وان شئت اغرسك في الجنة فيأكل اولياء الله من ثمرك
ثم اصغى له النبيّ صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فيأكل
مني اولياء الله واكون في مكان لا أبلى فيه فسمعه من يليه فقال عليه السلام
قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن رضي الله عنه اذا
حدّث بهذا الحديث بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحنّ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
شوقا اليه لمكانه فانتم احقّ ان تشتاقوا الى لقائه رواه عن جابر بن حفص بن عبيد الله
ويقال عبيد الله بن حفص وايمن وابو نضرة وابن المسيب وسعيد بن ابي كرب وكريب
وابو صالح ورواه عن انس بن مالك الحسن وثابت واسحاق بن ابي طلحة ورواه عن
ابن عمر نافع وابو حيّة ورواه ابو نضرة وابو الودّاك عن ابي سعيد وعمار بن ابي عمار
عن ابن عباس وابو حازم وعباس بن سهل بن سعد عن سهل بن سعد وكثير بن
زيد عن المطلب وعبد الله بن بريدة عن ابيه والطفيل بن ابيّ عن ابيه قال المؤلف
رحمه الله فهذا حديث كما تراه خرّجه اهل الصحة ورواه من الصحابة من ذكرنا وغيرهم
من التابعين ضعفهم الى من لم نذكره ومن دون هذه العدة يقع العلم لمن اعتنى
بهذا الباب والله المثبت على الصواب **فصل** ومثل هذا في سائر الجمادات حدثنا
القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي نا القاضي ابو عبد الله محمد بن المرابط نا
المهلّب بو القاسم نا ابو الحسن القابسي نا المروزي نا الفربري نا البخاري نا محمد
بن المثنّى نا ابو احمد الزبيري نا اسرائيل عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله
قال لقد كنّا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود

كنا نأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه وقال انس اخذ
النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصى فسبحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا
التسبيح ثم صبهن في يد ابى بكر فسبحن ثم في ايدينا فما سبحن وروى مثله ابو ذر وذكر انهن
سبحن في كف عمر وعثمان رضى الله عنهما وقال على كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخرج الى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا قال له السلام عليك يا رسول الله
وعن جابر بن سمرة عنه عليه السلام قال انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قيل انه الحجر
الاسود وعن عايشة لما استقبلنى جبريل عليه السلام بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر
الا قال السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم
يمر بحجر ولا شجر الا سجد له وفى حديث العباس اذ اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره اياهم بملاته فامنت اسكفة الباب و
حوائط البيت امين امين وعن جعفر بن محمد عن ابيه مرض النبي صلى الله عليه وسلم
فاتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فاكل منها عليه السلام فسبح وعن انس صعد النبي
صلى الله عليه وسلم وابوبكر وعمر وعثمان احدا فرجف بهم فقال اثبت احد فانما عليك نبي
وصديق وشهيدان في مثله عن ابى هريرة في حراء وزاد فيه ومعه على وطلحة وزبير و
قال فانما عليك نبي او صديق او شهيد والخبر في حراء ايضا عن عثمان قال ومعه عشرة
من الصحابة انا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعدا قال ونسيت الاثنين وفى حديث سعيد بن
زيد ايضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه وقد روى انه حين طلبته قريش قال له
ثبير اهبط يا رسول الله فانى اخاف ان يقتلوك على ظهرى فيعذبنى الله فقال الحراء
الى يا رسول الله وروى ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا على المنبر وما
قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه انا الجبار انا الكبير المتعال فرجف المنبر
حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن عباس كان حول البيت ستون وثلاثمائة صنم مثبتة

الا رجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل عليه الصلوة والسلام المسجد عام الفتح جعل يشير
بقضيب في يده اليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل الاية فما اشار الى وجه صنم
الا وقع لقفاه ولا لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقى منها صنم وفي حديث ابن مسعود
وقال فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ومن ذلك حديثه مع الراهب
في ابتداء امره اذ خرج تاجرا مع عمه ابي طالب وكان الراهب لا يخرج الى احد فخرج و
جعل يتخللهم حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه
الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش ما علمك قال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر
ساجدا له ولا يسجد الا لنبي وذكر القصة ثم قال واقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مال
الفيء اليه صلوات الله عليه **فصل** في الايات وضرب الحيوانات حدثنا سراج
بن عبد الملك ابو الحسين الحافظ نا ابي نا القاضي يونس نا ابو الفضل الصقلي نا ثابت
قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا نا ابو العلاء احمد بن عمران نا محمد بن فضيل نا يونس
بن عمرو نا مجاهد عن عائشة رضي الله عنها قالت كان عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم قر وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء
وذهب وروي عن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من
اصحابه فجاءه اعرابي قد صاد ضبا فقال من هذا قالوا نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال
الاعرابي واللات والعزى لا امنت بك او يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدي النبي صلى الله
عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا
لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة فقال من تعبد فقال الذي في السماء عرشه
وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن انا قال
رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وقد خاب من كذبك فاسلم

الاعرابي ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهور عن ابي سعيد الخدري بينا راع يرعى
غنما له عرض الذئب لشاة منها فاخذها الراعي منه فاقعى الذئب وقال للراعي الا تتقي الله حلت
بيني وبين رزقي قال الراعي العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس فقال الذئب الا اخبرك باعجب
من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين يحدث الناس بانباء ما قد سبق فاتى
الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال
صدق والحديث فيه قصة وفي بعضه طول وروى حديث الذئب عن ابي هريرة وفي بعض الطرق
عن ابي هريرة فقال الذئب انت اعجب واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط اعظم
منه عنده قدرا قد فتحت له ابواب الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم
وما بينك وبينه الا الشعب تصير في جنود الله تعالى قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب
انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى وذكر قصته واسلامه ووجوده
النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها
بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها وعن اهبان بن اوس وانه كان صاحب
هذه القصة والمحدث بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع وانه كان صاحب هذه القصة
ايضا وسبب اسلامه بمثل حديث ابي سعيد وقد روى ابن وهب مثل هذا انه جرى لابي سفيان
بن حرب وصفوان بن امية مع ذئب وجداه اخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب
فعجبا من ذلك فقال الذئب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة
وتدعونه الى النار فقال ابو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا
وقد روى مثل هذا الخبر وانه جرى لابي جهل واصحابه وعن عباس بن مرداس لما
تعجب من كلام ضمار صنمه وانشاده الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم فاذا
طائر سقط فقال يا عباس اتعجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام وانت جالس فكان سبب اسلامه وعن جابر بن عبد الله عن

رجل اتى النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وهو على بعض حصون خيبر وكان فى غنم
يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف لى بالغنم قال احصب وجوهها فان الله سيؤدى عنك
امانتك ويردها الى اهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها وعن انس دخل
النبى صلى الله عليه وسلم حائط انصارى ابو بكر وعمر ورجل من الانصار وفى الحائط غنم
فسجدت له فقال ابو بكر نحن احق بالسجود لك منها الحديث وعن ابى هريرة دخل النبى صلى الله
عليه وسلم حائطا فجاء بعير فسجد له وذكر مثله فى الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر
بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان لا يدخل احد الحائط الا شد
عليه الجمل فلما دخل النبى صلى الله عليه وسلم عليه دعاه فوضع مشفره فى الارض
وبرك بين يديه فخطمه وقال صلى الله عليه وسلم ما بين السماء والارض شئ الا يعلم انى رسول الله الا عاصى
الجن والانس ومثله عن عبد الله بن ابى اوفى وفى خبر آخر فى حديث الجمل ان النبى صلى الله
عليه وسلم سألهم عن شانه فاخبروه انهم ارادوا ذبحه وفى رواية ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال لهم انه شكى كثرة العمل وقلة العلف وفى رواية انه شكى الى انكم اردتم
ذبحه بعد ان استعملتموه فى شاق العمل من صغره فقالوا نعم وقد روى فى قصة العضباء
وكلامها النبى صلى الله عليه وسلم وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب اليها فى الرعى
وتجنب الوحوش عنها وندائهم لها انك لمحمد صلى الله عليه وسلم وانها لم تاكل ولم
تشرب بعد موته حتى ماتت ذكره الاسفراينى وروى ابن وهب ان حمام مكة اظلت
النبى صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروى عن انس وزيد بن ارقم
والمغيرة بن شعبة ان النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الغار امر الله تعالى شجرة فنبتت
تجاه النبى صلى الله عليه وسلم فسترته وامر حمامتين فوقفتا بفم الغار وفى حديث
آخر ان العنكبوت نسجت على بابه فلما اتى الطالبون له ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه
احد لم تكن الحمامتان ببابه والنبى عليه الصلوة والسلام يسمع كلامهم فانصرفوا

وعن عبد الله بن قرط قرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات خمس او ست او
سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه بايتهن يبدأ وعن ام سلمة كان النبي صلى الله عليه
وسلم في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي
ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع قال وتفعلين قالت
نعم فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابي وقال يا رسول الله الك حاجة
قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا
الله واشهد ان محمدا رسول الله ومن هذا الباب ما روي من تسخير الاسد لسفينة
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ باليمن فلقي الاسد فعرفه انه
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه
مثل ذلك وفي رواية اخرى عنه ان سفينة تكسرت به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد
فقلت انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى اقامني على
الطريق واخذه عليه الصلوة والسلام باذن شاة لقوم من عبد القيس بين اصبعيه
ثم خلاها فصار لها ميسما وبقي ذلك الاثر فيها وفي نسلها بعد وما روي عن ابراهيم بن
حماد بسنده من كلام الحمار الذي اصابه بخيبر وقال له اسمي يزيد بن شهاب فسماه
النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وانه كان يوجهه الى دور الصحابة فيضرب عليهم
الباب برأسه ويستدعيهم وان النبي صلى الله عليه وسلم لما مات تردى الحمار في بئر
جزعا وحزنا فمات وحديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم
لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه وفي العنز التي اتت رسول الله صلى الله عليه
وسلم في عسكره وقد اصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلاثمائة فحلبها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاروى الجند ثم قال لرافع املكها وما اراك تملكها
فوجدها قد انطلقت وروى ابن قانع وغيره وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان الله احياء بها هو الذي ذهب بها وقال لفرسه عليه السلام وقد قام الى الصلوة فى بعض اسفاره لا مدح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلوتنا وجعله قبلته فما حرك عضوا حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلحق بهذا ما رواه الواقدى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله الى الملوك فخرج ستة نفر منهم فى يوم واحد فاصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذى بعثه اليهم والحديث فى هذا الباب كثير وقد جئنا منه بالمشهور من ذلك وما وقع منه فى كتب الائمة رضوان الله عليهم اجمعين

فصل فى احياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة عليه السلام حدثنا ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه بقراءتى عليه والقاضى ابو الوليد محمد بن رشد والقاضى ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمى وغير واحد سماعا واذنا قالوا نا ابو على الحافظ نا ابو عمر الحافظ نا ابو زيد عبد الرحمن بن يحيى نا احمد بن سعيد نا ابن الاعرابى نا ابو داود نا وهب بن بقية عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن ابى سلمة عن ابى هريرة ان يهودية اهدت للنبى صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة مصلية سمتها فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها واكل القوم فقال ارفعوا ايديكم فانها اخبرتنى انها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت ان كنت نبيا لم يضرك الذى صنعت وان كنت ملكا ارحت الناس منك قال فامر بها فقتلت وقد روى هذا الحديث انس وفيه قالت اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا الا نقتلها قال لا وكذلك روى عن ابى هريرة من رواية غير وهب قال فما عرض لها ورواها ايضا جابر بن عبد الله وفيه اخبرتنى به هذه الذراع قال فلم يعاقبها وفى رواية الحسن ان فخذها كلمتنى انها مسمومة وفى رواية ابى سلمة بن عبد الرحمن فقالت انى مسمومة وكذلك ذكر الخبر ابن اسحاق وفيه فتجاوز عنها وفى الحديث الاخر عن انس انه قال فما زلت اعرفها فى لهوات

رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي مات فيه ما زالت اكلة خيبر تعادني فالان اوان قطعت ابهري وحكى ابن اسحاق ان كان المسلمون ليرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله تعالى به من النبوة وقال ابن سحنون اجمع اهل الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن ابي هريرة وانس وجابر وفي رواية ابن عباس انه دفعها لاولياء بشر ابن البراء فقتلوها وكذلك قد اختلف في قتله الذي سحره قال الواقدي وعفوه عنه اثبت عندنا وقد روى الحديث البزار عن ابي سعيد فذكر مثله الا انه قال فبسط يده وقال كلوا باسم الله فاكلنا وذكر اسم الله فلم يضر احدا منا قال المؤلف رحمه الله وقد خرج حديث الشاة المسمومة اهل الصحيح وخرجه الائمة وهو حديث مشهور واختلف ائمة اهل النظر في هذا الباب فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله في الشاة الميتة او الشجرة او الحجر وحروف واصوات يحدثها الله تعالى فيها ويسمعها منها دون تغيير اشكالها ونقلها عن هيئتها وهو مذهب الشيخ ابي الحسن والقاضي ابي بكر رحمهما الله تعالى وآخرون ذهبوا الى ايجاد الحياة بها اولا ثم الكلام بعده وحكى هذا ايضا عن شيخنا ابي الحسن وكل محتمل والله اعلم اذ لم نجعل الحياة شرطا لوجود الحروف والاصوات اذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها فاما اذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من شرط الحياة لها اذ لا يوجد كلام النفس الا من حي خلافا للجبائي من بين سائر المتكلمين الفرق في احالة وجود الكلام اللفظي والحروف والاصوات الا من حي مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والاصوات والتزم ذلك في الحصا والجذع والذراع وقال ان الله تعالى خلق فيها حياة وخرق لها فما ولسانا وآلة امكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان نقله والتهمم به اكد من التهمم بنقل تسبيحه او حنينه ولم ينقل احد من اهل السير والرواية

شيئاً من ذلك فذلك من سقوط دعواه مع أنه لا ضرورة إليه في النظر والله الموفق وروى
وكيع رفعه عن فهد بن عطية أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بصبي قد شب لم يتكلم قط
فقال من أنا فقال رسول الله وروي عن معرض بن معيقيب رأيت من النبي صلى الله عليه
وسلم عجباً جيء بصبي يوم ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونة
اسم راويه وفيه فقال له عليه السلام صدقت بارك الله فيك ثم إن الغلام لم يتكلم
بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع
وعن الحسن أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له أنه طرح بنية له في وادي كذا
فانطلق معه إلى الوادي وناداها باسمها يا فلانة أجيبي بإذن الله فخرجت وهي تقول
لبيك وسعديك فقال لها إن أبويك قد أسلما فإن أحببت أن أردك عليهما فقالت
لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيراً لي منهما وعن أنس أن شاباً من الأنصار توفي و
له أم عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابني فقلنا نعم قالت اللهم إن كنت
تعلم أني هاجرت إليك وإلى نبيك رجاء أن تعينني على كل شدة فلا تحملن علي هذه
المصيبة فما برحنا أن كشفنا الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا وروي عن عبد الله بن
عبيد الله الأنصاري قال كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس وكان قتل باليمامة
فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان
البر الرحيم فنظرنا فإذا هو ميت وذكر عن النعمان بن بشير أن زيد بن خارجة خر ميتاً
في بعض أزقة المدينة فرفع وسجي إذ سمعوه بين العشائين والنساء يصرخن حوله
يقول أنصتوا أنصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الأمي وخاتم النبيين
كان ذلك في الكتاب الأول ثم قال صدق صدق وذكر أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم
ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتاً كما كان فسبحان
الله الذي لا إله إلا هو صلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً فصل

في ابراء المرضى وذوي العاهات حدثنا ابو الحسن علي بن مشرف فيما اجازنيه وقرأته
على غيره قال نا ابو اسحاق الحبال قال نا ابو محمد النحاس نا ابو الورد عن البرقي عن ابن هشام
عن زياد البكائي عن محمد بن اسحاق نا ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم
بقصة احد بطولها قال وقالوا قال سعد بن ابي وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليناولني السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ
عن قوسه حتى اندقت واصيبت يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكانت احسن عينيه واحدهما وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض بن عمر بن
قتادة ورواها ابو سعيد الخدري عن قتادة وبصق على اثر سهم في وجه ابي قتادة في
يوم ذي قرد قال فما ضرب علي ولا قاح وروى النسائي عن عثمان بن حنيف ان اعمى قال يا
رسول الله ادع الله ان يكشف لي عن بصري قال فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل
اللهم اني اسألك واتوجه اليك بنبيي محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربك ان يكشف
عن بصري اللهم شفعه في قال فرجع وقد كشف الله عن بصره وروي عن ابن ملاعب
الاسنة اصابه استسقاء فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ بيده حثوة من الارض
فتفل عليها ثم اعطاها رسوله فاخذها متعجبا يرى ان قد هزئ به فاتاه بها وهو على
شفا فشربها فشفاه الله تعالى وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك ويقال فريك ان اباه
ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه
فابصر فرأيته يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين ورمي كلثوم بن الحصين يوم احد في نحره فبصق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيه فبرئ وتفل على شجة عبد الله بن انيس فلم تمد وتفل في عيني علي يوم خيبر
وكان رمدا فاصبح بارئا ونفث على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرئت
وفي رجل زيد بن معاذ حين اصابها السيف الى الكعب حين قتل ابن الاشرف فبرئت
وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق اذ انكسرت فبرئ مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى

علي بن ابي طالب فجعل يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه او عافه ثم ضرب
رجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد وقطع ابو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل
يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصقها فلصقت رواه ابن وهب ومن
روايته ايضا ان حبيب بن يساف اصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح
واتته امراة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم فاتي بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم اعطاها
اياه وامرها بسقيه ومسه به فبرئ الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس وعن ابن
عباس جاءت امراة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو
الاسود فشفي وانكفأت القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له
وتفل فيه فبرئ لحينه وكانت في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف
وعنان الدابة فشكاها للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها ولم
يبق لها اثر وسالته جارية طعاما وهو ياكل فناولها من بين يديه وكانت قليلة الحياء
فقالت انما اريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن صلى الله عليه وسلم يسأل
شيئا فيمنعه فلما استقر في جوفها القي عليها من الحياء ما لم تكن امراة بالمدينة اشد حياء
منها صلى الله على سيدنا محمد واله وسلم فصل في اجابة دعائه عليه السلام وهذا
باب واسع جدا واجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر
على الجملة ومعلوم ضرورة وقد جاء في حديث حذيفة كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا دعا لرجل ادركت الدعوة ولده وولد ولده حدثنا ابو محمد العتابي
بقراءتي عليه نا ابو القاسم حاتم بن محمد نا ابو الحسن القابسي نا ابو زيد المروزي نا محمد
بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا عبد الله بن ابي الاسود نا حرمي نا شعبة عن قتادة
عن انس قال قالت امي ام سليم يا رسول الله خادمك انس ادع الله له قال اللهم اكثر

ماله وولده وبارك له فيما آتيته ومن رواية عكرمة قال أنس فوالله إن مالي لكثير وإن
ولدي وولد ولدي ليعادون اليوم نحو المائة وفي رواية وما أعلم أحداً أصاب من رخاء العيش
ما أصبت ولقد دفنت بيدي هاتين مائة عن ولدي لا أقول سقطاً ولا ولد ولد ومنه دعاؤه
لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن فلقد رفعت حجراً لرجوت أن أصيب تحته
ذهباً وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤس حتى مجلت فيه الأيدي وأخذت
كل زوجة ثمانين ألفاً وكن أربعاً وقيل مائة ألف وقيل بل صولحت إحداهن لأنه طلقها
في مرضه على نيف وثمانين ألفاً وأوصى بخمسين ألفاً بعد صدقاته الفاشية في حياته و
عوارفه العظيمة أعتق يوماً ثلاثين عبداً وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه
تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وبأقتابها وأحلاسها ودعا لمعاوية بالتمكين
في البلاد فنال الخلافة ولسعد بن أبي وقاص أن يجيب الله دعوته فما دعا على أحد إلا
استجيب له ودعا بعز الإسلام بعمر أو بأبي جهل فاستجيب له في عمر وقال ابن مسعود ما زلنا
أعزة منذ أسلم عمر وأصاب الناس في بعض مغازيه عطش فسأله عمر الدعاء فدعا
فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم أقلعت ودعا في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا إليه المطر
فدعا فصحوا وقال لأبي قتادة أفلح وجهك اللهم بارك في شعره وبشره فمات وهو ابن
سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة وقال للنابغة لا يفضض الله فاك فما سقطت
له سن وفي رواية فكان أحسن الناس ثغراً إذا سقطت له سن نبتت له أخرى وعاش
عشرين ومائة وقيل أكثر من هذا ودعا لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل
فسمي بعد الحبر وترجمان القرآن ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما
اشترى شيئاً إلا ربح فيه ودعا للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر من المال ودعا بمثله
لعروة بن أبي الجعد فقال فلقد كنت أقوم بالكناسة فما أرجع حتى أربح أربعين ألفاً
وقال البخاري في حديثه فكان لو اشترى التراب ربح فيه وروي مثل هذا لغرقدة أيضاً

وندّت له ناقة فدعا فجاء بها إعصار حتى ردّها عليه ودعا لأم أبي هريرة فأسلمت ودعا
لعلي أن يكفى الحر والبرد فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء
ولا يصيبه حر ولا برد ودعا لفاطمة ابنته أن لا يجيعها قالت فما جعت بعد وسأله الطفيل
ن عمرو آية لقومه فقال اللهم نوّر له فسطع له نور بين عينيه فقال يا رب أخاف أن يقولوا
مثلة فتحوّل إلى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة فسمي ذا النور ودعا على مضر فأقحطوا
حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا ودعا على كسرى حين مزّق كتابه أن يمزّق الله ملكه فلم
تبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في أقطار الدنيا ودعا على صبي قطع عليه الصلاة
أن يقطع الله أثره فأقعد وقال لرجل رآه يأكل بشماله كل بيمينك فقال لا أستطيع فقال
لا استطعت فلم يرفعها إلى فيه وقال لعتبة بن أبي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك
فأكله الأسد وقال لامرأة أكلك الأسد فأكلها وحديثه المشهور من رواية عبد الله
بن مسعود في دعائه على قريش حين وضعوا السلا على رقبته وهو ساجد مع الفرث
والدم وسمّاهم قال فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر ودعا على الحكم بن أبي العاص وكان يختلج
بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ رآه فقال كذلك كن فلم يزل يختلج إلى أن
مات ودعا على محلّم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الأرض ثم ووري فلفظته
مرات فألقوه بين صدين ورضموا عليه بالحجارة الصدّ جانب الوادي وجحد رجل بيع
فرس وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم فردّ الفرس بعد النبي صلى
الله عليه وسلم على الرجل وقال اللهم إن كان كاذبا فلا تبارك له فيها فأصبحت شاصية
برجلها أي رافعة وهذا الباب أكثر من أن يحاط به والله عز وجل أعلم فصل في
كراماته وبركاته وانقلاب الأعيان فيما لمسه أو باشره حدثنا أحمد بن محمد نا أبو
ذر الهروي إجازة ونا القاضي أبو علي سماعا والقاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
وغيرهما قالوا نا أبو الوليد القاضي نا أبو ذر نا أبو محمد وأبو إسحاق وأبو الهيثم قالوا

نا الفربري نا البخاري نا يزيد بن زريع نا سعيد عن قتادة عن انس بن مالك ان اهل
المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان يقطف او
قطاف وقال غيره يبطى فلما رجع قال وجدنا فرسك بحرا فكان بعد لا يجارى ونخس جمل
جابر وكان قد اعيا فنشط حتى كان ما يملك زمامه وصنع مثل ذلك لفرس جعيل الاشجعي
خفقها بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك راسها نشاطا وباع من بطنها باثني عشر الفا
وركب حمارا قطوفا لسعد بن عبادة فرده هملاجا لا يساير وكانت شعرات من شعره
عليه الصلوة والسلام في قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالا الا رزق النصر وفي
الصحيح عن اسما بنت ابي بكر انها اخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها وحدثنا القاضي ابو علي عن شيخه ابي القاسم
بن مامون قال كانت عندنا قصعة من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم فكنا نجعل فيها
الماء للمرضى فيستشفون بها واخذ جهجاه الغفاري القضيب من يد عثمان ليكسره على
ركبته فصاح الناس به فاخذته فيها الاكلة فقطعها ومات قبل الحول وسكب من فضل وضوئه
عليه السلام في بئر قبا فما نزفت بعد وبصق في بئر كانت في دار انس فلم يكن بالمدينة
اعذب منها ومر عليه الصلوة والسلام على ماء فسال عنه فقيل له اسمه بيسان و
ماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب واتي له بدلو من ماء زمزم فمج فيه
فصار اطيب من المسك واعطى الحسن والحسين لسانه فمصاه وكانا يبكيان عطشا
فسكتا وكانت لام مالك عكة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا فامرها عليه
السلام ان لا تعصرها ثم دفعها اليها فاذا هي مملوءة سمنا فياتيها بنوها يسالونها الادم
وليس عندهم شيء فتعمد اليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم ادمها حتى عصرتها وكان عليه
الصلوة والسلام يتفل في افواه الصبيان المراضع فيجزئهم ريقه الى الليل ومن ذلك
بركة يده صلى الله عليه وسلم فيما لمسه وغرسه لسلمان حين كاتبه مواليه على

تلاثمائة ودية يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى اربعين اوقية من ذهب فقام عليه الصلوة
والسلام فغرسها له بيده الا واحدة غرسها غيره فاخذت كلها الا تلك الواحدة فقلعها
النبي صلى الله عليه وسلم وردها فاخذت وفي كتاب البزار فاطعم النخل من عامه الا الواحدة
فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فاطعمت من عامها واعطاه مثل بيضة
الدجاجة من ذهب بعد ان ادارها على لسانه فوزن منها لمواليه اربعين اوقية وبقي
عنده مثل ما اعطاهم وفي حديث حنش بن عقيل سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
شربة من سويق شرب اولها وشربت اخرها فما برحت اجد شبعها اذا جعت وريها
اذا عطشت وبردها اذا ظمئت واعطى قتادة ابن النعمان وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة
مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه سيضيء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا
فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فاضاء
له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج ومنها دفعه لعكاشة جذل
حطب وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفا صارما طويل القامة
ابيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف الى ان استشهد في قتال
اهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون ودفعه لعبد الله بن جحش يوم احد وقد ذهب
سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفا ومنه بركته عليه السلام في درور الشياه الحوائل باللبن
الكثير كقصة شاة ام معبد واعنز معاوية بن ثور وشاة انس وغنم حليمة مرضعته و
شارفها وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد ومن ذلك تزويده
اصحابه سقاء ماء بعد ان اوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم الصلوة نزلوا فحلوه فاذا به
لبن طيب وزبدة في فمه من رواية حماد بن سلمة ومسح على راس عمير بن سعد وبرك فمات
وهو ابن ثمانين فما شاب ويروى مثل هذه القصص عن غير واحد منهم السائب بن يزيد
ومدلوك وكان يوجد لعتبة ابن فرقد طيب يغلب طيب نسائه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم

تمسح بيده على بطنه وظهره وسلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت له
غرة كغرة الفرس ومسح على رأس قيس بن زيد الجذامي ودعا له فهلك وهو ابن مائة سنة ورأسه
أبيض وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره أسود فكان يدعى الأغر وروي
مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح وجه آخر فما زال على وجهه نور ومسح وجه قتادة
بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة ووضع يده على رأس حنظلة بن
حذيم وبرك عليه فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع
على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم ونضح في وجه زينب بنت ام سلمة نضحة
من ماء فما يعرف كان في وجه امرأة من الجمال ما بها ومسح على رأس
صبي به عاهة فبرئ واستوى شعره وروي مثله في خبر مطلب بن قبالة
وعلى غير واحد من الصبيان المرضى والمجانين فبرؤا وأتاه رجل به أدرة فأمره
ان ينضحها بماء من عين مج فيها ففعل فبرئ وعن طاوس لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم
بأحد به مس فصك في صدره الا ذهب والمس الجنون ومج في دلو من بئر ثم صب فيها ففاح
منها ريح المسك وأخذ قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه
فانصرفوا يمسحون القذى عن أعينهم وشكى إليه أبو هريرة النسيان فأمره ان يبسط ثوبه و
غرف بيده فيه ثم أمره بضمه ففعل فما نسي شيئا بعد وما يروى عنه في هذا الباب كثير وضرب
صدر جرير بن عبد الله ودعا له وكان ذكر له انه لا يثبت على الخيل فصار من أفرس العرب
وأثبتهم ومسح رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير وكان دميما ودعا له بالبركة
ففرع الرجال طولا وتماما فصل ومن ذلك ما أطلع عليه من الغيوب وما يكون والأحاديث
في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة
على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على
الغيب حدثنا الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهري اجازة وقراءة على غيره قال ابو بكر نا

ابو على التسترى ثنا ابو عمر الهاشمى ثنا اللؤلؤى ثنا ابو داود ثنا عثمان بن ابى شيبة ثنا جرير
عن الاعمش عن ابى وائل عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما
فما ترك شيئا يكون فى مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه
قد علمه اصحابى هؤلاء وانه ليكون منه الشئ فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل
اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه ثم قال حذيفة ما ادرى انسى اصحابى ام تناسوه والله ما ترك
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى ان تنقضى الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة
فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال ابو ذر لقد تركنا رسول الله
وما يحرك طائر جناحيه فى السماء الا ذكرنا منه علما وقد خرج اهل الصحيح والائمة ما اعلم به
صلى الله عليه وسلم اصحابه مما وعدهم به من الظهور على اعدائه وفتح مكة وبيت المقدس
واليمن والشام والعراق وظهور الامن حتى تظعن المرأة من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله
وان المدينة ستغزى وتفتح خيبر على يد على فى غد يومه وما يفتح الله على امته من الدنيا
ويؤتون من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف
والاهواء وسلوك سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها
واحدة وانها ستكون لهم انماط ويغدو احدهم فى حلة ويروح فى اخرى وتوضع بين يديه
صحفة وترفع اخرى ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال آخر الحديث وانتم اليوم خير
منكم يومئذ وانهم اذا مشوا المطيطاء وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله بأسهم
بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك والخزر والروم وذهاب كسرى وفارس
حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده وذكر ان الروم ذات
قرون الى آخر الدهر وبذهاب الامثل فالامثل من الناس وتقارب الزمان وقبض العلم
وظهور الفتن والهرج وقال ويل للعرب من شر قد اقترب وانه زويت له الارض فأرى
مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امته ما زوى له منها فكذلك كان امتدت فى المشا

وللمغارب ما بين ارض الهند اقصى المشرق الى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه وذلك مالم تملكه امة من الامم ولم تمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك وقوله لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ذهب ابن المديني الى انهم العرب لانهم المختصون بالسقي بالغرب وهي الدلو وغيره يذهب الى انهم اهل المغرب وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه وفي حديث اخر من رواية ابي امامة لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتيهم امر الله وهو كذلك قيل يا رسول الله واين هم قال ببيت المقدس واخبر بملك بني امية وولاية معاوية ووصاه واتخاذ بني امية مال الله دولا وخروج ولد العباس بالرايات السود وملكهم اضعاف ما ملكوا وخروج المهدي وما ينال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل علي وان اشقاها الذي يخضب هذه من هذه اي لحيته من رأسه وانه قسيم النار يدخل اولياءه الجنة واعداءه النار فكان ممن عاداه الخوارج والناصبة وطائفة ممن ينتسب اليه من الروافض كفروه وقال يقتل عثمان وهو يقرأ في المصحف وان الله عسى ان يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه على قوله تعالى فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا وبمحاربة الزبير لعلي وبنباح كلاب الحوأب على بعض ازواجه وانه يقتل حولها قتلى كثيرة وتنجو بعد ما كادت فنبحت على عائشة رضي الله عنها عند خروجها الى البصرة وان عمارا تقتله الفئة الباغية فقتله اصحاب معاوية وقال لعبد الله ابن الزبير ويل للناس منك وويل لك من الناس وقال في قزمان وقد ابلى مع المسلمين انه من اهل النار فقتل نفسه وقال في جماعة فيهم ابو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة اخركم موتا في النار فكان بعضهم يسأل عن بعض فكان سمرة اخرهم موتا هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق فيها وقال في حنظلة الغسيل سلوا زوجته عنه فاني رأيت الملائكة تغسله فسألوها فقالت انه خرج جنبا واعجله الحال عن الغسل قال ابو سعيد ورأيناه رأسه تقطر ماء وقال الخلافة في قريش ولن يزال

هذا الامر في قريش ما اقاموا الدين وقال يكون في ثقيف كذاب ومبير فوجدا الحجاج والمختار
بان مسيلمة يعقره الله وان فاطمة اول اهله لحوقا به وانذر بالردة وبان الخلافة بعده
ثلاثون ثم يكون ملكا فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي وقال ان هذا الامر بدأ نبوة ورحمة ثم
يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبروتا وفسادا في الامة و
اخبر بشأن اويس القرني وبامراء يؤخرون الصلوة عن وقتها وسيكون في امته ثلاثون
كذابا فيهم اربع نسوة وفي حديث آخر ثلاثون دجالا كذابا آخرهم الدجال الكذاب كلهم
يكذب على الله ورسوله وقال يوشك ان يكثر فيكم العجم يأكلون فيئكم ويضربون رقابكم
ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه رجل من قحطان وقال خيركم قرني ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون
ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون وقال لا يأتي زمان الا والذي بعده شر منه وقال
هلاك امتي على يدي اغيلمة من قريش قال ابو هريرة راويه لو شئت سميتهم لكم بنو فلان
وبنو فلان واخبر بظهور القدرية والرافضة وسب آخر هذه الامة اولها وقلة الانصار
حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل امرهم يتبدد حتى لم يبق لهم جماعة وانهم سيلقون
بعده اثرة واخبر بشأن الخوارج وصفتهم والمخدج الذي فيهم وان سيماهم التحليق وترى
رعاء الغنم رؤس الناس والعراة الحفاة يتبارون في البنيان وان تلد الامة ربها وان
قريشا والاحزاب لا يغزونه ابدا وانه هو يغزوهم واخبر بالموتان الذي يكون بعد فتح
بيت المقدس وما وعد من سكنى البصرة وانهم يغزون في البحر كالملوك على الاسرة وان
الدين لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وهاجت ريح في غزاته فقال
هاجت لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة وجدوا ذلك وقال لقوم من جلسائه ضرس
احدكم في النار اعظم من احد قال ابو هريرة فذهب القوم يعني ماتوا وانما بقيت انا ورجل فقتل
مرتدا يوم اليمامة واعلم بالذي غل خرزا من خرز يهود فوجدت في رحله وبالذي غل الشملة

ومن ضلت ناقته حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها وبشأن كتاب حاطب الى اهل مكة
وبقضية عمير مع صفوان حين ساره وشارطه على قتل النبي صلى الله عليه وسلم فلما
جاء عمير النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله واطلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على
الامر والسر اسلم واخبر بالمال الذي تركه عمه العباس عند ام الفضل بعد ان كتمه فقال ما علمه
غيري وغيرها فاسلم واعلم بانه سيقتل ابي بن خلف ولخبر بمقتل امية ابن خلف وان لخاه ابيا سيقتله هو صلى الله عليه وسلم
وفي عتبة بن ابي لهب انه يأكله كلب الله وعن مصارع اهل بدر فكان كما قال وقال في الحسن ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به
بين فئتين ولسعد لعلك تخلف حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك اخرون واخبر بقتل اهل
مؤتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر او ازيد وبموت النجاشي يوم مات وهو بارضه واخبر
فيروزاذ ورد عليه رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم فلما تحقق فيروز القصة
اسلم واخبر ابا ذر بتطريده كما كان ووجده في المسجد نائما فقال له كيف بك اذا اخرجت منه
فقال اسكن المسجد الحرام قال فاذا اخرجت منه الحديث وبعيشه وحده وموته وحده و
اخبر ان اسرع ازواجه به لحوقا اطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة واخبر
بقتل الحسين بالطف واخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه وقال في زيد بن صوحان يسبقه
عضو منه الى الجنة فقطعت يده في الجهاد وقال صلى الله عليه وسلم في الذين كانوا معه على حراء اثبت فانما عليك
نبي وصديق وشهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة والزبير وطعن سعد وقال لسراقة كيف
بك اذا لبست سواري كسرى فلما اتي بهما عمر البسهما اياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى
والبسهما سراقة وقال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة تجبى اليها خزائن الارض
يخسف بها يعني بغداد وقال سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه
الامة من فرعون لقومه وقال لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان دعواهما واحدة وقال لعمر
في سهيل ابن عمرو عسى ان يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام ابي بكر
يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم وقال

مالا يحصى وسنأتيه بأكثره أنك تجد ويصدقه القرآن فوجدت هذه الامور كلها في حياته وبعد
موته كما قال عليه السلام الى ما اخبر به مجلسائه من سرائرهم وبواطنهم واطلاعه على من
اسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين حتى ان كان بعضهم ليقول لصاحبه
اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء واعلامه بصفة السحر الذي
سحره به لبيد بن الاعصم وكونه في مشط ومشاطة في جف طلع نخلة ذكر وانه القي في بئر
ذروان فكان كما قال عليه الصلوة والسلام ووجد على تلك الصفة واعلامه قريشا باكل
الارضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وانها ابقت فيها
كل اسم لله فوجدوها كما قال صلى الله عليه وسلم ووصفه لكفار قريش بيت المقدس حين
كذبوه في خبر الاسراء ونعته اياه نعت من عرفه واعلامهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه و
انذارهم بوقت وصولها فكان كله كما قال عليه السلام الى ما اخبر به من الحوادث التي تكون
ولم تات بعد ومنها ما ظهرت مقدماتها كقوله عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب
يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح قسطنطينية ومن اشراط الساعة وآيات حلولها وذكر
النشر والحشر واخبار الابرار والفجار والجنة والنار وعرصات القيامة وبحسب هذا الفصل
ان يكون ديوانا مفردا يشتمل على اجزاء وحده وفيما اشرنا اليه من نكت الاحاديث التي
ذكرناها كفاية واكثرها في الصحيح وعند الائمة رحمهم الله تعالى فصل في عصمة الله
تعالى له من الناس وكفايته من اذاه قال الله تعالى والله يعصمك من الناس وقال تعالى
واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال اليس الله بكاف عبده قيل بكاف محمدا
اعداءه المشركين وقيل غير هذا وقال انا كفيناك المستهزئين وقال واذ يمكر بك الذين
كفروا الاية حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي بقراءتي عليه والفقيه الحافظ ابو بكر محمد بن
عبد الله المعافري قالا اخبرنا ابو الحسين الصيرفي قال نا ابو يعلى البغدادي نا ابو علي السنجي
نا ابو العباس المروزي نا ابو عيسى الحافظ نا عبد بن حميد نا مسلم بن ابراهيم نا الحارث بن عبيد

عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه
وسلم يحرس حتى نزلت هذه الاية والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
رأسه من القبة وقال لهم يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا نزل بمنزل اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابي فاخترط سيفه ثم قال من
يمنعك مني فقال الله فارعدت يد الاعرابي وسقط سيفه وضرب برأسه الشجرة حتى سال
دماغه فنزلت الاية وقد رويت هذه القصة في الصحيح وان غورث بن الحارث صاحب هذه القصة
وان النبي صلى الله عليه وسلم عفى عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وقد حكيت
مثل هذه الحكاية انها جرت له يوم بدر وقد انفرد من اصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل
من المنافقين وذكر مثله وقد روى انه وقع له مثلها في غزوة غطفان بذي امر مع رجل
اسمه دعثور بن الحارث وان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه وكان سيدهم فا
شجعهم قالوا له اين ما كنت تقول وقد امكنك فقال اني نظرت الى رجل ابيض طويل دفع
في صدري فوقعت لظهري وسقط السيف فعرفت انه ملك واسلمت قيل وفيه نزلت يا ايها الذين
امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية في رواية
الخطابي ان غورث بن الحارث المحاربي اراد ان يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به
الا وهو قائم على رأسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب من وجهه من
زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده وزلخة وجع الظهر وقيل في قصته غير هذا او
ذكر ان فيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم الاية وقيل كان عليه
الصلوة والسلام يخاف قريشا فلما نزلت هذه الاية استلقى ثم قال من شاء فليخذلني
وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاة وهي جمر على طريق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكانما يطأها كثيبا اهيل وذكر ابن اسحاق عنها انها لما بلغها نزول تبت
يدا ابي لهب وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم اتت النبي صلى الله عليه وسلم

وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر الا ابا بكر
واخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابا بكر اين صاحبك فقد بلغني
انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه وعن الحكم بن ابي العاص تواعدنا على النبي صلى
الله عليه وسلم حتى اذا رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه بقي بتهامة احد فوقعنا مغشيا علينا
فما افقنا حتى قضى صلوته ورجع الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا حتى اذا رأيناه جاءت
الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه وعن عمر تواعدت انا وابو جهم بن حذيفة ليلة قتل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله فسمعنا له فافتتح وقرأ الحاقة ما الحاقة الى قوله
فهل ترى لهم من باقية فضرب ابو جهم على عضد عمر وقال انج وفرا هاربين فكانت من مقدمات
اسلام عمر ومن ذلك العبرة المشهورة والكفاية التامة عندما اخافته قريش واجمعت على
قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على رؤسهم وقد ضرب الله على ابصارهم وذر
التراب على رؤسهم وخلص منهم وحمايته عن رؤيتهم في الغار بما هيأ الله تعالى له
من الآيات والعنكبوت التي نسجت عليه حتى قال امية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما اربكم
فيه وعليه من نسج العنكبوت ما ارى انه قبل ان يولد محمد ووقفت حمامتان على فم الغار
فقالت قريش لو كان فيه احد لما كانت هناك الحمام وقصته مع سراقة بن مالك بن جعشم
حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي ابي بكر الجعائل فانذر به فركب فرسه واتبعه حتى اذا
قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه فخر عنها واستقسم بالازلام
فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر
يلتفت فقال للنبي صلى الله عليه وسلم اتينا فقال لا تحزن ان الله معنا فساخت ثانية الى
ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان فناداهم بالامان فكتب له
النبي صلى الله عليه وسلم امانا كتبه ابن فهيرة وقيل ابو بكر واخبرهم بالاخبار وامره
النبي صلى الله عليه وسلم الا يترك احدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس كفيتم ما ههنا وقيل

بل قال لهما إذا كنتما على ما أدعو فادعوا فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم و
في خبر آخر أن داعيا عرف خبرها فخرج يشتد ليعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما
يدري ما يصنع ونسي ما خرج له حتى رجع إلى موضعه وجاءه فيما ذكر ابن إسحاق وغيره
أبو جهل بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون إليه ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه
إلى عنقه وأقبل يرجع القهقرى إلى خلفه ثم سأله أن يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان قد
تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه فسألوه عن شأنه فذكر أنه عرض
لي فحل دونه فما رأيت قط مثله هم بي أن يأكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك
جبريل لو دنا لأخذه وذكر السمرقندي أن رجلا من بني المغيرة أتى النبي صلى الله
عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قوله فرجع
إلى أصحابه ولم يرهم حتى نادوه وذكر أن في هاتين القصتين نزلت إنا جعلنا في أعناقهم
أغلالا الآيتين ومن ذلك ما ذكره ابن إسحاق وغيره في قصته إذ خرج إلى بني قريظة
في أصحابه فجلس إلى جدار بعض آطامهم فانبعث عمرو بن جحاش أحدهم ليطرح عليه رحى
فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف إلى المدينة وأعلمهم بقصتهم وقد قيل إن قوله
تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم الآية في هذه القصة
نزلت وحكى السمرقندي أنه خرج إلى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين اللذين قتلهما
عمرو بن أمية فقال له حيي بن أخطب اجلس يا أبا القاسم نطعمك ونعطيك ما سألتنا فجلس النبي
صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وعمر وتوامر حيي معهم على قتله فأعلم جبريل النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك فقام كأنه يريد حاجته حتى دخل المدينة وذكر أهل التفسير معنى
الحديث عن أبي هريرة أن أبا جهل وعد قريشا لئن رأى محمدا يصلي ليطأن رقبته فلما
صلى النبي صلى الله عليه وسلم أعلموه فأقبل فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه
متقيا بيديه فسئل فقال لما دنوت منه أشرفت على خندق مملوء نارا كدت أهوي فيه

وأبصرت هولاً عظيماً وخلقاً أجنحته قد ملأت الأرض فقال عليه الصلاة والسلام تلك
الملائكة لو دنا لاختطفته عضواً عضواً ثم أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم كلا إن الإنسان
ليطغى إلى آخر السورة ويروى أن شيبة بن عثمان الحجبي أدركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل
أباه وعمه فقال اليوم أدرك ثاري من محمد فلما اختلط بالناس أتاه من خلفه ورفع سيفه
ليصبه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع إلي شواظ من نار أسرع من البرق فوليت هارباً وأحس بي
النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري وهو أبغض الخلق إلي فما رفعها إلا وهو أحب
الخلق إلي وقال لي ادن فقاتل فتقدمت أمامه أضرب بسيفي وأقيه بنفسي ولو لقيت أبي تلك الساعة
لأوقعت به دونه وعن فضالة بن عمرو قال أردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف
بالبيت فلما دنوت منه قال أفضالة قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك قلت لا شيء فضحك
واستغفر لي ووضع يده على صدري فسكن قلبي فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئاً أحب إلي منه
ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل وأربد بن قيس حين وفدا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان عامر قال له أنا أشغل عنك وجه محمد صلى الله عليه وسلم فاضربه أنت فلم يره فعل شيئاً
فلما كلمه في ذلك قال له والله ما هممت أن أضربه إلا وجدتك بيني وبينه أفأضربك و
من عصمته له تعالى أن كثيراً من اليهود والكهنة أنذروا به وعينوه لقريش وأخبروهم بسطوته
بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه أمره ومن ذلك نصره بالرعب أمامه مسيرة
شهر كما قال عليه السلام

فصل

ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله له من المعارف والعلوم
وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته بأمور شرائعه وقوانين
دينه وسياسة عباده ومصالح أمته وما كان في الأمم قبله وقصص الأنبياء والرسل
والجبابرة والقرون الماضية من لدن آدم عليه السلام إلى زمنه وحفظ شرائعهم و
كتبهم ووعي سيرهم وسرد أنبائهم وأيام الله فيهم وصفات أعيانهم واختلاف آرائهم
والمعرفة بمددهم وأعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل أمة من الكفرة ومعارضة كل فرقة

من الكتابيين بما في كتبهم واعلامهم باسرارها ومخبآت علومها واخبارهم بما كتموه من ذلك وغيره الى الاحتواء على لغات العرب وغريب الفاظ فرقها والاحاطة بضروب فصاحتها والحفظ لايامها وامثالها وحكمها ومعاني اشعارها والتخصيص بجوامع كلمها الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه ولا تخاذل مع اشتمال شريعته على محاسن الاخلاق ومحامد الاداب وكل شيء مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئا الا من جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية به اذا سمع ما يدعو اليه صوبه واستحسنه دون طلب اقامة برهان عليه ثم ما احل لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبائث وصان به انفسهم واعراضهم واموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف بالنار آجلا مما لا يعلم ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مارس الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة بعض هذا الى الاحتواء على ضروب العلوم وفنون المعارف كالطب والعبارة والفرائض والحساب والنسب وغير ذلك من العلوم مما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه عليه الصلوة والسلام فيها قدوة واصولا في علمهم كقوله عليه الصلوة والسلام الرؤيا لاول عابر وهي على رجل طائر وقوله الرؤيا ثلاث رؤيا حق ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان وقوله اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وقوله اصل كل داء البردة وما روى عنه في حديث ابي هريرة من قوله المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة وان كان هذا حديثا لا نصححه لضعفه وكونه موضوعا تكلم به الدارقطني وقوله خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشي وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين وفي العود الهندي سبعة اشفية وقوله ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن الى قوله فان كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس وقوله وقد سئل عن سبأ ارجل هو ام امرأة ام ارض فقال رجل ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة الحديث بطوله وكذلك جوابه في نسب قضاعة

وغير ذلك مما اضطرت العرب على تسميتها بالسؤال عنه عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله
خير رأس لعربٍ نافها ومدح قامتها وغلصمها والاذكاهها وخضمها وقرات ما
ودرعها وقوله ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض وقوله في الحوض
زواياه سواء وقوله في حديث الذكر ان الحسنة بعشر فتلك مائة وخمسون على اللسان والف
وخمسمائة في الميزان وقوله وهو بموضع نعم موضع الحمام هذا وقوله ما بين المشرق و
المغرب قبلة وقوله لعيينة او الاقرع انا افرس بالخيل منك وقوله لكاتبه ضع القلم على
اذنك فانه اذكر للممل هذا مع انه عليه الصلوة والسلام كان لا يكتب ولكنه اوتي علم
كل شيء حتى قد وردت آثار بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها كقوله لا تمدوا بسم
الرحمن الرحيم رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس وقوله في الحديث الآخر الذي يروى
عن معاوية انه كان يكتب بين يديه عليه السلام فقال له الق الدواة وحرف القلم واقم
الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا وان لم تصح الرواية
انه عليه الصلوة والسلام كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة واما علمه
عليه الصلوة والسلام بلغات العرب وحفظه معاني اشعارها فامر مشهور قد نبهنا على
بعضه في اول الكتاب وكذلك حفظه لكثير من لغات الامم كقوله في الحديث سنه سنه وهي
حسنة بالحبشية وقوله ويكثر الهرج وهو القتل بها وقوله في حديث ابي هريرة اشكنب درد
اي وجع البطن بالفارسية الى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه الا من
مارس الدروس والعكوف على الكتب ومثافنة اهلها عمره وهو رجل كما قال الله تعالى امي
لم يكتب ولم يقرأ ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء من
هذه الامور ولا عرف قبل بشيء منها قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب و
لا تخطه بيمينك الآية انما كانت غاية معارف العرب النسب واخبار اوائلها والشعر والبيان وانما
حصل ذلك بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله عنه وهذا الفن نقطة

من بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل الى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في
دفع ما نصصناه الا قولهم اساطير الاولين وانما يعلمه بشر فرد الله تعالى قولهم بقوله لسان الذي
يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ثم ما قالوه مكابرة للعيان فان الذي نسبوا
تعليمه اليه اما سلمان او العبد الرومي وسلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير من القران
وظهور ما لا يعد من الايات واما الرومي فكان اسلم وكان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم
واختلف في اسمه وقيل بل كان عليه السلام يجلس عنده عند المروة وكلاهما اعجمي اللسان و
هم الفصحاء اللد والخطباء اللسن قد عجزوا عن معارضة ما اتى به والاتيان بمثله بل عن فهم
وصفه وصورة تاليفه ونظمه فكيف باعجمي الكن نعم وقد كان سلمان او بلعام او يعيش او جبر او
يسار على اختلافهم في اسمه بين اظهرهم يكلمونهم مدى اعمارهم فهل حكي عن واحد منهم شيء
من مثل ما كان يجيء به محمد صلى الله عليه وسلم وهل عرف احد منهم بشيء من ذلك وما
منع العدو حينئذ على كثرة عدده ودؤوب طلبه وقوة حسده ان يجلس الى هذا يأخذ عنه ايضا
ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على شيعته كفعل النضر ابن الحارث بما كان يمخرق به
من اخبار كتبه ولا غاب النبي عليه السلام عن قومه ولا كثرت اختلافاته الى بلاد اهل الكتاب
فيقال انه استمد منهم بل لم يزل بين اظهرهم يرعى في صغره وشبابه على عادة ابنائهم ثم
لم يخرج عن بلادهم الا في سفرة او سفرتين لم يطل فيهما مكثه مدة يحتمل فيها تعليم القليل
فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقة عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة
مقامه بمكة من تعليم واختلاف الى حبر او قس او منجم او كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان مجيء
ما اتى به من معجز القران قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل حجة ومجليا لكل امر

فصل

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم وكراماته وباهر اياته انباؤه مع الملائكة والجن وامداد
الله له بالملائكة وطاعة الجن له ورؤية كثير من اصحابه لهم قال الله تعالى وان تظاهرا
عليه فان الله هو مولاه وجبريل الاية وقال اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم الاية

وقال إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم الآيتين وقال وإذ صرفنا إليك نفرا من
الجن الآية حدثنا سفيان بن العاص الفقيه بسماعي عليه ثنا أبو الليث السمرقندي قال ثنا عبد الغافر
الفارسي ثنا أبو أحمد الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا عبيد الله بن معاذ ثنا أبي ثنا شعبة عن سليمان
الشيباني سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل
في صورته له ستمائة جناح والخبر في محادثته مع جبريل وإسرافيل وغيرهما من الملائكة و
ما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الإسراء مشهور وقد رآهم بحضرة جماعة
من أصحابه في مواطن مختلفة فرأى أصحابه جبريل عليه السلام في رجل يسأله عن الإيمان
الإسلام ورأى ابن عباس وأسامة وغيرهما عنده جبريل في صورة دحية وذكر ابن سعد أن
مصعب بن عمير قتل يوم أحد أخذ الراية ملك على صورته فكان النبي صلى الله عليه وسلم
يقول تقدم يا مصعب فقال له الملك لست بمصعب فعلم أنه ملك ورأى سعد على يمينه و
على يساره جبريل وميكائيل في صورة رجلين عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم
زجر الملائكة خيلها يوم بدر وبعضهم رأى تطاير الرؤس من الكفار ولا يرون الضارب
ورأى أبو سفيان بن الحارث يومئذ رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والأرض ما يقوم
لها شيء وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن حصين وأرى النبي صلى الله عليه وسلم حمزة
جبريل في الكعبة فخر مغشيا عليه ورأى عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن وسمع كلامهم و
شبههم برجال الزط وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب أنه قال بينا نحن جلوس
مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم
فرد عليه وقال نغمة الجن من أنت قال أنا هامة بن الهيم بن لاقيس بن إبليس فذكر أنه لقي
نوحا ومن بعده في حديث طويل وأن النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القرآن وذكر
الواقدي قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له ناشرة شعرها عريانة فجزلها
وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له تلك العزى وقال عليه السلام إن شيطانا

تفلت لي البارحة ليقطع علي صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية
من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا
لا ينبغي لأحد من بعدي الآية فرده الله خاسئا وهذا باب واسع **فصل** ومن دلائل
نبوته وعلامات رسالته صلى الله عليه وسلم ما ترادفت به الأخبار عن الرهبان والأحبار
وعلماء أهل الكتاب من صفته وصفة أمته واسمه وعلاماته وذكر الخاتم الذي بين كتفيه
وما وجد من ذلك في أشعار الموحدين المتقدمين من شعر تبع والأوس بن حارثة
وكعب بن لؤي وسفيان بن مجاشع وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم
وما عرف به من أمره زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميري وعلماء يهود
وشامول عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما ألفي من ذلك في التوراة والإنجيل
مما قد جمعه العلماء وبينوه ونقله عنهما ثقات من أسلم منهم مثل ابن سلام وبني سعية
وابن يامين ومخيريق وكعب وأشباههم ممن أسلم من علماء يهود وبحيرا ونسطور الحبشة وصاحب
بصرى وضغاطر وأسقف الشام والجارود وسلمان والنجاشي ونصارى الحبشة
وأساقف نجران وغيرهم ممن أسلم من علماء النصارى وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة
عالما النصارى ورئيساهم ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن أخطب
وأخوه وكعب بن أسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء اليهود وممن حمله الحسد والنفاسة
على البقاء على الشقاء والأخبار في هذا كثيرة لا تنحصر وقد قرع أسماع يهود والنصارى بما ذكر
أنه في كتبهم من صفته وصفة أصحابه واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم
وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وليهم ألسنتهم ببيان أمره ودعوتهم إلى المباهلة على الكاذب
فما منهم إلا من نفر عن معارضته وإبداء ما ألزمهم من كتبهم إظهاره ولو وجدوا خلاف
قوله لكان إظهاره أهون عليهم من بذل النفوس والأموال وتخريب الديار ونبذ القتال وقد
قال لهم قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين إلى ما أنذر به الكهان مثل شافع بن

كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وافعى نجران وجذل بن جذل الكندي وابن خلصة الدوسي
وسعد بن بنت كريز وفاطمة بنت النعمان ومن لا يعد كثرة الى ما ظهر على السنة الاصنام من نبوته
وحلول وقت رسالته وسمع من هواتف الجان ومن ذبائح النصب واجواف الصور وما وجد
من اسم النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة والقبور بالخط القديم
ما اكثره مشهور واسلام من اسلم بسبب ذلك معلوم مذكور **فصل** ومن ذلك ما ظهر من
الآيات عند مولده وما حكته امه ومن حضره من العجائب وكونه رافعا رأسه عندما وضعته
شاخصا ببصره الى السماء وما رأته من النور الذي خرج معه عند ولادته وما رأته اذ ذاك
ام عثمان بن ابي العاص من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته حتى ما تنظر الا النور وقول الشفاء
ام عبد الرحمن بن عوف لما سقط عليه السلام على يدي واستهل سمعت قائلا يقول رحمك الله واضاء لي
ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى قصور الروم وما تعرفت حليمة وزوجها ظئراه من بركته ودرور لبنها
ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشأته صلى الله عليه وسلم وما جرى من العجائب
ليلة مولده من ارتجاج ايوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها الف
عام لم تخمد وانه كان اذا اكل مع عمه ابي طالب وآله وهو صغير شبعوا ورووا واذا غاب فاكلوا
في غيبته لم يشبعوا وكان سائر ولد ابي طالب يصبحون شعثا ويصبح هو صلى الله عليه وسلم صقيلا
دهينا كحيلا قالت ام ايمن حاضنته ما رأيته صلى الله عليه وسلم شكا جوعا ولا عطشا
صغيرا ولا كبيرا ومن ذلك حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم من
استراق السمع وما نشأ عليه من بغض الاصنام والعفة عن امور الجاهلية وما خصه الله
من ذلك وحماه حتى في ستره في الخبر المشهور عند بناء الكعبة اذ اخذ ازاره ليجعله على عاتقه
ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط الى الارض حتى رد ازاره عليه فقال له عمه ما بالك فقال اني
نهيت عن التعري ومن ذلك اظلال الله تعالى له بالغمام في سفره وفي رواية ان خديجة و
نساءها رأينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فاخبرها انه رأى ذلك منذ

خروجه معه في سفره وقد روي ان حليمة رأت غمامة تظله وهو عندها وروي ذلك عن اخيه
من الرضاعة ومن ذلك انه عليه السلام نزل في بعض اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة
فاعشوشب ما حولها واينعت هي فاشرقت وتدلت عليه اغصانها بمحضر من راه وميل فيء الشجرة
اليه في الخبر الآخر حتى اظلته وما ذكر من انه صلى الله عليه وسلم كان لا ظل لشخصه في
شمس ولا قمر لانه كان نورا وان الذباب كان لا يقع على جسده ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب
الخلوة اليه حتى اوحي اليه ثم اعلامه بموته ودنو اجله وان قبره في المدينة وفي بيته
وان بين بيته وبين منبره روضة من رياض الجنة وتخيير الله له عند موته وما اشتمل عليه
حديث الوفاة من كراماته وتشريفه وصلوة الملائكة على جسده على ما رويناه في بعضها و
استئذان ملك الموت عليه ولم يستأذن على غيره قبله ونداؤهم الذي سمعوه ان لا تنزعوا
عنه القميص عند غسله وما روي من تعزية الخضر والملائكة اهل بيته عند موته الى ما ظهر على
اصحابه من كراماته وبركاته في حياته وموته كاستسقاء عمر بعمه وتبرك غير واحد بذريته

فصل قال القاضي ابو الفضل رحمه الله قد اتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة
وجمل من علامات نبوته مقنعة في واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا
واقتصرنا من الاحاديث الطوال على عين الغرض وفص المقصد ومن كثير الاحاديث و
غريبها على ما صح واشتهر الا يسيرا من غريبه مما ذكره مشاهير الائمة وحذفنا الاسناد في جمهورها
طلبا للاختصار وبحسب هذا الباب لو تقصي ان يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدة
ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم اظهر من معجزات سائر الرسل عليهم السلام بوجهين احدهما
كثرتها وانه لم يؤت نبي معجزة الا وعند نبينا مثلها او ما هو ابلغ منها وقد نبه الناس على
ذلك فان اردته فتامل فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم من الانبياء تقف على ذلك
ان شاء الله تعالى واما كونها كثيرة فهذا القرآن وكله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض
ائمة المحققين سورة انا اعطيناك الكوثر او آية في قدرها وذهب بعضهم الى ان كل آية منه

يف كانت معجزة وزاد آخرون ان كل جملة منتظمة منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين
والحق ما ذكرناه اولا لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينصر
هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه واذا كان هذا ففي القرآن من الكلمات نحو من سبعة و
سبعين الف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات إنا أعطيناك الكوثر عشر كلمات فتجزأ
القرآن على نسبة عدد انا اعطيناك الكوثر ازيد من سبعة الاف جزء كل واحد منها معجز في
نفسه ثم اعجازه كما تقدم بوجهين من طريق بلاغته وطريق نظمه فصار كل جزء من هذا
العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز أخر من الاخبار بعلوم
الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن اشياء الغيب كل خبر
منها بنفسه معجز فتضاعف العدد كرة اخرى ثم وجوه الاعجاز الأخر التي ذكرناها توجب
التضعيف هذا في حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه ثم
الاحاديث الواردة والاخبار الصادرة عنه عليه السلام في هذه الابواب وعما دل على امره
مما اشرنا الى جمل منه يبلغ نحوا من هذا الوجه الثاني وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم
فان معجزات الرسل كانت بقدر همم اهل زمانهم وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه فلما كان
زمن موسى عليه السلام غاية علم اهله السحر بعث الله اليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون
قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وابطل سحرهم وكذلك زمن
عيسى اغنى ما كان الطب واوفر ما كان اهله فجاءهم امر لا يقدرون عليه واتاهم ما لم يحتسبوه
من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات الانبياء
ثم ان الله تعالى بعث محمدا عليه السلام وجملة معارف العرب وعلومها اربعة البلاغة و
الشعر والخبر والكهانة فانزل الله تعالى عليه القرآن الخارق لهذه الاربعة فصول من الفصاحة
والايجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والاسلوب العجيب الذي لم يهتدوا
في المنظوم الى طريقه ولا علموا في اساليب الاوزان منهجه ومن الاخبار عن الكوائن والحوادث

والاسرار والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وان كان
اعدى العدو فابطل الكهانة التى تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها من اصلها برجم الشهب و
رصد النجوم وجاء من الاخبار عن القرون السالفة وانباء الانبياء والامم البائدة والحوادث
الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التى بسطناها وبينا المعجز فيها ثم
بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه الوجوه الى الفصول الاخر التى ذكرناها فى معجزة القران
ثابتة الى يوم القيامة بينة الحجة لكل امة تاتى لا يخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتامل وجوه
اعجازه الى ما اخبر به من الغيوب على هذا السبيل فلا يمر عصر ولا زمن الا ويظهر فيه صدقه
بظهور مخبره على ما اخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة
زيادة فى اليقين والنفس اشد طمانينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان كل عنده
حقا وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة نبينا صلى الله
عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع واياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا اشار عليه السلام بقوله فيما
حدثنا القاضى الشهيد ابو على نا القاضى ابو الوليد نا ابو ذر نا ابو محمد وابو اسحاق و
ابو الهيثم قالوا نا الفربرى نا البخارى نا عبد العزيز بن عبد الله نا الليث عن سعيد عن
ابيه عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من الانبياء نبى الا اعطى من الايات
ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذى اوتيت وحيا اوحاه الله الى فارجو انى اكثرهم تابعا
يوم القيامة هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح ان شاء الله تعالى وذهب
غير واحد من العلماء فى تاويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا عليه السلام الى معنى اخر
من ظهورها بكونها وحيا وكلاما لا يمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه والتشبيه وان غيرها من
معجزات الرسل قد رام المعاندون لها باشياء طمعوا فى التخييل بها على الضعفاء كالقاء السحرة
حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر او يتحيل فيه والقران كلام ليس للحيلة ولا للسحر
فى التخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم اظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر

ولا خطيبا ان يكون شاعرا او خطيبا بضرب من الحيل والتموية والتاويل الاول اخص وارضى
وفي هذا التاويل الثاني ما يغمض الحق عليه ويغضي ووجه ثالث على مذهب من قال بالصرفة وان
المعارضة كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها او على احد مذهبي اهل السنة من ان الاتيان
بمثله من جنس مقدورهم ولكنه لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد لان الله تعالى لم يقدرهم
ولا يقدرهم عليها وبين المذهبين فرق بين وعليهما جميعا فترك العرب الاتيان بما في مقدورهم
او ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء والجلاء والسباء والاذلال وتغيير الحال
وسلب النفوس والاموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد ابين آية للعجز عن
الاتيان بمثله والنكول عن معارضته وانهم منعوا عن شيء هو من جنس مقدورهم والى
هذا ذهب الامام ابو المعالي الجويني وغيره قال وهذا عندنا ابلغ في خرق العادة بالافعال البديعة
في انفسها كقلب العصا حية ونحوها فانه قد يسبق الى بال الناظر بدار ان ذلك من اختصاص
صاحب ذلك بمزية معرفة في ذلك الفن وفضل علم الى ان يرد ذلك صحيح النظر واما التحدي
للخلائق المئين من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا فلم يبق بعد توفر
الدواعي على المعارضة ثم عدمها الا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبي آيتي ان يمنع الله
القيام عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم فلو كان ذلك وعجزهم الله عن القيام لكان
ذلك من ابهر آية واظهر دلالة وبالله التوفيق وقد غاب عن بعض العلماء وجه ظهور
آيته على سائر آيات الانبياء حتى احتاج للعذر عن ذلك بدقة افهام العرب وذكاء البابها
ووفور عقولها وانهم ادركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب ادراكهم وغيرهم من
القبط وبني اسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة
بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد ايمانهم وعبدوا
المسيح مع اجماعهم على صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فجاءتهم من الآيات الظاهرة
البينة للابصار بقدر غلظ افهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى

ترى الله جهرة ولم يعبد واعلى المن والسلوى واستبدلوا الذى هو ادنى بالذى هو خير والعرب على جاهليتها اكثرها يعترف بالصانع وانما كانت تتقرب بالاصنام الى الله زلفى ومنهم من آمن ووحده قبل الرسول عليه السلام بدليل عقله وصفاء لبه ولما جاءهم الرسول بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل ادراكهم لاول وهلة معجزته فامنوا به وازدادوا كل يوم ايمانا ورفضوا الدنيا كلها فى صحبته وهجروا ديارهم واموالهم وقتلوا آباءهم واولادهم فى نصرته واتى فى معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرجه لو احتيج اليه وحقق لكنا قد قدمنا فى بيان معجزة نبينا عليه السلام وظهورها ما يغنى عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها ان شاء الله تعالى والله المستعان

تم طبع القسم الاول

بتوفيق الملك المتعالى ويتلوه طبع القسم الثانى بكرمه بالختم لطبعه من انزل على نبيه الذكر الحكيم القرآن والسبع المثانى

ط ط

هذا

الجزء الثاني

من كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه السلام قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى وهذا قسم لخصنا فيه الكلام في اربعة ابواب على ما ذكرناه في اول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه واتباعه وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلوة عليه والتسليم وزيارة قبره عليه الصلوة والسلام

الباب الاول

في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته اذا تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الايمان به وتصديقه فيما اتى به قال الله تعالى فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وقال إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وقال فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ فالايمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم واجب متعين لا يتم ايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه قال الله تعالى وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا حدثنا ابو محمد الخشني الفقيه

بقراءتي عليه انبانا الامام ابو علي الجياني نا عبد الغافر الفارسي نا ابن عمرويه نا ابو سفيان نا ابو الحسين نا امية بن بسطام نا يزيد بن زريع نا روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن ابيه عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله تعالى قال القاضي ابو الفضل فالايمان به عليه السلام تصديق نبوته ورسالته وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان تم الايمان به والتصديق له كما ورد في هذا الحديث نفسه من رواية عبد الله بن عمر أمرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد زاده وضوحا في حديث جبريل اذ قال اخبرني عن الاسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر اركان الاسلام ثم سأله عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الحديث فقد قرر ان الايمان به محتاج الى العقد بالجنان والاسلام به مضطر الى النطق باللسان وهذه الحال المحمودة التامة واما الحال المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق بالقلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اي لكاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم تصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم ان يقولوا بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان ولم يكن لهم في الآخرة حكمه اذ لم يكن معهم ولحقوا بالكافرين في الدرك الاسفل من النار وبقي عليهم حكم الاسلام باظهار شهادة اللسان في احكام الدنيا المتعلقة بالائمة وحكام المسلمين الذين احكامهم على الظواهر بما اظهروه من علامات الاسلام اذ لم يجعل للبشر سبيل الى السرائر ولا امروا بالبحث عنها بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك وقال هلا شققت عن قلبه والفرق بين العقد

والقول ما صح في حديث جبريل الشهادة من الاسلام والتصديق من الايمان وبقيت حالتان اخريان
بين هذين احداهما ان يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت الشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط
بعضهم ان من تمام الايمان القول بالشهادة ورآه بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله عليه
الصلاة والسلام يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان فلم يذكر سوى ما في القلب
وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح في هذا الوجه الثانية ان
يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره
ولا مرة فهذا اختلف فيه ايضا فقيل هو مؤمن لانه مصدق والشهادة من جملة الاعمال فهو
عاص بتركها غير مخلد وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة اذ الشهادة انشاء عقد
والتزام ايمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة الا بها وهذا هو الصحيح
وهذا نبذ يفضي الى متسع من الكلام في الاسلام والايمان وابوابهما وفي الزيادة فيهما والنقصان
وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة وانما يرجع الى ما زاد عليه من عمل او قد
يعرض فيه لاختلاف صفاته وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة
ودوام حالة وحضور قلب وفي بسط هذا خروج عن غرض التاليف وفيما ذكرنا غنية فيما
قصدنا ان شاء الله تعالى **فصل** واما وجوب طاعته فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما
جاء به وجبت طاعته لان ذلك مما اتى به قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرسول وقال واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال وان تطيعوه تهتدوا وقال من
يطع الرسول فقد اطاع الله وقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
وقال ومن يطع الله والرسول الآية وقال وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله فجعل
تعالى طاعة رسوله طاعته وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد
على مخالفته بسوء العقاب واوجب امتثال امره واجتناب نهيه قال المفسرون والائمة طاعة
الرسول في التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا وما ارسل الله من رسول الا [illegible]

على من ارسله اليه وقال من يطع الرسول في سننه يطع الله في فرائضه وسئل سهل بن عبد الله التستري
عن شرائع الاسلام فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وقال السمرقندي يقال اطيعوا الله في فرائضه والرسول
في سننه وقيل اطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال اطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية
والنبي بالشهادة له بالنبوة حدثنا محمد بن عتاب بقراءتي عليه نا حاتم بن محمد نا ابو الحسن علي بن
خلف نا محمد بن احمد نا محمد بن يوسف نا البخاري عن عبدان اخبرنا عبد الله نا يونس عن الزهري
قال نا ابو سلمة بن عبد الرحمن انه سمع ابا هريرة يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصى
اميري فقد عصاني فطاعة الرسول من طاعة الله اذ الله امر بطاعته فطاعته امتثال لما امر الله به و
طاعة له وقد حكى الله عن الكفار في دركات جهنم يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا
اطعنا الله واطعنا الرسولا فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني وقال عليه الصلوة والسلام
اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فأتوا منه ما استطعتم وفي حديث ابي هريرة عنه
عليه السلام كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعني دخل الجنة
ومن عصاني فقد ابى وفي الحديث الآخر الصحيح عنه عليه السلام مثلي ومثل ما بعثني الله به
كمثل رجل اتى قوما فقال يا قوم اني رأيت الجيش بعيني واني انا النذير العريان فالنجاء
فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم
الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من اطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق
وفي الحديث الآخر في مثله كمثل من بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي
دخل الدار واكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فالدار
الجنة والداعي محمد عليه السلام فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله
ومحمد فرق بين الناس فصل ۲ واما وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتداء بهديه فقد
قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآية وقال فآمنوا بالله ورسوله

النبي الأمي الآية وقد قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك الآية الى قوله تسليما أي ينقادون
لحكمك يقال سلم واستسلم واسلم اذا انقاد وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة الآية قال
محمد بن علي الترمذي الاسوة في الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول او فعل
وقال غير واحد من المفسرين بمعناه وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه وقال سهل في قوله تعالى صراط
الذين انعمت عليهم قال بمتابعة السنة فامرهم الله تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه
لان الله تعالى ارسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط
مستقيم ووعدهم محبته تعالى في الآية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه وآثروه على اهوائهم وما تجنح
اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه وروي
عن الحسن ان قوما قالوا يا رسول الله انا نحب الله فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني الآية وروي ان الآية نزلت في كعب بن الاشرف وغيره وانهم قالوا نحن ابناء
الله واحباؤه ونحن اشد حبا لله فانزل الله الآية وقال الزجاج معناه ان كنتم تحبون الله ان
تقصدوا طاعته وافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد لله وللرسول طاعته لهما ورضاه بما
امرا ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته ويقال الحب من الله عصمة وتوفيق
ومن العباد طاعة كما قال القائل تعصي الاله وانت تظهر حبه ٭ هذا لعمري في القياس
بديع ٭ لو كان حبك صادقا لاطعته ٭ ان المحب لمن يحب مطيع ٭ ويقال محبة العبد
لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله له رحمته له وارادته الجميل له وتكون بمعنى مدحه
وثنائه عليه قال القشيري فاذا كان بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان من صفات
الذات وسيأتي بعد في ذكر محبة العبد غير هذا بحول الله تعالى حدثنا ابو اسحق ابراهيم
بن جعفر الفقيه قال انبانا ابو الاصبغ عيسى بن سهل ونا ابو الحسن يونس بن مغيث
الفقيه بقراءتي عليه قالا نا حاتم بن محمد نا ابو حفص الجهني نا ابو بكر الآجري قال نا
ابراهيم بن موسى الجوزي نا داود بن رشيد نا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن

سعد ان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمی وحجر الکلاعی عن العرباض بن سارية فی حدیثه فی
موعظة النبی صلی الله علیه وسلم انه قال فعلیکم بسنتی وسنة الخلفاء الراشدین المهدیین
عضوا علیها بالنواجذ وایاکم ومحدثات الامور فان کل محدثة بدعة وکل بدعة ضلالة زاد فی
حدیث جابر بمعناه وکل ضلالة فی النار وفی حدیث ابی رافع عنه علیه الصلوة والسلام لا الفین احدکم
متکئا علی اریکته یاتیه الامر من امری مما امرت به او نهیت عنه فیقول لا ادری ما وجدنا
فی کتاب الله اتبعناه وفی حدیث عایشة رضی الله عنها صنع رسول الله صلی الله علیه وسلم شیئا
ترخص فیه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلک رسول الله صلی الله علیه وسلم فحمد الله ثم قال ما بال
اقوام یتنزهون عن الشیء اصنعه فوالله انی لاعلمهم بالله واشدهم له خشیة وروی عنه
علیه السلام انه قال القرآن صعب مستصعب علی من کرهه وهو الحکم فمن استمسک بحدیثی و
فهمه وحفظه جاء مع القرآن ومن تهاون بالقرآن وحدیثی خسر الدنیا والاخرة امرت امتی
ان یاخذوا بقولی ویطیعوا امری ویتبعوا سنتی فمن رضی بقولی فقد رضی بالقرآن قال
الله تعالی وما اتاکم الرسول فخذوه الایة وقال علیه السلام من اقتدی بی فهو منی ومن رغب
عن سنتی فلیس منی وعن ابی هریرة عن النبی صلی الله علیه وسلم انه قال ان احسن الحدیث
کتاب الله وخیر الهدی هدی محمد صلی الله علیه وسلم وشر الامور محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو
بن العاص قال قال النبی صلی الله علیه وسلم العلم ثلاثة فما سوی ذلک فهو فضل اية محکمة
او سنة قائمة او فریضة عادلة وعن الحسن بن ابی الحسن قال علیه السلام عمل قلیل فی
سنة خیر من عمل کثیر فی بدعة وقال علیه السلام ان الله یدخل العبد الجنة بالسنة تمسک بها
وعن ابی هریرة رضی الله عنه عن النبی صلی الله علیه وسلم قال المتمسک بسنتی عند فساد
امتی له اجر مائة شهید وقال علیه السلام ان بنی اسرائیل افترقوا علی اثنتین وسبعین فرقة
وان امتی تفترق علی ثلاث وسبعین کلها فی النار الا واحدة قالوا ومن هو یا رسول الله
قال الذی انا علیه الیوم واصحابی وعن انس قال علیه السلام من احیی سنتی فقد احیانی

ومن احياها كان معي وعن عمرو بن عوف المزني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث
من احيى سنة من سنتي قد اميتت بعدي فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص
من اجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها
لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيئا **فصل** واما ما ورد عن السلف والائمة من اتباع
السنة والاقتداء بهديه وسيرته **فحدثنا** الشيخ ابو عمران موسى بن عبد الرحمن بن ابي تليد
الفقيه سماعا عليه قال نا ابو عمر الحافظ قال نا سعيد بن نصر نا قاسم بن اصبغ ووهب بن
مسرة قالا نا محمد بن وضاح قال نا يحيى بن يحيى قال نا مالك عن ابن شهاب عن رجل من
آل خالد بن اسيد انه سال عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلوة الخوف و
صلوة الحضر في القرآن ولا نجد صلوة السفر فقال ابن عمر يا ابن اخي ان الله بعث الينا محمدا
صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا فانما نفعل كما رايناه يفعل وقال عمر بن عبد العزيز سن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله و
استعمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في راي من
خالفها من اقتدى بها فهو مهتد ومن انتصر بها فهو منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل
المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا وقال الحسن بن ابي الحسن
عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل العلم
قالوا الاعتصام بالسنة نجاة وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلموا السنة والفرائض
واللحن اي اللغة وقال ان ناسا يجادلونكم يعني بالقرآن فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن
اعلم بكتاب الله وفي خبره حين صلى بذي الحليفة ركعتين فقال اصنع كما رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصنع وعن علي حين قرن فقال له عثمان ترى اني انهى الناس عنه وتفعله
فقال لم اكن ادع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول احد من الناس وعنه الا اني
لست بنبي ولا يوحى الي ولكني اعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما استطعت

قائلا يقول لي يا احمد ابشر فان الله قد عصمك باستمساك
بسنتي ولو اخرت فرايت تلك الثلث قلت من انت قال جبريل **فصل** ومخالفة امره وتبديل
سنته وحملك اما ما نقي
سنته ضلال وبدعة متوعد من الله عليه بالخذلان والعذاب قال الله تعالى
فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة الاية وقال ومن يشاقق الرسول
من بعد ما تبين له الهدى الاية حدثنا ابو محمد عبد الله ابن ابي جعفر وعبد الرحمن بن عتاب
قالا نا ابو القاسم حاتم بن محمد قال نا ابو الحسن القابسي نا ابو الحسن بن مسرور
نا احمد بن سليمان نا سحنون بن سعيد نا ابو القاسم نا مالك عن العلاء بن عبد الرحمن
عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة وذكر الحديث
في صفة امته وفيه فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال فاناديهم الا هلم
الا هلم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول فسحقا فسحقا فسحقا وروى انس ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من رغب عن سنتي فليس مني وقال من ادخل في امرنا ما ليس منه فهو رد
وروى ابن ابي رافع عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا الفين احدكم متكئا
على اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في
كتاب الله اتبعناه زاد في حديث المقدام الا وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل
ما حرم الله وقال عليه السلام وجيء بكتاب في كتف كفى بقوم حمقا او قال ضلالا ان يرغبوا
عما جاء به نبيهم الى غير نبيهم او كتاب غير كتابهم فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك
الكتاب يتلى عليهم الاية وقال عليه الصلوة والسلام هلك المتنطعون وقال ابو بكر
رضي الله عنه لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت
به اني اخشى ان تركت شيئا من امره ان ازيغ

الباب الثاني

في لزوم محبته عليه السلام قال الله تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم

وعشيرتكم واموال اقترفتموها الاية فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على الزام محبته
ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها عليه السلام اذ قرع الله تعالى من كان
ماله وولده واهله احب اليه من الله ورسوله واوعدهم بقوله تعالى فتربصوا حتى
ياتي الله بامره ثم فسقهم بتمام الاية واعلمهم بانهم ممن ضل ولم يهده الله تعالى حدثنا ابو على
الغساني الحافظ فيما اجازنيه وهو مما قراته على غير واحد قال نا سراج بن عبد الله القاضي
نا ابو محمد الاصيلي نا المروزي نا ابو عبد الله محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا يعقوب
بن ابراهيم نا ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن انس بن مالك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس
اجمعين وعن ابي هريرة نحوه وعن انس عنه عليه الصلوة والسلام ثلاث من كن فيه
وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه
الا لله وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار وعن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من كل شيء الا نفسي التي بين جنبي
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه
فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم الان يا عمر قال سهل من لم ير ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم في
جميع الاحوال ويرى نفسه في ملكه لا يذق حلاوة الايمان لان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث فصل في ثواب محبته
عليه الصلوة والسلام حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه نا ابو القاسم حاتم بن محمد
نا ابو الحسن علي بن خلف نا ابو زيد المروزي نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا
عبدان نا ابي نا شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن ابي الجعد عن انس ان رجلا اتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها من

كثير صلوة ولا صوم ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله قال انت مع من احببت وعن صفوان
بن قدامة قال هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتيته فقلت يا رسول الله ناولني يدك ابايعك
فناولني يده فقلت يا رسول الله اني احبك فقال المرء مع من احب روى هذا اللفظ عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود وابو موسى وانس وعن ابي ذر بمعناه وعن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين فقال من احبني
واحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك فما اصبر حتى اجيء
فانظر اليك واني ذكرت موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين
وان دخلتها لا اراك فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم
الله عليهم الاية فدعا به فقرأها عليه وفي حديث آخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم
ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك فقال بابي انت وامي اتمتع من النظر اليك فاذا كان يوم القيامة
رفعك الله بتفضيله فانزل الله الاية وفي حديث انس من احبني كان معي في الجنة **فصل**
فيما روي عن السلف والائمة من محبتهم للنبي عليه الصلوة والسلام وشوقهم له حدثنا
القاضي الشهيد نا العذري نا الرازي نا الجلودي نا ابن سفيان نا مسلم نا قتيبة نا يعقوب بن
عبد الرحمن عن سهيل عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اشد
امتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود احدهم لو رآني باهله وماله ومثله عن ابي ذر وقد تقدم
حديث عمر وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من نفسي وما تقدم عن الصحابة
في مثله وعن عمرو بن العاص ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبدة
بنت خالد بن معدان قالت ما كان خالد يأوي الى فراش الا وهو يذكر من شوقه الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين والانصار يسميهم ويقول هم اصلي وفصلي
واليهم يحن قلبي طال شوقي اليهم فعجل رب قبضي اليك حتى يغلبه النوم وروي عن ابي بكر

رضی الله عنه انه قال للنبی صلی الله علیه وسلم والذی بعثک بالحق لاسلام ابی طالب کان اقر
لعینی من اسلامه یعنی اباه ابا قحافة وذلک ان اسلام ابی طالب کان اقر لعینک من اسلامه
ونحوه عن عمر بن الخطاب رضی الله عنه قاله للعباس ان تسلم احب الی من ان یسلم الخطاب
لان ذلک احب الی رسول الله وعن ابن اسحٰق ان امراة من الانصار قتل ابوها وزوجها واخوها
یوم احد مع رسول الله صلی الله علیه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلی الله علیه وسلم قالوا
خیرا هو بحمد الله کما تحبین قالت ارنیه حتی انظر الیه فلما راته قالت کل مصیبة بعدک
جلل وسئل علی بن ابی طالب رضی الله عنه کیف کان حبکم لرسول الله صلی الله علیه وسلم
قال کان والله احب الینا من اموالنا واولادنا وابائنا وامهاتنا ومن الماء البارد
علی الظماء وعن زید بن اسلم قال خرج عمر لیلة یحرس فرای مصباحا فی بیت واذا عجوز
تنفش صوفا وتقول ۔ علی محمد صلوٰة الابرار ۔ صلی علیه الطیبون الاخیار ۔ قد کنت
قواما بکا بالاسحار ۔ یا لیت شعری والمنایا اطوار ۔ هل تجمعنی وحبیبی الدار ۔ تعنی
النبی صلی الله علیه وسلم فجلس عمر یبکی وفی الحکایة طول وروی ان عبد الله بن عمر خدرت
رجله فقیل له اذکر احب الناس الیک یزل عنک فصاح یا محمداه فانتشرت ولما احتضر
بلال نادت امراته واحزناه فقال واطرباه غدا القی الاحبة محمدا وحزبه ویروی ان امراة
قالت لعائشة رضی الله تعالی عنها اکشفی لی قبر رسول الله صلی الله علیه وسلم فکشفته
لها فبکت حتی ماتت ولما اخرج اهل مکة زید بن الدثنة من الحرم لیقتلوه قال له ابو سفیان
بن حرب انشدک بالله یا زید اتحب ان محمدا الان عندنا مکانک یضرب عنقه وانت فی اهلک
فقال زید والله ما احب ان محمدا الان فی مکانه الذی هو فیه ان تصیبه شوکة وانی جالس
فی اهلی فقال ابو سفیان ما رایت من الناس احدا یحب احدا کحب اصحاب محمد محمدا وعن
ابن عباس کانت المراة اذا اتت النبی صلی الله علیه وسلم حلفها بالله ما خرجت من بغض
زوج ولا رغبة بارض عن ارض وما خرجت الا حبا لله ورسوله ووقف ابن عمر علی ابن الزبیر

بما قتله فاستغفر له وقال كنت والله فيما علمت صواما قواما ما تحب الله ورسوله صلى الله
عليه وسلم ورضي الله عن اصحابه اجمعين فصل اعلم في علامة محبته عليه الصلوة والسلام
اعلم ان من احب شيئا آثره وآثر موافقته والا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا فالصادق
في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه واولها الاقتداء به واستعمال
سنته واتباع اقواله وافعاله وامتثال اوامره واجتناب نواهيه والتادب بادابه
في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
وايثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته قال الله العظيم والذين تبوؤ
الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة
مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة واسخاط العباد في رضى الله
حدثنا القاضي ابو علي الحافظ نا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا
نا ابو يعلى البغدادي نا ابو علي السنجي نا محمد بن محبوب نا ابو عيسى نا مسلم بن حاتم نا محمد
بن عبد الله الانصاري عن ابيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال انس بن
مالك قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي ليس في قلبك
غش لاحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن احيى سنتي فقد احبني ومن احبني
كان معي في الجنة فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله تعالى ورسوله ومن خالفها في
بعض هذه الامور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها ودليله قوله عليه السلام للذي
حده في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه
يحب الله ورسوله ومن علامات محبة النبي صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره له فمن
احب شيئا اكثر ذكره ومنها كثرة شوقه الى لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه وفي حديث الاشعريين
عند قدومهم المدينة انهم كانوا يرتجزون غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه وقد تقدم
قول بلال ومثله قال عمار قبل قتله وما ذكرناه من قصة خالد بن معدان ومن علاما

مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره واظهار الخشوع والانكسار مع سماع اسمه
صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحق التجيبي كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه
الا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل محبة له و
شوقا اليه ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا ومنها محبته لمن احب النبي صلى الله عليه وسلم
ومن هو بسببه من ال بيته واصحابه من المهاجرين والانصار وعداوة من عاداهم وبغض من
ابغضهم وسبهم فمن احب شيئا احب من يحب وقد قال عليه الصلوة والسلام في الحسن والحسين
اللهم اني احبهما فاحبهما وفي رواية في الحسن فاحب من يحبه وقال من احبهما فقد احبني
ومن احبني فقد احب الله ومن ابغضهما فقد ابغضني ومن ابغضني فقد ابغض الله وقال صلى الله
عليه وسلم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم
فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك
ان يأخذه وقال في فاطمة انها بضعة مني يغضبني ما اغضبها وقال لعايشة رضي الله عنها
في اسامة بن زيد احبيه فاني احبه وقال اية الايمان حب الانصار واية النفاق بغضهم وفي
حديث ابن عمر من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم فبالحقيقة من احب
شيئا احب كل شيء يحبه وهذه سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس وقد قال
انس حين راى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة فما زلت احب
الدباء من يومئذ وهذا الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وابن جعفر اتوا سلمى وسالوها
ان تصنع لهم طعاما مما كان يعجب النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية
ويصبغ بالصفرة اذ راى النبي صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك ومنها بغض من ابغض الله
ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقاله كل
امر يخالف شريعته قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من
حاد الله ورسوله وهولاء اصحابه عليه الصلوة والسلام قد قتلوا احباءهم وقاتلوا اباءهم

دابنا اهدى فى مرضاته وقال له عبد الله بن عبد الله بن ابى لو شئت لاتيتك براسه يعنى اباه
ومنها ان يحب القران الذى اتى به عليه الصلوة والسلام وهدى به واهتدى وتخلق به حتى
قالت عايشة رضى الله عنها كان خلقه القران وحبه للقران تلاوته والعمل به وتفهمه
ويحب سنته ويقف عند حدودها قال سهل بن عبد الله علامة حب الله حب القران وعلامة
حب القران حب النبى صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبى عليه الصلوة والسلام
حب السنة وعلامة حب السنة حب الاخرة وعلامة حب الاخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا يدخر
منها الا زادا وبلغة الى الاخرة وقال ابن مسعود لا يسال احد عن نفسه الا القران فان كان
يحب القران فهو يحب الله ورسوله ومن علامات حبه للنبى صلى الله عليه وسلم شفقته
على امته ونصحه لهم وسعيه فى مصالحهم ورفع المضار عنهم كما كان عليه الصلوة والسلام
بالمؤمنين رؤفا رحيما ومن علامة تمام محبته زهد مدعيها فى الدنيا وايثار الفقر واتصافه
به وقد قال عليه الصلوة والسلام لابى سعيد الخدرى ان الفقر الى من يحبنى منكم اسرع
من السيل من اعلى الوادى او الجبل الى اسفله وفى حديث عبد الله بن مغفل قال رجل للنبى صلى
الله عليه وسلم يا رسول الله انى احبك فقال انظر ما تقول قال والله انى لاحبك ثلاث مرات قال ان
كنت تحبنى فاعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث ابى سعيد بمعناه **فصل** فى معنى المحبة للنبى
صلى الله عليه وسلم وحقيقتها اختلف الناس فى تفسير محبة الله ومحبة النبى صلى الله عليه وسلم
وكثرت عباراتهم فى ذلك وليست ترجع بالحقيقة الى اختلاف مقال ولكنها اختلاف احوال
فقال سفيان المحبة اتباع الرسول عليه الصلوة والسلام كانه التفت الى قوله تعالى قل ان
كنتم تحبون الله الاية وقال بعضهم محبة الرسول عليه السلام اعتقاد نصرته والذب عن
سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال اخر ايثار
المحبوب وقال اخر المحبة الشوق الى المحبوب وقال بعضهم المحبة مواطاة القلب لمراد الرب يحب
ما يحب ويكره ما يكره وقال اخر المحبة ميل القلب الى موافق له واكثر العبارات المتقدمة اشارة الى

ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة المحبة الميل الى ما يوافق الانسان وتكون موافقته له

اما لاستلذاذه بادراكه كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة

اللذيذة واشباهها مما كل طبع سليم مائل اليها لموافقتها له او لاستلذاذه بادراك بحاسة

عقله وقلبه معاني باطنة شريفة كمحبة الصالحين والعلماء واهل المعروف والمأثور عنهم

السير الجميلة والافعال الحسنة فان طبع الانسان مائل الى الشغف بامثال هؤلاء حتى

يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع من امة في آخرين ما يؤدي الى الجلاء عن الاوطان وهتك

الحرم واخترام النفوس او يكون حبه اياه لموافقته له من جهة احسانه له وانعامه عليه

فقد جبلت القلوب على حب من احسن اليها فاذا تقرر لك هذا نظرت الى هذه الاسباب كلها في

حقه صلى الله عليه وسلم فعلمت انه عليه الصلوة والسلام جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة

للمحبة اما جمال الصورة والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب

ما لا يحتاج الى زيادة واما احسانه وانعامه على امته فقد مر منه في اوصاف الله تعالى له من رأفته

لهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار وانه بالمؤمنين

رؤف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه سراجا منيرا ويتلو عليهم

آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم فاي احسان اجل قدرا

واعظم خطرا من احسانه الى جميع المؤمنين واي افضال اعم منفعة واكثر فائدة من انعامه

على كافة المسلمين اذ كان ذريعتهم الى الهداية ومنقذهم من العماية وداعيهم الى الفلاح و

الكرامة ووسيلتهم الى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم

والنعيم السرمد فقد استبان لك انه عليه الصلوة والسلام مستوجب للمحبة الحقيقية

شرعا بما قدمناه من صحيح الآثار وعادة وجبلة بما ذكرناه آنفا لافاضة الاحسان و

عمومه الاجمال فاذا كان الانسان يحب من منح في دنياه مرة او مرتين معروفا او استنقذه

من هلكة او مضرة مدة التأذي بها قليل منقطع فمن منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا

من جذاب الجميل اول بالحب اذ كان يحب بالطبع ملك الحسن سيرة او جمال صورة من قوم
طريقته او قاص بعيد الدار لما يشاد من علمه او كرم شيمته فمن جمع هذه الخصال غاية مراتب
الكمال احق بالحب واولى بالميل وقد قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه في صفته عليه الصلوة و
السلام من راه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه وذكرنا عن بعض الصحابة رضي الله
عنهم انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه صلى الله عليه وسلم **فصل** في وجوب مناصحته
عليه الصلوة والسلام قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله
ورسوله الاية قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله اذا كانوا مخلصين مسلمين في السر
والعلانية حدثنا الفقيه ابو الوليد بقراءتي عليه نا حسين بن محمد نا يوسف بن عبد الله
نا ابن عبد المؤمن نا ابو بكر التمار نا ابو داود نا احمد بن يونس نا زهير نا سهيل بن ابي صالح
عن عطاء بن يزيد عن تميم الداري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة
ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ورسوله ولائمة المسلمين وعامتهم قال ائمتنا رحمهم الله النصيحة
لله ولرسوله وائمة المسلمين وعامتهم واجبة قال الامام ابو سليمان البستي النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير
للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها في اللغة الاخلاص من قولهم نصحت
العسل اذا خلصته من شمعه وقال ابو بكر بن ابي اسحق الخفاف النصح فعل الشيء الذي به
الصلاح والملاءمة ماخوذة من النصاح وهو الخيط الذي يخاط به الثوب وقال ابو اسحق
الزجاج نحوه فنصيحة الله عز وجل صحة الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه بما هو اهله
وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد من مساخطه والاخلاص في عبادته
والنصيحة لكتابه الايمان به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده والتعظيم
له والتفهم والتفقه فيه والذب عنه من تاويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة
لرسوله التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما امر به ونهى عنه قاله ابو سليمان وقال
ابو بكر موازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا واحياء سنته بالطلب والذب عنها

ونشرها والتخلق بأخلاقه الكريمة وآدابه الجميلة وقال ابو ابراهيم اسحاق التجيبي نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم التصديق بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة الى الله والى كتابه والى رسوله واليها والى العمل بها وقال احمد بن محمد من مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر الآجري وغيره النصح له يقتضي نصحين نصحا في حياته ونصحا بعد مماته ففي حياته نصح اصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له وبذل النفوس والاموال دونه كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية وقال تعالى وينصرون الله ورسوله الاية واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة اهل بيته واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير منه والشفقة على امته والبحث عن تعرف اخلاقه وسيره وآدابه والصبر على ذلك فعلى ما ذكرته تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه وحكى الامام ابو القاسم القشيري ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان ومشاهير الثوار المعروف بالصفار رؤي في النوم وقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقيل بماذا قال صعدت ذروة جبل يوما فاشرفت على جنودي فاعجبتني كثرتهم فتمنيت اني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعنته ونصرته فشكر الله لي ذلك وغفر لي واما النصح لائمة المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم فيه وامرهم به وتذكيرهم اياه على احسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من امور المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وافساد قلوبهم عليهم والنصح لعامة المسلمين ارشادهم الى مصالحهم ومعونتهم في امر دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع اليهم

الباب الثالث

في تعظيم امره ووجوب توقيره وبره قال الله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا

لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وقال يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين
يدي الله ورسوله وقال يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم الآيات الثلاث
وقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فاوجب الله تعزيره وتوقيره والزم اكرامه
وتعظيمه قال ابن عباس تعزروه تجلوه وقال المبرد تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال الاخفش
تنصرونه وقال الطبري تعينونه وقرئ تعززوه بزاءين من العز ونهى عن التقدم بين
يديه بالقول وسوء الادب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار ثعلب
وقال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال فاستمعوا له وانصتوا ونهوا
عن التقدم والتعجل بقضاء امر قبل قضائه فيه وان يفتاتوا بشيء في ذلك من قتال او
غيره من امر دينهم الا بامره ولا يسبقوه به والى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك
والسدي والثوري ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا الله ان الله سميع عليم
قال الماوردي اتقوه يعني في التقدم وقال السلمي اتقوا الله في اهمال حقه وتضييع حرمته
انه سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول
كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادي بعضهم بعضا باسمه قال ابو محمد مكي
اي لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض
ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف ما يحب ان ينادى به يا رسول الله يا نبي الله
وهذا كقوله في الآية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
على احد التاويلين وقال غيره لا تخاطبوه الا مستفهمين ثم خوفهم الله تعالى بحبط اعمالهم
ان هم فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل نزلت الآية في وفد بني تميم وقيل في غيرهم اتوا النبي
صلى الله عليه وسلم فنادوه باسمه يا محمد اخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم
بان اكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الآية الاولى في محاورة كانت بين ابي بكر وعمر

بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم واختلف جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما وقيل نزلت
في ثابت بن قيس بن شماس خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان
في اذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الاية اقام في منزله وخشي ان يكون حبط
عمله ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لقد خشيت ان اكون هلكت
نهانا الله ان نجهر بالقول وانا امرؤ جهير الصوت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت
اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروى ان
ابا بكر لما نزلت الاية قال والله يا رسول الله لا اكلمك بعدها الا كاخي السرار وان
عمر كان اذا حدثه حدثه كاخي السرار ما كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه
الاية حتى يستفهمه فانزل الله تعالى فيهم إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ
الاية وقيل نزلت إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ في غير بني
تميم نادوه باسمه وروى صفوان بن عسال بينا النبي صلى الله عليه وسلم في سفر اذ ناداه
اعرابي بصوت له جهوري يا محمد يا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فانك
قد نهيت عن رفع الصوت وقال تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا
قال بعض المفسرين هي لغة كانت في الانصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم
وتبجيلا له لان معناها ارعنا نرعك فنهوا عن قولها اذ مقتضاها كانهم لا يرعونه الا برعايتهم
له بل حقه ان يرعى على كل حال وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم
بالرعونة فنهي المسلمون عن قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظ
وقيل غير هذا والله اعلم

فصل

في عادة الصحابة في تعظيمه عليه السلام وتوقيره واجلاله و
توقيره حدثنا القاضي ابو علي الصدفي وابو بحر الاسدي بسماعي عليهما في اخرين قالوا انا
احمد بن عمر انا احمد بن الحسن نا محمد بن عيسى نا ابراهيم بن سفيان نا مسلم بن مثنى وابو معن
الرقاشي واسحق بن منصور قالوا نا الضحاك بن مخلد انا حيوة بن شريح نا يزيد بن ابي حبيب

عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان احد
احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل في عيني منه اجلالا له وما كنت اطيق ان املأ
عيني منه ما اطقت لاني لم اكن املأ عيني منه وروى الترمذي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يخرج على اصحابه من المهاجرين والانصار وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع
احد منهم اليه بصره الا ابو بكر وعمر فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه
ويتبسم اليهما وروى اسامة بن شريك قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
حوله كانما على رؤسهم الطير وفي حديث صفته اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم
الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وراى من تعظيم اصحابه له ما راى وانه لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه وكادوا
يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها وجوههم
واجسادهم ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها واذا امرهم بامر ابتدروا امره واذا تكلم
خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له فلما رجع الى قريش قال يا معشر
قريش اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه واني والله ما رأيت ملكا
في قومه قط مثل محمد في اصحابه وفي رواية ان رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم محمدا اصحابه وقد
رأيت قوما لا يسلمونه ابدا وعن انس لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق
يحلقه واطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل ومن هذا لما اذنت
قريش لعثمان في الطواف بالبيت حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم اليهم في القضية
ابى وقال ما كنت لافعل حتى يطوف به النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديث طلحة ان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه
ويوقرونه وسأله فاعرض عنه اذ طلع طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا
ممن قضى نحبه وفي حديث قيلة فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا

القرآن فصار ذلك حدث من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما وفي حديث المغيرة كان اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بالاظافير وقال البراء بن عازب لقد كنت اريد ان اسأل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الامر فاؤخره سنين من هيبته فصل واعلم
ان حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته
وذلك عند ذكره عليه الصلوة والسلام وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته و
معاملة آله وعترته وتعظيم اهل بيته وصحابته قال ابو ابراهيم التجيبي واجب على كل مؤمن
متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته و
اجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما ادبنا الله به قال القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وائمتنا الماضين رضي الله عنهم حدثنا
القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعري وابو القاسم احمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما
اجازونيه قالوا نا ابو العباس احمد بن عمر بن دلهاث نا ابو الحسن علي بن فهر نا ابو بكر محمد بن احمد
بن الفرج نا ابو الحسن عبد الله بن المنتاب نا يعقوب بن اسحق بن ابي اسرائيل نا ابن حميد
قال ناظر ابو جعفر امير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك
يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله تعالى ادب قوما فقال لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي ومدح قوما فقال تعالى ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله
الآية وذم قوما فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية وان حرمته ميتا كحرمته
حيا فاستكان لها ابو جعفر وقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم
عليه السلام الى الله يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله قال الله تعالى
ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك الآية قال مالك وقد سئل عن ايوب السختياني ما حدثتكم
عن احد الا وايوب افضل منه قال وحج حجتين فكنت ارمقه ولا اسمع منه غير انه كان

اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى نرحمه ولما رأيت منه ما رأيت لاجلاله للنبي صلى الله
عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله وكان مالك اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال لو رأيتم ما رأيت
لما انكرتم على ما ترونه لقد كنت ارى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث
ابدا الا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت ارى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده النبي
عليه السلام اصفر وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على طهارة ولقد
اختلفت اليه زمانا فما كنت اراه الا على ثلاث خصال اما مصليا واما صامتا واما يقرأ
القرآن ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله عز وجل ولقد
كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر الى لونه كأنه نزف منه
الدم وقد جف لسانه في فيه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنت آتي عامر بن
عبد الله بن الزبير فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه
دموع ولقد رأيت الزهري وكان من أهنأ الناس واقربهم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله
عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته ولقد كنت آتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين
المجتهدين فاذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه
وروي عن قتادة انه كان اذا سمع الحديث اخذه العويل والزويل ولما كثر على مالك الناس
قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي وحرمته حيا وميتا سواء وكان ابن سيرين ربما يضحك فاذا
ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع وكان عبد الرحمن بن مهدي اذا قرأ حديث النبي صلى الله
عليه وسلم امرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ويتأول انه يجب له من
الانصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله صلى الله عليه وسلم **فصل**
في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته حدثنا

الحسين بن محمد الحافظ نا ابو الفضل بن خيرون نا ابو بكر البرقاني وغيره نا ابو الحسن الدارقطني نا علي بن مبشر نا احمد بن سنان القطان نا يزيد بن هارون نا المسعودي عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى ابن مسعود سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه حدث يوما فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رايت العرق يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا ان شاء الله تعالى او فوق ذا او ما دون ذا او ما هو قريب من ذا وفي رواية فتربد وجهه وفي رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخت اوداجه وقال ابراهيم بن عبد الله بن قريم الانصاري قاضي المدينة مر مالك بن انس على ابي حازم وهو يحدث فجازه وقال اني لم اجد موضعا اجلس فيه فكرهت ان آخذ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا قائم وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت انك لم تتعن فقال اني كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مضطجع وروي عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم خشع وقال ابو مصعب كان مالك بن انس لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو على وضوء اجلالا له وحكى مالك ذلك عن جعفر بن محمد وقال ابو مصعب بن عبد الله كان مالك بن انس اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب فسئل عن ذلك فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطرف كان اذا اتى الناس مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث او المسائل فان قالوا المسائل خرج اليهم وان قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجة وتعمم ووضع على راسه رداءه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يتبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن ابي اويس فقيل لمالك في ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولا أحدث به الا على طهارة متمكنا قال وكان يكره ان يحدث في الطريق او هو قائم او مستعجل و
قال أحب ان أفهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ضرار بن مرة كانوا يكرهون ان يحدثوا
على غير وضوء ونحوه عن قتادة وكان الاعمش اذا أحب ان يحدث على غير وضوء تيمم وكان قتادة
لا يحدث الا على طهارة ولا يقرأ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على وضوء قال عبد الله
بن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغه عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر
ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس قلت له
يا ابا عبد الله لقد رأيت اليوم منك عجبا قال نعم انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك الى العقيق فسألته عن حديث فانتهرني وقال لي
كنت في عيني اجل من ان تسأل عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي وسأله جرير
بن عبد الحميد بن عبد الله القاضي عن حديث وهو قائم فأمر بحبسه فقيل له انه قاض فقال القاضي
احق من أدب وذكر ان هشام ابن الغاز سأل مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين
سوطا ثم اشفق عليه فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني سياطا ويزيدني حديثا قال
عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا يكتبان الحديث الا وهما طاهران وكان قتادة يستحب
ان لا يقرأ احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث الا على طهارة وكان
الاعمش اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء تيمم. **فصل** ومن توقيره صلى الله عليه
وسلم وبره بر آله وذريته وامهات المؤمنين ازواجه كما حض عليه الصلوة والسلام وسلكه السلف
الصالح رضي الله عنهم اجمعين قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهركم تطهيرا وقال تعالى وازواجه امهاتهم اخبرنا الشيخ ابو محمد بن احمد العدل
من كتابه وكتبت من اصله نا ابو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتني ام القاسم بنت الشيخ
ابي بكر الخفاف قالت حدثني ابي نا حاتم هو ابن عقيل نا يحيى هو ابن اسمعيل نا يحيى هو الحماني
نا وكيع عن ابيه عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم اُنشدکم الله واهل بیتی ثلاثا قلنا لزید من اهل بیته قال آل علی وآل جعفر وآل عقیل
وآل عباس وقال علیه الصلوٰة والسلام انی تارک فیکم ما ان اخذتم به لن تضلوا کتاب الله
وعترتی اهل بیتی فانظروا کیف تخلفونی فیهما وقال علیه الصلوٰة والسلام معرفة آل محمد براءة
من النار وحب آل محمد جواز علی الصراط والولایة لآل محمد امان من العذاب قال بعض
العلماء معرفتهم هی معرفة مکانهم من رسول الله صلی الله علیه وسلم واذا عرفهم بذلک
عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه وعن عمر بن ابی سلمة لما نزلت انما یرید الله لیذهب
عنکم الرجس اهل البیت ویطهرکم تطهیرا وذلک فی بیت ام سلمة دعا فاطمة وحسنا و
حسینا فجللهم بکساء وعلی خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء اهل بیتی فاذهب عنهم الرجس
وطهرهم تطهیرا وعن سعد بن ابی وقاص لما نزلت ایة المباهلة دعا النبی صلی الله علیه
وسلم علیا وحسنا وحسینا وفاطمة وقال اللهم هؤلاء اهلی وقال النبی صلی الله علیه وسلم فی
علی من کنت مولاه فعلی مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقال فیه لا یحبک الا مؤمن
ولا یبغضک الا منافق وقال للعباس رضی الله عنه والذی نفسی بیده لا یدخل قلب رجل الایمان
حتی یحبکم لله ولرسوله ومن اذی عمی فقد اذانی وانما عم الرجل صنو ابیه وقال للعباس
اغدو علی یا عم مع ولدک فجمعهم وجللهم بملاءته وقال هذا عمی وصنو ابی وهؤلاء اهل بیتی
فاسترهم من النار کستری ایاهم فامنت اسکفة الباب وحوائط البیت امین امین وکان
یاخذ اسامة بن زید والحسن ویقول اللهم انی احبهما فاحبهما وقال ابو بکر رضی الله عنه
ارقبوا محمدا فی اهل بیته وقال ایضا والذی نفسی بیده لقرابة رسول الله صلی الله علیه
وسلم احب الی ان اصل من قرابتی وقال علیه السلام احب الله من احب حسنا وحسینا وقال من
احبنی واحب هذین واشار الی حسن وحسین واباهما وامهما کان معی فی درجتی یوم القیامة
وقال علیه الصلوٰة والسلام من اهان قریشا اهانه الله وقال قدموا قریشا ولا تقدموها
وقال علیه الصلوٰة والسلام لام سلمة لا تؤذینی فی عائشة وعن عقبة بن الحارث رایت

ابابكر وجعل الحسن على عنقه وهو يقول بأبي شبيه بالنبي صلى الله عليه وسلم ليس شبيها بعلي وعلي
يضحك وروي عن عبد الله بن حسن بن حسين قال أتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي اذا كانت لك حاجة
فارسل الي او اكتب فاني استحيي من الله ان يراك على بابي وعن الشعبي قال صلى زيد بن ثابت على جنازة
امه ثم قربت اليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال هكذا امرنا ان نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا ان
نفعل باهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم ورأى ابن عمر محمد بن اسامة بن زيد فقال ليت هذا
عبدي فقيل له هو محمد بن اسامة فطأطأ ابن عمر رأسه ونقر بيده الارض وقال لو رآه رسول الله
صلى الله عليه وسلم لاحبه وقال الاوزاعي دخلت بنت اسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى اليها حتى
جعل يديها بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها حتى اجلسها على مجلسه وجلس بين يديها
وما ترك لها حاجة الا قضاها رضي الله عنه وارضاه ولما فرض عمر
عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنه عبد الله في ثلاثة آلاف ولاسامة بن زيد في ثلاثة آلاف
وخمسمائة قال عبد الله لابيه لم فضلته فوالله ما سبقني الى مشهد فقال له لان اباه زيدا كان
احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك واسامة احب اليه منك فآثرت حب رسول الله
صلى الله عليه وسلم على حبي وبلغ معاوية ان كابس بن ربيعة يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه واقطعه المرغاب لشبهه
صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي ان مالكا رحمه الله تعالى لما ضربه جعفر بن سليمان
ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه فدخل عليه الناس فافاق فقال اشهدكم اني جعلت ضاربي
في حل فسئل بعد ذلك فقال خفت ان اموت فالقى النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيي منه
ان يدخل بعض آله النار بسببي وقيل ان المنصور اقاده من جعفر فقال له اعوذ بالله والله
ما ارتفع منها سوط عن جسمي الا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله صلى الله عليه

وسلم وقال ابو بكر بن عياش لو اتاني ابو بكر وعمر وعلي في حاجة لبدأت بحاجة علي قبلهما لقرابته
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأن اخر من السماء الى الارض احب الي من ان اقدمه عليهما
وقيل لابن عباس ماتت فلانة لبعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له اتسجد هذه
الساعة فقال أليس قال عليه الصلوة والسلام اذا رأيتم آية فاسجدوا واي آية اعظم من ذهاب
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابو بكر وعمر يزوران ام ايمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويقولان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ولما وردت حليمة السعدية على النبي صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه
وقضى حاجتها فلما توفي وفدت على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فصنعا لها مثل ذلك

فصل

ومن توقيره وبره صلى الله عليه وسلم توقير اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم و
حسن الثناء عليهم والاستغفار لهم والامساك عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم والاضراب
عن اخبار المؤرخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في احد منهم و
ان يلتمس لهم فيما نقل عنهم من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن احسن التأويلات ويخرج لهم
اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك ولا يذكر احد منهم بسوء ولا يغمص عليه امر بل تذكر حسناتهم
وفضائلهم وحميد سيرهم ويسكت عما وراء ذلك كما قال عليه الصلوة والسلام اذا ذكر
اصحابي فامسكوا قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه الى اخر السورة وقال والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار الاية وقال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة وقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية حدثنا القاضي ابو علي نا
ابو الحسين وابو الفضل بن خيرون نا ابو يعلى نا ابو علي السنجي نا محمد بن محبوب الترمذي نا الحسن
بن الصباح نا سفيان بن عيينة عن زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن
حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر وقال اصحابي
كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي
كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم

فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن
آذى الله يوشك ان يأخذه وقال لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد
احدهم ولا نصيفه وقال من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل
الله منه صرفا ولا عدلا وقال اذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال في حديث جابر ان الله اختار اصحابي
على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا
فجعلهم خير اصحابي وفي اصحابي كلهم خير وقال من احب عمر فقد احبني ومن ابغض عمر فقد
ابغضني قال مالك بن انس وغيره من ابغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق
ونزع باية الحشر والذين جاؤا من بعدهم الاية وقال من غاظ اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا
فيه نجا الصدق وحب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايوب السختياني من احب
ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب عمر فقد اوضح السبيل ومن احب عثمان فقد استضاء بنور
الرحمن ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن الثناء على اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن انتقص احدا منهم فهو مبتدع منافق مخالف للسنة و
السلف الصالح واخاف ان لا يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه لهم
سليما وفي حديث خالد بن سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا ايها الناس اني راض عن ابي
بكر فاعرفوا له ذلك يا ايها الناس اني راض عن عمر وعن علي وعن عثمان وعن طلحة والزبير
وسعد وسعيد وعن عبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك يا ايها الناس ان الله قد غفر لاهل
بدر والحديبية ايها الناس احفظوني في اصحابي واصهاري واختاني لا يطالبنكم احد منهم
بمظلمة فانها مظلمة لا توهب في القيامة غدا وقال رجل للمعافى بن عمران اين عمر بن عبد العزيز
من معاوية فغضب وقال لا يقاس احد باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم معاوية صاحبه
وصهره وكاتبه وامينه على وحي الله واتى النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل

عليه وقال كان يبغض عثمان فابغضه الله وقال عليه الصلوة والسلام في الانصار اعفوا عن
مسيئهم واقبلوا من محسنهم وقال احفظوني في اصحابي واصهاري فانه من حفظني فيهم حفظه
الله في الدنيا والآخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله عنه ومن تخلى الله عنه يوشك ان يأخذه
وعنه عليه الصلوة والسلام انه قال من حفظني في اصحابي كنت له حافظا يوم القيامة و
قال من حفظني في اصحابي ورد علي الحوض ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرد علي الحوض ولم يرني
الا من بعيد قال مالك هذا النبي عليه الصلوة والسلام مؤدب الخلق الذي هدانا الله به
وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل الى البقيع فيدعو لهم ويستغفر كالمودع لهم وبذلك
امره الله تعالى وامر النبي بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم وروي عن كعب ليس احد
من اصحاب محمد الا له شفاعة يوم القيامة وطلب رجل من المغيرة بن نوفل ان يشفع له
يوم القيامة قال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول من لم يوقر اصحابه و
لم يعز اوامره صلى الله عليه وسلم فصل ومن اعظامه واكباره اعظام جميع اسبابه
واكرام مشاهده وامكنته من مكة والمدينة ومعاهده وما لمسه عليه الصلوة والسلام
او عرف به وروي عن صفية بنت نجدة قالت كان لابي محذورة قصة في مقدم راسه
اذا قعد وارسلها اصابت الارض فقيل له الا تحلقها فقال لم اكن بالذي يحلقها وقد مسها
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعره
صلى الله عليه وسلم فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة انكر عليه اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم كثرة من قتل فيها فقال لم افعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته
من شعر النبي صلى الله عليه وسلم لئلا اسلب بركتها وتقع في ايدي المشركين وروي ابن عمر
واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه ولهذا كان
مالك رحمه الله تعالى لا يركب دابة بالمدينة وكان يقول استحي من الله ان اطأ تربة فيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة وروي انه وهب للشافعي كراعا كثيرا كان عنده فقال

زيارته أخفى مسك منها دابة فلما أتى بمثل هذا الجواب فقد حكى أبو عبد الرحمن السلمي عن أحمد بن فضلويه الزاهد وكان من الغزاة الرماة أنه قال ما مسست القوس بيدي إلا على طهارة منذ بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ القوس بيده وقد أفتى مالك فيمن قال تربة المدينة ردية يضرب ثلاثين درة وأمر بحبسه وكان له قدر وقال ما أحوجه إلى ضرب عنقه تربة دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم أنها غير طيبة وفي الصحيح أنه عليه الصلوة والسلام قال في المدينة من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وحكي أن جهجاها الغفاري أخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضي الله عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فأخذته الأكلة في ركبته فقطعها ومات قبل الحول وقال عليه الصلوة والسلام من حلف على منبري كاذبا فليتبوأ مقعده من النار وحدثت أن أبا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل باكيا منشدا

نظم

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا	فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبّا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة	لمن بان عنه أن نلمّ به ركبا

وحكي عن بعض المريدين رضي الله عنهم أنه لما أشرف على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم أنشأ يقول متمثلا

نظم

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر	قمر تقطع دونه الأوهام
وإذا المطي بنا بلغن محمدا	فظهورهن على الرحال حرام
قربننا من خير من وطئ الثرى	فلها علينا حرمة وذمام

وحكي عن بعض المشايخ أنه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال العبد الآبق لا يأتي إلى بيت مولاه راكبا لو قدرت أن أمشي على رأسي ما مشيت على قدمي قال القاضي رضي الله عنه وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها من

دين الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما انتشر مدارس آياتا ومساجد صلوات ومشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين ومتبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة واين فاض عبابها ومواطن مهبط الرسالة واول ارض مس جلد المصطفى ترابها ان تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدرانها وانشد نظم

يا دار خير المرسلين ومن به	هدى الانام وخص بالآيات
عندي لاجلك لوعة وصبابة	وتشوق متوقد الجمرات
وعلى عهد ان ملأت محاجري	من تلكم الجدرات والعرصات
لاعفرن مصون شيبي بينها	من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادي والاعادي زرتها	ابدا ولو سحبا على الوجنات
لكن ساهدي من حفيل تحيتي	لقطين تلك الدار والحجرات
ازكى من المسك المفتق نفحة	تغشاه بالآصال والبكرات
وتخصه بزواكي الصلوات	ونوامي التسليم والبركات

الباب الرابع

في حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته ❊ قال الله تعالى ان الله وملئكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ○ قال ابن عباس معناه ان الله وملائكته يباركون على النبي وقيل ان الله يترحم على النبي وملائكته يدعون له قال المبرد اصل الصلوة الترحم فهي من الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله وقد ورد في الحديث صفة صلوة الملائكة على من جلس ينتظر الصلوة اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء وقال بكر القشيري الصلوة من الله تعالى لمن دون النبي صلى الله عليه وسلم رحمة وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة وقال ابو العالية صلوة الله ثناء عليه عند الملائكة وصلوة الملائكة الدعاء قال القاضي ابو الفضل وقد فرق

النبي صلى الله عليه وسلم حيث تعليم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة ولفظ البركة فدل على
انهما بمعنيين واما التسليم الذي امر الله تعالى به عباده فقال القاضي ابو بكر بن بكير نزلت هذه
الاية على النبي صلى الله عليه وسلم فامر الله اصحابه ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا
ان يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره وفي معنى السلام
عليه ثلاثة وجوه احدها السلامة لك ومعك وتكون السلامة مصدرا كاللذاذ واللذاذة
والثاني السلام على حفظك ورعايتك متولٍّ له وكفيل به ويكون هنا السلام اسم
الله تعالى الثالث ان السلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم **فصل** اعلم ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض
على الجملة غير محدد بوقت لامر الله تعالى بالصلوة عليه وحمل الائمة والعلماء له على الوجوب
واجمعوا عليه وحكى ابو جعفر الطبري ان محمل الاية عنده على الندب وادعى فيه الاجماع ولعله
فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة
له بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الاسلام وشعار اهله قال القاضي
ابو الحسن بن القصار المشهور عن اصحابنا ان ذلك واجب في الجملة على الانسان وفرض
عليه ان يأتي بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضي ابو بكر بن بكير افترض
الله على خلقه ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب
ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال القاضي ابو محمد بن نصر الصلوة على النبي صلى الله
عليه وسلم واجبة في الجملة قال القاضي ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك واصحابه وغيرهم
من اهل العلم الى ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الايمان
لا تتعين في الصلوة وان من صلى عليه مرة واحدة في عمره سقط الفرض عنه وقال اصحاب
الشافعي الفرض منها الذي امر الله به ورسوله عليه الصلوة والسلام هو في الصلوة وقالوا
واما في غيرها فلا خلاف انها غير واجبة واما في الصلوة فحكى الامامان ابو جعفر الطبري و

الطحاوي وغيرهما اجماع جميع المتقدمين والمتاخرين من علماء الامة على ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة وشذ الشافعي في ذلك فقال من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الاخر وقبل السلام فصلاته فاسدة وان صلى عليه قبل ذلك لم يجزه ولا سلف له في هذا القول ولا سنة يتبعها وقد بالغ في انكار هذه المسئلة عليه لمخالفته فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم الطبري والقشيري وغير واحد وقال ابو بكر بن المنذر يستحب ان لا يصلي احد صلوة الا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ترك ذلك تارك فصلاته مجزئة في مذهب مالك واهل المدينة وسفيان الثوري واهل الكوفة من اصحاب الرأي وغيرهم وهو قول جل اهل العلم وحكي عن مالك وسفيان انها في التشهد الاخير مستحبة وان تاركها في التشهد الاخير مسيء وشذ الشافعي فاوجب على تاركها في الصلوة الاعادة واوجب اسحاق الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان وحكى ابو محمد بن ابي زيد عن محمد بن المواز ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة قال ابو محمد يريد ليست من فرائض الصلوة وقاله محمد بن الحكم وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب ان محمد بن مواز يراها فريضة في الصلوة كقول الشافعي وحكى ابو يعلى العبدي المالكي ان المذهب فيها ثلاثة اقوال في الصلوة الوجوب والسنة والندب وقد خالف الخطابي من اصحاب الشافعي وغيره الشافعي في هذه المسئلة قال الخطابي وليست بواجبة في الصلوة وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعي ولا اعلم له فيها قدوة والدليل على انها ليست من فروض الصلوة عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه وقد شنع الناس عليه في هذه المسئلة جدا وهذا تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم كابي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابي سعيد الخدري وابي موسى الاشعري وعبد الله بن الزبير لم يذكروا فيه صلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال ابن عباس وجابر كان النبي

صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ونحوه عن أبي سعيد وقال ابن عمر كان
أبو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان في الكتّاب وتعلمه أيضا على المنبر عمر بن الخطاب
وفي الحديث لا صلاة لمن لم يصل علي قال ابن القصار معناه كاملة أو لمن لم يصل علي في عمره مرة وضعّف
أهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث وفي حديث أبي جعفر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى أهل بيتي لم تقبل منه وقد روي موقوفا من قبل ابن مسعود
قال الدارقطني الصواب أنه قول أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلاة لم أصل فيها
على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على أهل بيته لرأيت أنها لا تتم وراويه عن أبي جعفر جابر
الجعفي وهو ضعيف **فصل** في المواطن التي يستحب فيها الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم
ويرغب من ذلك في تشهد الصلاة كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء حدثنا القاضي
أبو علي رحمه الله تعالى بقراءتي عليه قال نا الإمام أبو القاسم البلخي نا الفارسي عن أبي القاسم
الخزاعي عن أبي سعيد الهيثم بن كليب عن أبي عيسى الحافظ قال نا محمود بن غيلان نا عبد الله بن
يزيد المقرئ نا حيوة بن شريح نا أبو هانئ الخولاني أن عمرو بن مالك الجنبي أخبره أنه سمع فضالة
بن عبيد يقول سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله
عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره إذا صلى أحدكم
فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء و
يروى من غير هذا السند بتمجيد الله وهو أصح وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الدعاء
والصلاة معلق بين السماء والأرض لا يصعد إلى الله منه شيء حتى يصلى على النبي صلى
الله عليه وسلم وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وقال وعلى آل محمد
وروي أن الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود
إذا أراد أحدكم أن يسأل الله شيئا فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو أهله ثم يصلي على النبي
صلى الله عليه وسلم ثم يسأل فإنه أجدر أن ينجح وعن جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فان احتاج الى شراب شربه او الى الوضوء توضأ والا اهراقه ولكن اجعلوني في اول الدعاء واوسطه واخره وقال ابن عطاء للدعاء اركان واجنحة واسبابا واوقات فان وافق اركانه قوي وان وافق اجنحته طار في السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق اسبابه انجح فاركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه عن الاسباب واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار واسبابه الصلوة على محمد صلى الله عليه وسلم وفي الحديث الدعاء بين الصلوتين لا يرد وفي حديث اخر كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جاءت الصلوة على صعد الدعاء وفي دعاء ابن عباس رضي الله عنه الذي رواه عنه حنش فقال في اخره واستجب دعائي ثم تبدأ بالصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فتقول اللهم اني اسألك ان تصلي على محمد عبدك ونبيك ورسولك افضل ما صليت على احد من خلقك اجمعين امين ومن مواطن الصلوة عليه عند ذكره وسماع اسمه او كتابه او عند الاذان وقد قال عليه الصلوة والسلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وكره ابن حبيب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح وكره سحنون الصلوة عليه عند التعجب وقال لا يصلى عليه الا على طريق الاحتساب وطلب الثواب قال اصبغ عن ابن القاسم موطنان لا يذكر فيهما الا الله الذبح والعطاس فلا تقل فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله صلى الله على محمد لم يكن تسمية له مع الله وقاله اشهب قال ولا ينبغي ان تجعل الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه استنانا وروى النسائي عن اوس بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلوة عليه يوم الجمعة ومن مواطن الصلوة والسلام عليه دخول المسجد قال ابو اسحق بن شعبان وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اله ويترحم عليه وعلى اله ويبارك عليه وعلى اله ويسلم تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع رحمتك فضلك وقال عمرو بن دينار في قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة قال ان لم يكن في البيت احد فقل السلام على النبي ورحمة الله تعالى

وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله تعالى وبركاته وقال ابن عباس
المراد بالبيوت هنا المساجد وقال النخعي اذا لم يكن في المسجد احد فقل السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم
واذا لم يكن في البيت احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعن علقمة قال اذا دخلت
المسجد اقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد ونحوه عن كعب اذا
دخل المسجد واذا خرج ولم يذكر الصلاة واحتج ابن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه عليه الصلاة والسلام كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله عن ابي بكر
بن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث اخر القسم والاختلاف في الفاظه
ومن مواطن الصلاة عليه ايضا الصلاة على الجنائز وذكر عن ابي امامة انها من السنة ومن
مواطن الصلاة التي مضى عليها عمل الامة ولم تنكرها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى آله في الرسائل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الاول واحدث عند ولاية بني هاشم
فمضى به عمل الناس في اقطار الارض ومنهم من يختم بها ايضا الكتب وقال عليه الصلاة والسلام
من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومن مواطن
السلام على النبي صلى الله عليه وسلم تشهد الصلاة حدثنا ابو القاسم خلف بن ابراهيم المقرئ
الخطيب رحمه الله وغيره قال حدثتني كريمة بنت محمد قالت نا ابو الهيثم نا يوسف نا محمد بن اسمعيل
نا ابو نعيم نا الاعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا
صلى احدكم فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله و
بركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها اصابت كل عبد لله صالح
في السماء والارض هذا احد مواطن التسليم عليه وسنته اول التشهد وقد روى مالك عن ابن
عمر انه كان يقول ذلك اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم واستحب مالك في المبسوط ان
يسلم بمثل هذا قبل السلام قال محمد بن مسلمة اراد ما جاء عن عائشة وابن عمر رضي
الله عنهما انهما كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام

علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم واستحب اهل العلم ان ينوي الانسان عند سلامه كل عبد
صالح في السماء والارض من الملائكة وبني ادم والجن قال مالك في المجموعة واحب للمأموم اذا سلم
امامه ان يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
السلام عليكم **فصل** في كيفية الصلوة عليه والتسليم **حدثنا** ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر
الفقيه بقراءتي عليه نا القاضي ابو الاصبغ نا ابو عبد الله بن عتاب نا ابو بكر بن واقد وغيره
نا ابو عيسى نا عبيد الله نا يحيى نا مالك عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم عن ابيه عن عمرو بن
سليم الزرقي انه قال اخبرني ابو حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال
قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد وازواجه
وذريته كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وفي رواية مالك عن ابي مسعود الانصاري
قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى اله كما صليت على ال ابراهيم وبارك على محمد كما باركت على
ال ابراهيم في العلمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم وفي رواية كعب بن عجرة اللهم صل
على محمد وال محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وال محمد كما باركت على ابراهيم انك
حميد مجيد وعن عقبة بن عمرو في حديثه اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى ال محمد وفي رواية
ابي سعيد الخدري اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وذكر معناه وحدثنا القاضي ابو عبد الله
التميمي سماعا عليه وابو علي الحسن بن طريف النحوي بقراءتي عليه قالا نا ابو عبد الله
ابن سعدون الفقيه نا ابو بكر المطوعي قال نا ابو عبد الله الحاكم عن ابي بكر بن ابي دارم الحافظ
عن علي بن احمد العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي
بن الحسين عن ابيه علي عن ابيه الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال عدهن
في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا انزلت من عند رب العزة
اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك
على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم على محمد

وعلى ال محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى ال
محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى ال محمد
كما سلمت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد وعن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم
من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبى
وازواجه امهات المؤمنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وفى
رواية زيد بن خارجة الانصارى سألت النبى صلى الله عليه وسلم كيف نصلى عليك فقال
صلوا على واجتهدوا فى الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم
انك حميد مجيد وعن سلامة الكندى قال كان على يعلمنا الصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم
اللهم داحى المدحوات وبارئ المسموكات اجعل شرائف صلواتك ونوامى بركاتك ورأفة تحننك
على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ جيشات
الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك بطاعتك مستوفزا فى مرضاتك واعيا لوحيك حافظا
لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى ورى قبسا لقابس آلاء الله تصل باهله اسبابه به هديت
القلوب بعد خوضات الفتن والاثم وابهج موضحات الاعلام ونائرات الاحكام ومنيرات
الاسلام فهو امينك المامون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة
ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له فى عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنئات له
غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم اعل على بناء الناس
بناءه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة و
مرضى المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم وعنه ايضا فى الصلوة على النبى
صلى الله عليه وسلم ان الله وملئكته يصلون على النبى الاية لبيك اللهم ربى وسعديك
صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وما سبح لك من شئ يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام

المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي اليك باذنك السراج المنير وعليه السلام
وعن عبدالله بن مسعود اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وامام
المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما
محمودا يغبطه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك
حميد مجيد وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد
كان الحسن البصري يقول من اراد ان يشرب بالكاس الاوفى من حوض المصطفى فليقل
اللهم صل على محمد وعلى اله واصحابه واولاده وازواجه وذريته واهل بيته واصهاره
وانصاره واشياعه ومحبيه وامته وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين وعن طاوس عن ابن
عباس انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا واته سؤله في الاخرة
والاولى كما اتيت ابراهيم وموسى وعن وهيب بن الورد انه كان يقول في دعائه اللهم اعط محمدا افضل ما سالك
واعط محمدا افضل ما سالك له من احد من خلقك واعط محمدا افضل ما انت مسؤل له الى يوم القيامة وعن ابن مسعود
انه كان يقول اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلوة عليه فانكم لا تدرون
لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين
وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة
اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت
على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على
ابراهيم انك حميد مجيد وما يوثر في تطويل الصلوة وتكثير الثناء على اهل البيت وغيرهم كثير
وقوله والسلام كما قد علمتم هو ما علمهم في التشهد من قوله السلام عليك ايها النبي ورحمة
الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وفي تشهد علي رضي الله عنه السلام على
نبي الله السلام على انبياء الله ورسله السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب

متبهم ومن تشهد اللهم اغفر لمحمد تقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي وما ولدا وارحمهما السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته جاء في هذا الحديث عن علي الدعاء للنبي عليه الصلوة والسلام بالغفران وفي حديث الصلوة عليه ايضا قبل الدعاء له بالرحمة ولم يأت في غيره من الاحاديث المرفوعة المعروفة وقد ذهب ابو عمر بن عبد البر وغيره الى انه لا يدعى للنبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة وانما يدعى له بالصلوة والبركة التي تختص به ويدعى لغيره بالمغفرة والرحمة وقد ذكر ابو محمد بن ابي زيد في الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم محمدا وال محمد كما ترحمت على ابراهيم وال ابراهيم ولم يأت في حديث صحيح وحجته قوله عليه الصلوة والتسليم في السلام السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته

فصل في فضيلة الصلوة والتسليم عليه والدعاء له صلى الله عليه وسلم

حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه نا القاضي يونس بن مغيث نا ابو بكر بن معاوية نا النسائي نا سويد بن نصر نا عبد الله بن حيوة بن شريح قال اخبرني كعب بن علقمة انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع انه سمع عبد الله بن عمر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي فانه من صلى علي مرة واحدة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله تعالى وارجوا ان اكون انا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وروى انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلوة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات وفي رواية وكتب له عشر حسنات وعن انس عنه عليه الصلوة والسلام ان جبريل ناداني فقال من صلى عليك مرة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن بن عوف عنه عليه الصلوة والسلام لقيت جبريل فقال لي اني ابشرك ان الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه ونحوه من رواية ابي هريرة ومالك بن اوس بن الحدثان وعبيد الله بن ابي طلحة وعن زيد بن الحباب

سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وانزله المنزل المقرب عندك
يوم القيامة وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود اولى الناس بي يوم القيامة اكثرهم علي صلوة وعن
ابي هريرة عنه عليه الصلوة والسلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي
اسمي في ذلك الكتاب وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلوة
صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل من ذلك عبد او ليكثر وعن ابي بن كعب كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها
الرادفة جاء الموت بما فيه فقال ابي بن كعب يا رسول الله اني اكثر الصلوة عليك فكم اجعل
لك من صلوتي فقال ما شئت قال الربع قال ما شئت وان زدت فهو خير قال النصف قال
ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله
فاجعل صلوتي كلها لك قال اذا تكفى همك ويغفر ذنبك وعن ابي طلحة دخلت على النبي صلى الله
عليه وسلم فرأيت من بشره وطلاقته ما لم اره قط فسألته فقال وما يمنعني وقد خرج
جبريل انفا فاتاني ببشارة من ربي ان الله تعالى بعثني اليك ابشرك انه ليس احد من امتك
يصلي عليك الا صلى الله عليه وملائكته بها عشرا وعن جابر بن عبد الله قال قال عليه الصلوة
والسلام من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة ات
محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له الشفاعة يوم
القيامة وعن سعد بن ابي وقاص من قال حين يسمع المؤذن وانا اشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام
دينا غفر له وروى بن وهب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم علي عشرا فكانما اعتق رقبة
وفي بعض الآثار ليردن علي اقوام ما اعرفهم الا بكثرة صلوتهم علي وفي اخرى ان انجاكم يوم
القيامة من اهوالها ومواطنها اكثركم علي صلوة وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه
الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه افضل من

من عتق الرقاب صلى الله عليه وسلم فصل باب في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم اذا ذكر

حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا نا ابو يعلى
نا السنجي نا محمد بن محبوب نا ابو عيسى نا احمد بن ابراهيم الدورقي نا ربعي بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن
اسحٰق عن سعيد بن ابي سعيد عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل
ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم انف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل
ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن واظنه قال او احدهما وفي حديث
آخر ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال آمين ثم صعد فقال آمين ثم صعد فقال
آمين فسأله معاذ عن ذلك فقال ان جبريل عليه السلام اتاني فقال يا محمد من سميت بين يديه
فلم يصل عليك فمات فدخل النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين وقال فيمن ادرك رمضان
فلم يقبل منه فمات مثل ذلك ومن ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات مثله وعن علي
بن ابي طالب رضي الله عنه عنه عليه الصلوة والسلام انه قال البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل
علي وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده
فلم يصل علي اخطئ طريق الجنة وعن علي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي وعن ابي هريرة قال ابو القاسم صلى الله
عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل ان يذكروا الله ويصلوا على النبي صلى الله
عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وعن ابي هريرة من
نسي الصلوة علي نسي طريق الجنة وعن قتادة عنه عليه الصلوة والسلام من الجفاء ان
اذكر عند الرجل فلا يصلي علي وعن جابر بن عبد الله عنه عليه الصلوة والسلام ما جلس قوم
مجلسا ثم تفرقوا على غير صلوة على النبي صلى الله عليه وسلم الا تفرقوا عن انتن من ريح الجيفة
وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي
صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب حكى

الترمذي عن بعض اهل العلم قال اذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس اجزأ عنه ما كان في ذلك المجلس صلى الله عليه وسلم

فصل في تخصيصه عليه الصلوة والسلام بتبليغ صلوة من صلى عليه او سلم من الانام

حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي نا الحسين بن محمد نا ابو عمر الحافظ نا ابن عبد المؤمن نا ابن داسة نا ابو داود نا ابن عوف نا المقرئ نا حيوة عن ابي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وذكر ابو بكر بن ابي شيبة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته وعن ابن مسعود ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام ونحوه عن ابي هريرة وعن ابن عمر اكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة فانه يؤتى به منكم في كل جمعة وفي رواية فان احدكم لا يصلي علي الا عرضت صلوته علي حين يفرغ منها وعن الحسن عنه عليه الصلوة والسلام حيثما كنتم فصلوا علي فان صلوتكم تبلغني وعن ابن عباس ليس احد من امة محمد صلى الله عليه وسلم يسلم عليه ويصلي عليه الا بلغه وذكر بعضهم ان العبد اذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه اسمه وعن الحسن بن علي اذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث كنتم فان صلوتكم تبلغني حيث كنتم وفي حديث اوس اكثروا علي من الصلوة يوم الجمعة فان صلوتكم معروضة علي وعن سليمان بن سحيم رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم وعن ابن شهاب قال بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا علي من الصلوة في الليلة الزهراء واليوم الازهر فانهما يؤديان عنكم وان الارض لا تأكل اجساد الانبياء وما من مسلم يصلي علي الا حملها ملك حتى يؤديها الي ويسميه حتى انه ليقول ان فلانا يقول كذا وكذا

فصل في الاختلاف في الصلوة على غير النبي

صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم والسلام قال المفتي وقد ذهب اهل العلم يتفقون على
جواز الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن ابن عباس انه لا يجوز الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي
عنه لا تنبغي الصلوة على احد الا النبيين وقال سفيان يكره ان يصلى الا على نبي ووجدت بخط بعض شيوخي مذهب مالك انه لا
يجوز ان يصلى على احد من الانبياء سوى محمد عليه الصلوة والسلام وهذا غير معروف من مذهبه و
قد قال مالك في المبسوط ليحيى بن اسحق اكره الصلوة على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى
ما امرنا به قال يحيى بن يحيى لست آخذ بقوله ولا باس بالصلوة على الانبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج
بحديث ابن عمر وبما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصلوة عليه وفيه وعلى ازواجه
وعلى آله وقد وجدت معلقا عن ابي عمران الفاسي روى عن ابن عباس كراهة الصلوة على
غير النبي صلى الله عليه وسلم قال وبه نقول ولم يكن مستعملا فيما مضى وقد روى عبد الرزاق
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على انبياء الله ورسله فان الله
بعثهم كما بعثني قالوا والاسانيد عن ابن عباس لينة والصلوة في لسان العرب بمعنى الترحم
والدعاء وذلك على الاطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع وقد قال تعالى هو الذي يصلي
عليكم وملائكته الاية وقال تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم الاية وقال
تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وقال صلى الله عليه وسلم اللهم صل على
آل ابي اوفى وكان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان وفي حديث الصلوة اللهم
صل على محمد وعلى ازواجه وذريته وفي آخر وعلى آل محمد قيل اتباعه وقيل امته وقيل آل بيته
وقيل الاتباع والرهط والعشيرة وقيل آل الرجل ولده وقيل قومه وقيل اهله الذين حرمت
عليهم الصدقة وفي رواية انس سئل النبي صلى الله عليه وسلم من آل محمد قال كل تقي
ويجيء على مذهب الحسن ان المراد بآل محمد محمد نفسه فانه كان يقول في صلاته على النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد يريد نفسه لانه كان لا يخل
بالفرض ويأتي بالنفل لان الفرض الذي امر الله به هو الصلوة على محمد نفسه وهذا مثل قوله

عليه الصلاة والسلام لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود يريد من مزامير داود وفي حديث
أبي حميد الساعدي في الصلاة اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته وفي حديث ابن عمر أنه كان
يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر ذكره مالك في الموطا من رواية يحيى الأندلسي
والصحيح من رواية غيره ويدعو لأبي بكر وعمر وروى ابن وهب عن أنس بن مالك كنا ندعو لأصحابنا
بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم أبرار الذين يقومون بالليل
ويصومون بالنهار قال القاضي وفقه الله تعالى والذي ذهب إليه المحققون وأميل إليه ما قاله
مالك وسفيان رحمهما الله تعالى وروي عن ابن عباس واختاره غير واحد من الفقهاء
والمتكلمين أنه لا يصلى على غير الأنبياء عند ذكرهم بل هو شيء يختص به الأنبياء توقيرا لهم
وتعزيرا كما يختص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره كذلك
يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء بالصلاة والتسليم ولا يشارك
فيه سواهم كما أمر الله به بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الأئمة و
غيرهم بالغفران والرضى كما قال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا
بالإيمان الآية وقال والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم وأيضا فهو أمر لم يكن معروفا في الصدر
الأول كما قال أبو عمران وإنما أحدثته الرافضة والمتشيعة في بعض الأئمة فشاركوهم عند
الذكر لهم بالصلاة وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وأيضا فإن التشبه
بأهل البدع منهي عنه فيجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك وذكر الصلاة على الآل والأزواج
مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع والإضافة إليه لا على التخصيص قالوا وصلاة
النبي صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه مجراها مجرى الدعاء والمواجهة ليس فيها معنى التعظيم
والتوقير قالوا وقد قال الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فكذلك
يجب أن يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض وهذا اختيار الإمام أبي المظفر الإسفرايني
من شيوخنا وللحافظ أبي عمر بن عبد البر رحمه الله تعالى **فصل** في حكم زيارة قبره عليه الصلاة

السلام وفضل من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو وزيارة قبره عليه الصلوة والسلام
سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها روى عن ابن عمر قال قال النبي صلى الله
عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي حدثنا القاضي ابو علي نا ابو الفضل بن خيرون
نا الحسين بن جعفر نا ابو الحسن علي بن عمر الدارقطني نا القاضي المحاملي نا محمد بن عبد الرزاق نا
موسى بن هلال عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر فذكره وعن انس بن مالك قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعا يوم القيامة
وفي حديث آخر من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي وكره مالك ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله
عليه وسلم وقد اختلف في معنى ذلك فقيل كراهة الاسم لما ورد من قوله عليه الصلوة و
السلام لعن الله زوارات القبور وهذا يرده قوله نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وقوله من زار
قبري فقد اطلق اسم الزيارة وقيل لان ذلك لما قيل ان الزائر افضل من المزور وهذا ايضا
ليس بشيء اذ ليس كل زائر بهذه الصفة وليس عموما وقد ورد في حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم
ولم يمنع هذا اللفظ في حقه تعالى قال ابو عمران انما كره مالك ان يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبي
صلى الله عليه وسلم لاستعمال الناس ذلك بينهم بعضهم لبعض وكره تسوية النبي صلى الله
عليه وسلم مع الناس بهذا اللفظ واحب ان يخص بان يقال سلمنا على النبي صلى الله عليه وسلم
وايضا فان الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد الرحال الى قبره صلى الله عليه وسلم يريد
بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتاكيد والاولى عندي ان منعه وكراهة مالك له لاضافته
الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وانه لو قال زرنا النبي صلى الله عليه وسلم لم يكرهه لقوله
عليه الصلوة والسلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد بعدي اشتد غضب الله على قوم اتخذوا
قبور انبيائهم مساجد فحمى اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل اولئك قطعا للذريعة
وحسما للباب والله اعلم قال اسحق بن ابراهيم الفقيه ومما لم يزل من شان من حج المرور بالمدينة
والقصد الى الصلوة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره

وعليه وبالاحسن يديه ومواطئ قدميه والعمود الذي كان يستند اليه وينزل جبرائيل الروح
فيه عليه وبمن عمره وقصده من الصحابة وائمة المسلمين والاعتبار بذلك كله وقال ابن
ابي فديك سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا انه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فتلا هذه الاية ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا
تسليما ثم قال صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك
يا فلان ولم تسقط له حاجة وعن يزيد بن ابي سعيد المهري قدمت على عمر بن عبد العزيز
فلما ودعته قال لي اليك حاجة اذا اتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فاقرأه مني السلام قال غيره كان يبرد اليه البريد من الشام قال بعضهم رايت انس بن مالك اتى
قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلوة فسلم على النبي
صلى الله عليه وسلم ثم انصرف قال مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم
ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال في المبسوط
لا ارى ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي قال ابن ابي مليكة
من احب ان يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر
على رأسه وقال نافع كان ابن عمر يسلم على القبر رايته مائة مرة او اكثر يجيء الى القبر فيقول السلام
على النبي السلام على ابي بكر السلام على ابي حفص ثم ينصرف ورئي واضعا يده على مقعد النبي صلى
الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه وعن ابن قسيط والعتبي كان اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم اذا خلا المسجد جسوا رمانة المنبر التي تلي القبر بميامنهم ثم استقبلوا القبلة يدعون
وفي الموطا من رواية يحيى بن يحيى الليثي انه كان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فيصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر وعند ابن القاسم والقعنبي ويدعو لابي بكر
وعمر قال مالك في رواية ابن وهب يقول المسلم السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
قال في المبسوط ويسلم على ابي بكر وعمر قال القاضي ابو الوليد الباجي وعندي انه يدعو

النبي صلى الله عليه وسلم بلغت الصلاة ولأبي بكر وعمر كما في حديث ابن عمر من الحلال وقال
ابن حبيب ويقول إذا دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله وسلام على رسول الله عليه
السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وجنتك
واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد إلى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر واركع فيها ركعتين
قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيهما وتسأله تمام ما خرجت إليه والعون عليه وإن كانت ركعتاك
في غير الروضة أجزأتاك وفي الروضة أفضل وقد قال عليه الصلاة والسلام ما بين بيتي و
منبري روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا
فتصلي عليه وتثني بما يحضرك وتسلم على أبي بكر وعمر وتدعو لهما وأكثر من الصلاة في مسجد النبي
صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار ولا تدع أن تأتي مسجد قبا وقبور الشهداء قال مالك في
كتاب محمد ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل وخرج يعني في المدينة وفيما بين ذلك
قال محمد وإذا خرج جعل آخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا وروى ابن وهب
عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
إذا دخلت المسجد فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب
رحمتك وإذا خرجت فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي
أبواب فضلك وفي رواية أخرى فليسلم مكان فليصل فيه ويقول إذا خرج اللهم إني أسألك
من فضلك وفي أخرى اللهم احفظني من الشيطان الرجيم وعن محمد بن سيرين قال كان
الناس يقولون إذا دخلوا المسجد صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك أيها النبي ورحمة
الله وبركاته بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون إذا خرجوا مثل
ذلك وعن فاطمة أيضا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قال صلى الله عليه وسلم
ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد الله وسمى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
وذكر مثله وفي رواية بسم الله والسلام على رسول الله وعن غيرها كان رسول الله صلى الله

عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي ابواب رحمتك ويسر لي ابواب رزقك وعن ابي هريرة
اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي وقال مالك في
المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من اهل المدينة الوقوف بالقبر وانما ذلك للغرباء
وقال فيه ايضا لا باس لمن قدم من سفر او خرج الى سفر ان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فيصلي عليه ويدعو له ولابي بكر وعمر فقيل له فان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون من سفر
ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا في الجمعة او في الايام المرة او
المرتين او اكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن احد من اهل الفقه
ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح اخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغني عن اول هذه الامة
وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك ويكره الا لمن جاء من سفر او اراده قال ابن القاسم ورايت
اهل المدينة اذا خرجوا منها او دخلوها اتوا القبر فسلموا قال وذلك رايي قال الباجي ففرق
بين اهل المدينة والغرباء لان الغرباء قصدوا لذلك واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من
اجل القبر والتسليم وقال عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم
اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبري عيدا ومن كتاب احمد بن سعيد الهندي فيمن
وقف بالقبر لا يلصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا وفي العتبية يبدأ بالركوع قبل
السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم واحب مواضع التنفل فيه مصلى النبي صلى الله عليه
وسلم حيث العمود المخلق واما في الفريضة فالتقدم الى الصفوف والتنفل فيه للغرباء احب الي من
التنفل في البيوت والله اعلم فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من
الادب سوى ما قدمناه وفضله وفضل الصلاة فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل
سكنى المدينة ومكة قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه
روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل اي مسجد هو قال مسجدي هذا وهو قول ابن المسيب
(رواه مسلم والترمذي)
وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن انس وغيرهم وعن ابن عباس انه مسجد قباء ثنا

هشام بن احمد الفقيه بقراءتى عليه نا الحسين بن محمد الحافظ نا ابو عمر النمرى نا ابو محمد بن عبد
المؤمن نا ابو بكر بن داسة نا ابو داود نا مسدد نا سفيان عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن
ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجد الحرام و
مسجدى هذا والمسجد الاقصى وقد تقدمت الآثار فى الصلوة والتسليم على النبى صلى الله عليه
وسلم عند دخول المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبى صلى الله عليه وسلم كان
اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم
وقال مالك رحمه الله سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه صوتا فى المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن
انت فقال رجل من ثقيف فقال لو كنت من هاتين القريتين لادبتك ان مسجدنا لا يرفع فيه
الصوت قال محمد بن مسلمة لا ينبغى لاحد ان يعتمد المسجد برفع الصوت ولا بشئ من الاذى وان
ينزه عما يكره قال القاضى ابو الفضل حكى ذلك كله القاضى اسماعيل فى مبسوطه فى باب
فضل مسجد النبى صلى الله عليه وسلم والعلماء كلهم متفقون ان حكم سائر المساجد
هذا الحكم قال القاضى اسمعيل وقال محمد بن مسلمة ويكره فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم
الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلوتهم وليس مما يخص به المساجد رفع الصوت قد كره
رفع الصوت بالتلبية فى مساجد الجماعات الا المسجد الحرام ومسجدى وقال ابو هريرة رضى الله عنه
عليه الصلوة والسلام صلوة فى مسجدى هذا خير من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام
قال القاضى ابو الفضل رحمه الله اختلف الناس فى معنى هذا الاستثناء على اختلافهم فى
المفاضلة بين مكة والمدينة فذهب مالك فى رواية اشهب عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة
اصحابه الى ان معنى الحديث ان الصلوة فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم افضل من الصلوة
فى سائر المساجد بالف صلوة الا المسجد الحرام فان الصلوة فى مسجد الرسول عليه الصلوة و
السلام افضل من صلوة فيه بدون الالف واحتجوا بما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه
صلوة فى المسجد الحرام خير من مائة صلوة فيما سواه فتاتى فضيلة مسجد الرسول صلى الله

عليه وسلم عليه بتسعمائة وعلى غيره بالف وهذا مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه وهو قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومالك واكثر المدنيين وذهب اهل مكة والكوفة الى تفضيل مكة وهو قول عطاء وابن وهب وابن حبيب اصحاب مالك وحكاه الساجي عن الشافعي وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم على ظاهره وان الصلوة في المسجد الحرام افضل واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث ابي هريرة وفيه وصلوة في المسجد الحرام افضل من الصلوة في مسجدي هذا بمائة صلوة وروى قتادة مثله فيأتي فضل الصلوة في المسجد الحرام على هذا على الصلوة في سائر المساجد بمائة الف ولا خلاف ان موضع قبره افضل بقاع الارض قال القاضي ابو الوليد الباجي الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة لسائر المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينة وذهب الطحاوي الى ان هذا التفضيل انما هو في صلوة الفرض وذهب مطرف من اصحابنا الى ان ذلك في النافلة ايضا قال وجمعة خير من جمعة ورمضان خير من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا نحوه وقال عليه الصلوة والسلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومثله عن ابي هريرة وابي سعيد وزاد ومنبري على حوضي وفي حديث اخر ومنبري على ترعة من ترع الجنة قال الطبري فيه معنيان احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع انه روي ما بين حجرتي ومنبري والثاني ان البيت هنا القبر وهو قول زيد بن اسلم في هذا الحديث كما روي بين قبري ومنبري قال الطبري واذا كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن بينها خلاف لان قبره في حجرته وهو بيته وقوله ومنبري على حوضي قيل يحتمل ان منبره بعينه الذي كان في الدنيا وهو اظهر والثاني ان يكون له هناك منبر والثالث ان قصد منبره والحضور عنده لملازمة الاعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله الباجي وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين احدهما انه موجب لذلك وان الدعاء والصلوة فيه يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف

والثاني ان تلك البقعة قد نقلها الله فتكون في الجنة بعينها قاله الداودي وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المدينة لا يصبر على لأوائها وشدتها احد الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيامة وقال فيمن تحمل عن المدينة والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال انما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها وقال لا يخرج احد من المدينة رغبة عنها الا ابدلها الله خيرا منه وروى عنه عليه الصلوة والسلام انه قال من مات في احد الحرمين حاجا او معتمرا بعثه الله يوم القيامة لا حساب عليه ولا عذاب وفي طريق آخر بعث من الآمنين يوم القيامة وعن ابن عمر من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا الآية الى قوله آمنا قال بعض المفسرين آمنا من النار وقيل كان يأمن من الطلب من احدث حدثا في الجاهلية ولجأ اليه وهذا مثل قوله تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا على قول بعضهم وحكى ان قوما اتوا سعدون الخولاني بالمنستير فاعلموه ان كتامة قتلوا رجلا واضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقي ابيض البدن فقال لعله حج ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت ان من حج حجة ادى فرضه ومن حج ثانية داين ربه ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قال مرحبا بك من بيت ما اعظمك واعظم حرمتك وفي الحديث عنه عليه الصلوة والسلام ما من احد يدعو الله عند الركن الاسود الا استجاب الله له وكذلك عند الميزاب وعنه عليه الصلوة والسلام من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة من الآمنين قال الفقيه القاضي ابو الفضل قرأت على القاضي الحافظ ابي علي رحمه الله حدثنا ابو العباس العذري قال نا ابو اسامة محمد بن احمد بن محمد الهروي نا الحسن بن رشيق قال سمعت ابا الحسن محمد بن الحسن بن راشد يقول سمعت ابا بكر محمد بن ادريس يقول سمعت الحميدي قال سمعت سفيان بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس يقول

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا احد بشيء في هذا الملتزم الا استجيب له قال ابن عباس وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا استجيب لي وقال عمرو بن دينار وانا فما دعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس الا استجيب لي وقال سفيان وانا فما دعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو الا استجيب لي قال الحميدي وانا فما دعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان الا استجيب لي وقال محمد بن ادريس وانا فما دعوت الله تعالى في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي الا استجيب لي وقال ابو الحسن محمد بن الحسن بن اشرف وانا فما دعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لي قال ابو اسامة وما اذكر ان الحسن بن رشيق قال فيه شيئا وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق الا استجيب لي من امر الدنيا وانا ارجو ان يستجاب لي من امر الآخرة قال العذري وانا فما دعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابي اسامة الا استجيب لي قال ابو علي وانا فقد دعوت الله فيه باشياء كثيرة استجيب لي بعضها وانا ارجو الله تعالى من سعة فضله ان يستجيب لي بقيتها قال القاضي ابو الفضل ذكرنا نبذا من هذه النكت في هذا الفصل وان لم تكن من الباب لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصا على تمام الفائدة والله تعالى الموفق للصواب

باعتبار الاصل

القسم الثالث

فيما يجب للنبي عليه الصلاة والسلام وما يستحيل او يجوز عليه وما يمتنع او يصح من الاحوال البشرية ان يضاف اليه قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية وقال تعالى ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام وقال تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وقال تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي فمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء من البشر ارسلوا الى البشر

ولولا ذلك لما اطاق الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا
لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون اى لما كان الا فى صورة البشر الذين يمكنكم مخالطتهم اذ
لا تطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته اذا كان على صورته وقال قل لو كان فى الارض
ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا اى لا يمكن فى سنة الله تعالى
ارسال الملك الا لمن هو من جنسه او من خصه الله تعالى واصطفاه وقواه على مقاومته كالانبياء
والرسل فالانبياء والرسل وسائط بين الله وبين خلقه يبلغونهم اوامره ونواهيه ووعده ووعيده
ويعرفونهم بما لم يعلموه من امره وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته فظواهرهم واجسادهم
وبنيتهم متصفة باوصاف البشر طارئ عليها ما يطرأ على البشر من الاعراض والاسقام والفناء
والموت ونعوت الانسانية وارواحهم وبواطنهم متصفة باعلى من اوصاف البشر متعلقة
بالملاء الاعلى متشبهة بصفات الملائكة سليمة من التغير والآفات لا يلحقها غالبا عجز البشرية
ولا ضعف الانسانية اذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ عن
الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخالطتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت اجسامهم
وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف صفات البشر لما اطاق البشر ومن ارسلوا اليه
مخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى فجعلوا من جهة الاجسام والظواهر مع البشر ومن
جهة الارواح والبواطن مع الملائكة كما قال عليه الصلوة والسلام لو كنت متخذا من امتى
خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لكن صاحبكم خليل الرحمن وكما قال تنام
عيناى ولا ينام قلبى وقال انى لست كهيئتكم انى اظل يطعمنى ربى ويسقينى فبواطنهم منزهة عن
الآفات مطهرة عن النقائص والاعتلالات وهذه جملة لن يكتفى بمضمونها كل ذى همة بل الاكثر
يحتاج الى البسط والتفصيل على ما نأتى به بعد هذا فى البابين بعون الله تعالى وهو حسبنا ونعم الوكيل

الباب الاول

فيما يختص بالامور الدينية والكلام فى عصمة نبينا عليه الصلوة و
السلام وسائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام قال القاضى ابو الفضل رحمه الله اعلم ان الطوارئ

من التغيرات والآفات على أجساد البشر لا يخلو أن تطرأ على جسمه أو على حواسه بغير قصد و اختيار
كالأمراض والأسقام أو تطرأ بقصد واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله إلى
ثلاثة أنواع عقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وجميع البشر تطرأ عليهم الآفات والتغيرات
بالاختيار وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه وسلم وإن كان من البشر ويجوز
على جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت البراهين القاطعة وتمت كلمة الإجماع على خروجه
عنهم وتنزيهه عن كثير من الآفات التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه إن شاء الله
تعالى فيما نأتي به من التفاصيل والله المستعان **فصل** في حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه
وسلم من وقت نبوته اعلم منحنا الله وإياك توفيقه أن ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله
تعالى وصفاته والإيمان به وبما أوحى الله إليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء
عن الجهل بشيء من ذلك أو الشك أو الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين
هذا ما وقع إجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة أن يكون في عقود الأنبياء سواه
ولا يعترض على هذا بقول إبراهيم عليه السلام قال بلى ولكن ليطمئن قلبي إذ لم يشك إبراهيم في
إخبار الله تعالى له بإحياء الموتى ولكن أراد طمأنينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الإحياء
فحصل له العلم الأول بوقوعه وأراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته الوجه الثاني أن إبراهيم
عليه السلام إنما أراد اختبار منزلته عند ربه وعلم إجابة دعوته بسؤال ذلك من ربه فيكون
قوله أولم تؤمن أي تصدق بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك الوجه الثالث أنه سأل
ربه زيادة يقين وقوة طمأنينة وإن لم يكن في الأول شك إذ العلوم النظرية والضرورية
قد تتفاضل في قوتها وطريان الشكوك على الضروريات ممتنع ومجوز في النظريات فأراد الانتقال
من النظر والخبر إلى المشاهدة والترقي من علم اليقين إلى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة
ولهذا قال سهل بن عبد الله سأل كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله الوجه الرابع
أنه لما احتج على المشركين بأن ربه تعالى يحيي ويميت طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا

الوجه الخامس قال بعضهم هو سؤال على طريق الادب المراد اقدرني على احياء الموتى وقوله ليطمئن
قلبي عن هذه الامنية الوجه السادس انه ارى من نفسه الشك وما شك لكن ليجاوب فيزداد
قربه وقول نبينا عليه السلام نحن احق بالشك من ابراهيم نفي لان يكون ابراهيم شك و
ابعاد للخواطر الضعيفة ان تظن هذا بابراهيم اي نحن موقنون بالبعث واحياء الله الموتى فلو
شك ابراهيم لكنا اولى بالشك منه اما على طريق الادب او ان تريد امته الذين يجوز عليهم
الشك او على طريق التواضع والاشفاق ان حملت قصة ابراهيم على اختبار حاله او زيادة يقينه
فان قلت فما معنى قوله تعالى فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُنَ الآيتين
فاحذر ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس وغيره
من اثبات شك للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه
جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن ابن جبير و
الحسن وحكى قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسأل وعامة المفسرين على
هذا واختلفوا في معنى الآية فقيل المراد قل يا محمد للشاك فان كنت في شك الآية قالوا وفي
السورة نفسها ما دل على هذا التأويل قوله قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي
وقيل المراد بالخطاب العرب وغير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ
الآية والخطاب له والمراد غيره ومثله فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ ونظيره كثير قال بكر بن
العلاء الا تراه يقول وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وهو عليه السلام كان
المكذب فيما يدعو اليه فكيف يكون ممن كذب به فهذا كله يدل على ان المراد بالخطاب
غيره ومثل هذه الآية قوله الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا المأمور ها هنا غير النبي صلى الله عليه وسلم
ليسأل النبي صلى الله عليه وسلم والنبي عليه الصلاة والسلام هو الخبير المسئول لا المستخبر السائل وقيل ان هذا الشك
الذي امر غير النبي بسؤال الذين يقرءون الكتاب انما هو فيما قصه الله تعالى من اخبار الامم لا فيما
دعا اليه من التوحيد والشريعة ومثل هذا قوله تعالى وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا

الآية المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم قال القتبي وقيل معناه سلنا
عمن ارسلنا من قبلك فحذف الخافض وتم الكلام ثم ابتدأ اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون
على طريق الانكار اي ما جعلنا حكاه مكي وقيل امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسال الانبياء
ليلة الاسراء عن ذلك فكان اشد يقينا من ان يحتاج الى السوال فيروى انه قال لا اسال
قد اكتفيت قاله ابن زيد وقيل سل امم من ارسلنا هل جاؤهم بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد
والسدي والضحاك وقتادة والمراد بهذا والذي قبله اعلامه بما بعثت به الرسل صلوات
الله عليهم وانه تعالى لم يأذن في عبادة غيره لاحد ردا على مشركي العرب وغيرهم في قولهم
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وكذلك قوله تعالى والذين آتيناهم الكتب يعلمون انه
منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين اي في علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا
بذلك وليس المراد به شكه فيما ذكر في اول الاية وقد يكون ايضا على مثل ما تقدم اي قل لمن امترى
يا محمد في ذلك لا تكونن من الممترين بدليل قوله تعالى اول الاية افغير الله ابتغي حكما الاية وان
النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير كقوله تعالى أانت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله وقد علم انه لم يقل وقيل معناه ما كنت في شك فاسال تزدد طمانينة
وعلما الى علمك ويقينك وقيل ان كنت في شك فيما شرفناك وفضلناك به فاسالهم عن
صفتك في الكتب ونشر فضائلك وحكي عن ابي عبيدة ان المراد ان كنت في شك من
غيرك فيما انزلنا فان قيل فما معنى قوله حتى اذا استيئس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة
التخفيف قلنا المعنى في ذلك ما قالته عايشة رضي الله عنها معاذ الله ان تظن ذلك الرسل
بربها وانما معنى ذلك ان الرسل لما استيئسوا ظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم كذبوهم
وعلى هذا اكثر المفسرين وقيل ان الضمير في ظنوا عائد على الاتباع والامم لا على الانبياء والرسل
وهو قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء وبهذا المعنى قرا مجاهد كذبوا
بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ التفسير بسواه مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف بالانبياء

البدء اورد في حديث البدء ومبتدأ الوحي من قوله لخديجة لقد خشيت على نفسي ليس معناه
الشك فيما آتاه الله بعد رؤية الملك ولكن لعله خشي ان لا يحتمل قوته وقوة الملك واعباء
الوحي فينخلع قلبه او تزهق نفسه هذا على ما ورد في الصحيح انه قاله بعد لقائه الملك او يكون
ذلك قبل لقائه الملك واعلام الله تعالى له بالنبوة لاول ما عرضت عليه من العجائب
وسلم عليه الحجر والشجر وبدأته المنامات والتباشير كما روي في بعض طرق هذا الحديث ان
ذلك كان اولا في المنام ثم اري في اليقظة مثل ذلك تأنيسا له عليه الصلوة والسلام لئلا
يفجأه الامر مشافهة ومشاهدة فلا يحتمله لاول حالة بنية البشرية وفي الصحيح عن عائشة
اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة قالت ثم حبب اليه
الخلاء وقالت الى ان جاءه الحق وهو في غار حراء الحديث وعن ابن عباس مكث النبي صلى الله
عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا وثمان
سنين يوحى اليه وقد روى ابن اسحاق عن بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال و
ذكر جواره بغار حراء قال فجاءني وانا نائم فقال اقرأ فقلت ما اقرأ وذكر نحو حديث عائشة
في غطه له واقرائه اقرأ باسم ربك السورة قال فانصرف عني وهببت من نومي فكأنما
صورت في قلبي ولم يكن ابغض الي من شاعر او مجنون ثم قلت لا تحدث عني قريش بهذا
ابدا لاعمدن الى حالق من الجبل فلاطرحن نفسي منه فلاقتلنها فبينا انا عامد لذلك
اذ سمعت مناديا ينادي من السماء يا محمد انت رسول الله وانا جبريل فرفعت رأسي
فاذا جبريل على صورة رجل وذكر الحديث فقد بين في هذا ان قوله لما قال وقصده
لما قصد انما كان قبل لقاء جبريل عليهما السلام وقبل اعلام الله تعالى له بالنبوة و
اظهاره اصطفائه له بالرسالة ومثله حديث عمرو ابن شرحبيل انه عليه الصلوة والسلام
قال لخديجة اني اذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد خشيت والله ان يكون هذا لامر ومن رواية
حماد بن سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اني لاسمع صوتا وارى ضوءا

واخشى ان يكون بي جنون وعلى هذا يتاول لو صح قوله في بعض هذه الاحاديث ان الابعد
شاعر او مجنون والفاظ يفهم منها معاني الشك في تصحيح ما راٰه وانه كان كله في ابتداء
امره وقبل لقاء الملك له واعلام الله له انه رسوله فكيف وبعض هذه الالفاظ لا تصح
طرقها واما بعد اعلام الله تعالى له ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه شك
فيما القي اليه وقد روى ابن اسحاق عن شيوخه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يرقى بمكة من العين قبل ان ينزل عليه فلما انزل عليه القران اصابه نحو ما كان يصيبه فقالت
له خديجة اوجه اليك من يرقيك فقال اما الان فلا وحديث خديجة واختبارها امر جبريل
بكشف راسها الحديث انما ذلك في حق خديجة لتحقق صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وان الذي ياتيه ملك ويزول الشك عنها لا انها فعلت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ولتختبر
هي حاله بذلك بل قد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام عن ابيه
عن عائشة ان ورقة امر خديجة ان تختبر الامر بذلك وفي حديث اسماعيل بن ابي حكيم انها
قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك اذا جاءك
قال نعم فلما جاء جبريل اخبرها فقالت له اجلس الى شقي وذكر الحديث الى اخره وفيه فقالت
ما هذا بشيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وابشر وامنت به فهذا يدل على انها مستثبتة
بما فعلته لنفسها ومستظهرة لايمانها لا للنبي صلى الله عليه وسلم وقول معمر في فترة
الوحي فحزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤس
شواهق الجبال لا يقدح في هذا الاصل لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر رواته
ولا من حدث به ولا ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا الا من جهة
النبي صلى الله عليه وسلم مع انه يحمل على انه كان اول الامر كما ذكرناه او انه فعل ذلك لما احرجه
من تكذيب من بلغه كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث
اسفا ويصحح معنى هذا التاويل حديث رواه شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن

عبد الله ان المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في شأن النبي صلى الله عليه وسلم
واتفق رأيهم على ان يقولوا انه ساحر اشتد عليه ذلك فتزمل في ثيابه وتدثر فيها فاتاه جبريل
فقال يا ايها المزمل يا ايها المدثر وخاف ان الفترة لامر او سبب منه فخشي ان تكون عقوبة
من ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد نهي بالنهي عن ذلك فيعترض به ونحو هذا فرار يونس
عليه السلام خشية تكذيب قومه له لما وعدهم به من العذاب في قول الله تعالى في يونس
فظن ان لن نقدر عليه معناه ان لن نضيق عليه قال مكي طمع في رحمة الله وان لا يضيق
مسلكه في خروجه وقيل حسن ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه العقوبة وقيل نقدر عليه
ما اصابه قد قرئ نقدر عليه بالتشديد وقيل نؤاخذه بغضبه وذهابه وقال ابن زيد
معناه افظن ان لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق ان يظن نبي ان يجهل صفة من
صفات ربه وكذلك قوله اذ ذهب مغاضبا الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس
والضحاك وغيرهما لا لربه اذ مغاضبة الله معاداة له ومعاداة الله تعالى كفر لا يليق
بالمؤمنين فكيف بالانبياء وقيل مستحييا من قومه ان يسموه بالكذب او يقتلوه كما ورد
في الخبر وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما امره به من التوجه الى امر امره الله تعالى به على لسان نبي آخر فقال له
يونس غيري اقوى عليه مني فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان ارسال يونس عليه السلام ونبوته انما كان بعد ان نبذه الحوت واستدل من الآية بقوله تعالى فنبذناه
بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة الف او يزيدون ويستدل
ايضا بقوله ولا تكن كصاحب الحوت وذكر القصة ثم قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين
فتكون هذه القصة اذا قبل نبوته فان قيل فما معنى قوله عليه الصلاة والسلام انه
ليغان على قلبي فاستغفر الله كل يوم مائة مرة وفي طريق في اليوم اكثر من سبعين مرة
فاحذر ان يقع ببالك ان يكون هذا الغين وسوسة او ريبا وقع في قلبه عليه الصلاة
والسلام بل اصل الغين في هذا ما يتغشى القلب ويغطيه قاله ابو عبيد واصله من غين السماء

وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره الغين شئ يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق
الذى يعرض فى الهواء فلا يمنع ضوء الشمس وكذالك لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه
مائة مرة او اكثر من سبعين فى اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه الذى ذكرناه وهو اكثر
الروايات وانما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات
قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان صلى الله عليه
وسلم دفع اليه من مقاساة البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل ومقاومة الولى
والعدو ومصلحة النفس وكلفه من اعباء اداء الرسالة وحمل الامانة وهو فى هذا كله فى طاعة
ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم ارفع الخلق عند الله تعالى مكانة واعلاهم
درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه واقباله
بكليته عليه ومقامه هنالك ارفع حاليه راى عليه الصلوة والسلام حال فترته عنها و
شغله بسواها غضا من على حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا اولى
وجوه الحديث واشهرها والى معنى ما اشرنا اليه مال كثير من الناس وحام حوله فقارب
ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبنى على جواز الفترات
والغفلات والسهو فى غير طريق البلاغ على ما سيأتى وذهبت طائفة من ارباب القلوب ومشيخة
المتصوفة ممن قال بتنزيه النبى صلى الله عليه وسلم عن هذا جملة واجله ان يجوز عليه فى
حال سهو او فترة الى ان معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من امر امته عليه الصلوة
والسلام لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين هنا على
قلبه السكينة التى تتغشاه لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره عليه
الصلوة والسلام عندها اظهارا للعبودية والافتقار وقال ابن عطاء استغفاره وفعله هذا
تعريف للامة يحملهم على الاستغفار وقال غيره وليستشعروا الحذر ولا يركنوا الى الامن و
قد يحتمل ان تكون هذه الاغانة حالة خشية واعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله تعالى

وملازمة لعبوديته كما قال في ملازمة العبادة أفلا أكون عبدا شكورا وعلى هذه الوجوه
الأخيرة يحمل ما روي في بعض طرق هذا الحديث عنه عليه الصلاة والسلام إنه ليغان على
قلبي في اليوم أكثر من سبعين مرة فأستغفر الله فإن قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد عليه الصلاة
والسلام وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ وقوله تعالى لنوح فَلَا تَسْأَلْنِ
مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ فاعلم أنه لا يلتفت في ذلك إلى قول من
قال في آية نبينا عليه الصلاة والسلام لا تكونن ممن يجهل أن الله لو شاء لجمعهم على الهدى وفي آية
نوح لا تكونن ممن يجهل أن وعد الله حق لقوله وإن وعدك الحق إذ فيه إثبات الجهل بصفة
من صفات الله تعالى وذلك لا يجوز على الأنبياء والمقصود وعظهم أن لا يتشبهوا في أمورهم
بسمات الجاهلين كما قال إني أعظك وليس في آية منهما دليل على كونهم على تلك الصفة التي نهاهم
عن الكون عليها فكيف وآية نوح قبلها فلا تسألن ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها على ما
قبلها أولى لأن مثل هذا قد يحتاج إلى إذن وقد تجوز إباحة السؤال فيه ابتداء فنهاه
الله أن يسأله عما طوى عنه علمه وأكنه من غيبه من السبب الموجب لهلاك ابنه ثم أكمل الله
نعمته عليه بإعلامه ذلك بقوله إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح حكى معناه مكي كذلك
أمر نبينا في الآية الأخرى بالتزام الصبر على إعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال
الجاهل بشدة التحسر حكاه أبو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لأمة محمد أي فلا تكونوا
من الجاهلين حكاه أبو محمد مكي وقال مثله في القرآن كثير فبهذا الفضل وجب القول
بعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام منه بعد النبوة قطعا فإن قلت فإذا قررت عصمتهم
من هذا وأنه لا يجوز عليهم شيء من ذلك فما معنى إذا وعيد الله لنبينا عليه الصلاة
والسلام على ذلك إن فعله وتحذيره منه كقوله تعالى لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ الآية
وقوله وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ الآية وقوله إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ
الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ الآية وقوله لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ وقوله وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

وقوله فان يشأ الله يختم على قلبك وقوله وان لم تفعل فما بلغت رسالته وقوله يايها النبى اتق الله ولا تطع الكفرين والمنفقين فاعلم وفقنا الله واياك انه عليه الصلوة والسلام لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ وان يخالف امر ربه ولا ان يشرك به ولا ان يتقول على الله ما لا يجب او يفترى عليه او يضل او يختم على قلبه او يطيع الكافرين لكن الله تعالى يسر امره بالمكاشفة والبيان فى البلاغ للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن بهذه السبيل فكانه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله تعالى والله يعصمك من الناس كما قال عز وجل لموسى وهارون عليهما السلام لا تخافا لتشتد بصائرهم فى الابلاغ واظهار دين الله ويذهب عنهم خوف العدو المضعف للنفس واما قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو لا يفعله وكذلك قوله وان تطع اكثر من فى الارض فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين كفروا الاية وقوله فان يشأ الله يختم على قلبك وقوله لئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد غيره وان هذا حال من اشرك والنبى عليه الصلوة والسلام لا يجوز عليه هذا وقوله اتق الله ولا تطع الكفرين فليس فيه انه اطاعهم والله ينهاه عما يشاء ويامره بما يشاء كما قال ولا تطرد الذين يدعون ربهم الاية وما كان طردهم وما كان من الظلمين

فصل

واما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله تعالى وصفاته والتشكك فى شىء من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والاثار عن الانبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد والايمان بل على اشراق نور المعارف ونفحات الطاف السعادة كما نبهنا عليه فى الباب الثانى من القسم الاول من كتابنا هذا ولم ينقل احد من اهل الاخبار ان احدا نبئ واصطفى ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد استدل بعضهم بان القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله وانا اقول ان قريشا قد رمت نبينا عليه الصلوة والسلام بكل ما افترته وعير كفار الامم انبياءها بما

بكل ما أمكنهم بنقله مما أضيف الله عليه ونقلته إلينا الرواة ولم نجد في شيء من ذلك
تعييرًا لواحد منهم برفضه آلهته وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه ولو كان
لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان
يعبد قبل أفظع وأقطع في الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم
من قبل ففي إطباقهم على الإعراض عنه دليل على أنهم لم يجدوا سبيلًا إليه إذ لو كان
لنقل ولما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا
عليها كما حكاه الله عنهم وقد استدل القاضي القشيري على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى
وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وقوله وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ
إلى قوله لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قال فطهره الله في الميثاق وبعيد أن يأخذ منه الميثاق قبل
خلقه ثم يأخذ ميثاق النبيين بالإيمان به ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك
أو غيره من الذنوب هذا ما لا يجوزه إلا ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك وقد
أتاه جبريل وشق قلبه صغيرًا واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله
وملأه حكمة وإيمانًا كما تظاهرت به أخبار المبدأ ولا يشبه عليك بقول إبراهيم في
الكوكب والقمر والشمس هَذَا رَبِّي فإنه قد قيل كان هذا في سن الطفولية وابتداء النظر
والاستدلال وقبل لزوم التكليف وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين إلى
أنه إنما قال ذلك مبكتًا لقومه ومستدلًا عليهم وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد
الإنكار والمراد أهذا ربي قال الزجاج قوله هذا ربي أي على قولكم كما قال تعالى أين شركائي أي
عندكم ويدل على أنه لم يعبد شيئًا من ذلك ولا أشرك بالله قط طرفة عين قول الله عز وجل عنه
إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ثم قال أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ
فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ وقال إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ أي من الشرك وقوله وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ
نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ فإن قلت فما معنى لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ قيل

اى انهم يؤيدنى بمعونته الكن شتكم فى ضلالكم وعبادتكم على معنى الاشفاق والحذر والا فهو
معصوم فى الازل من الضلال فان قلت فما معنى قوله وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم
من ارضنا او لتعودن فى ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى
ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فلا يشكل عليك لفظة العود وانها تقتضى انهم انما يعودون
الى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تأتى هذه اللفظة فى كلام العرب لما ليس له ابتداء بمعنى
الصيرورة كما جاء فى حديث الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا قبل كذلك ومثله قول
الشاعر ع فعادا بعد ابوالاء وما كانا قبل كذلك فان قلت فما معنى قوله ووجدك
ضالا فهدى فليس هو من الضلال الذى هو الكفر قيل ضالا عن النبوة فهداك اليها قاله
الطبرى وقيل وجدك بين اهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك للايمان والى ارشادهم
ونحوه عن السدى وغير واحد قيل ضالا عن شريعتك اى لا تعرفها فهداك اليها والضلال
هنا التحير ولهذا كان عليه الصلوة والسلام يخلو بغار حراء فى طلب ما يتوجه به الى ربه و
يتشرع به حتى هداه الله الى الاسلام قال معناه القشيرى وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه
وهذا مثل قوله وعلمك ما لم تكن تعلم قال على بن عيسى قال ابن عباس لم تكن له ضلالة معصية
وقيل هدى اى بين امرك بالبراهين وقيل ووجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك
الى المدينة وقيل المعنى ووجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك ضالا عن
محبتى لك فى الازل اى لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتى وقرأ الحسن بن على ووجدك
ضال فهدى اى اهتدى بك وقال ابن عطاء ووجدك ضالا اى محبا لمعرفتى و
الضال المحب كما قال تعالى انك لفى ضلالك القديم اى محبتك القديمة ولم يريدوا
ههنا فى الدين اذ لو قالوا ذلك فى نبى الله لكفروا ومثله عنده هذا قوله انا لنراها فى ضلال
مبين اى محبة بينة وقال الجنيد ووجدك متحيرا فى بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه لقوله
وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس الاية وقيل ووجدك لم يعرفك احد بالنبوة حتى اظهرك

(حاشیہ: حواشی و تعلیقات خطی در هامش، ناخوانا)

فهدى بك الشعراء ولا اعلم لها من المفسرين قال فيها الا عن الايمان وكذلك في قصة
موسى عليه السلام قوله فعلتها اذا وانا من الضالين اي من المخطئين الفاعلين شيئا
بغير قصد قاله ابن عرفة، قال الازهري معناه من الناسين وقد قيل ذلك في قوله ووجدك
ضالا فهدى اي ناسيا كما قال تعالى ان تضل احداهما فان قلت فما معنى قوله ما كنت تدري
ما الكتاب ولا الايمان والجواب ان السمرقندي قال معناه ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرأ
القرآن ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان وقال بكر القاضي نحوه قال ولا الايمان الذي
هو الفرائض والاحكام قال فكان قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها
قبل فزاد بالتكليف ايمانا وهو احسن وجوهه فان قلت فما معنى قوله وان كنت من
قبله لمن الغافلين واعلم انه ليس بمعنى قوله والذين هم عن آياتنا غافلون بل حكى ابو عبيد
الهروي ان معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف اذ لم تعلمها الا بوحينا وكذلك الحديث
الذي يرويه عثمان بن ابي شيبة بسنده عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم
خلفه فقال الاخر كيف اقوم خلفه وعهده باستلام الاصنام فلم يشهدهم بعد فهذا حديث
انكره احمد بن حنبل جدا وقال هذا موضوع او شبيه بالموضوع وقال الدارقطني يقال ان
عثمان وهم في اسناده والحديث في الجملة منكر غير متفق على اسناده فلا يلتفت اليه
والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه عند اهل العلم من قوله بغضت الي الاصنام
وقوله في الحديث الآخر الذي روته ام ايمن حين كلمه عمه وآله في حضور بعض اعيادهم وعزموا
عليه فيه بعد كراهته لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها من صنم
تمثل لي رجل ابيض طويل يصيح بي وراءك لا تمسه فما شهد لهم بعد عيدا وقوله في قصة
بحيرا حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى اذ لقيه بالشام في
سفرته مع عمه ابي طالب وهو صبي ورأى فيه علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له

النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألني عنهما فوالله ما ابغضت شيئا قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله
الا ما اخبرتني عما اسألك عنه فقال سل عما بدا لك وكذلك المعروف من سيرته عليه الصلوة
والسلام وتوفيق الله تعالى له انه كان قبل نبوته يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة
في الحج فكان يقف هو بعرفة لانه كان موقف ابراهيم عليه السلام **فصل** قال
القاضي ابو الفضل قد بان بما قدمناه عقود الانبياء في التوحيد والايمان والوحي و
عصمتهم في ذلك على ما بيناه فاما ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها انها مملوءة
علما ويقينا على الجملة وانها قد احتوت من المعرفة والعلم بامور الدين والدنيا ما لا شيء
فوقه ومن طالع الاخبار واعتنى بالحديث وتامل ما قلناه وجده وقد قدمنا منه في حق
نبينا عليه الصلوة والسلام في الباب الرابع اول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما وراءه
الا ان احوالهم في هذه المعارف تختلف فاما ما تعلق منها بامر الدنيا فلا يشترط في حق
الانبياء العصمة من عدم معرفة الانبياء ببعضها او اعتقادها على خلاف ما هي عليه ولا وصم
عليهم فيه اذ هممهم متعلقة بالآخرة وانبائها وامر الشريعة وقوانينها وامور الدنيا
تضادها بخلاف غيرهم من اهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم
عن الآخرة هم غافلون كما سنبين هذا ان شاء الله تعالى في الباب الثاني ولكنه لا يقال
انهم لا يعلمون شيئا من امر الدنيا فان ذلك يؤدي الى الغفلة والبله وهم المنزهون عنه
بل قد ارسلوا الى اهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم والنظر في مصالح دينهم ودنياهم
وهذا لا يكون مع عدم العلم بامور الدنيا بالكلية واحوال الانبياء وسيرهم في هذا الباب
معلومة ومعرفتهم بذلك كله مشهورة واما ان كان هذا العقد مما يتعلق بالدين
فلا يصح من النبي صلى الله عليه وسلم الا العلم به ولا يجوز عليه جهله جملة لانه لا يخلو ان
يكون حصل عنده ذلك عن وحي من الله تعالى فهو ما لا يصح الشك منه فيه على ما
قدمناه فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين او يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل

عليه فيه شيء بل القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين وعلى مقتضى
حديث ام سلمة انى انما اقضى بينكم برأيى فيما لم ينزل على فيه خرجه الثقات كقصة اسرى
بدر والاذن للمتخلفين على رأى بعضهم فلا يكون ايضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده الا حقا
وصحيحا هذا هو الحق الذي لا يلتفت الى خلاف من خالف فيه ممن اجاز عليه الخطأ في الاجتهاد
ان لو قام عليه دليل لا على القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق والصواب عندنا و
لا على القول الآخر بان الحق في طرف واحد لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطأ في
الاجتهاد في الشرعيات لان القول في تخطئة المجتهدين انما هو بعد استقرار الشرع
ونظر النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده انما هو فيما لم ينزل عليه فيه شيء ولم يشرع له
قبل هذا فيما عقد عليه النبي صلى الله عليه وسلم قلبه فاما ما لم يعقد عليه قلبه من امر
النوازل الشرعية فقد كان لا يعلم منها اولا الا ما علمه الله شيئا فشيئا حتى استقر علم جملتها
عنده اما بوحي من الله او اذن له ان يشرع في ذلك ويحكم بما اراه الله وقد كان ينتظر الوحي
في كثير منها ولكنه لم يمت حتى استفرغ علم جميعها عنده عليه الصلوة والسلام وتقررت
معارفها لديه على التحقيق ورفع الشك والريب وانتفى الجهل وبالجملة فلا يصح منه الجهل
بشيء من تفاصيل الشرع الذي امر بالدعوة اليه اذ لا يصح دعوته الى ما لا يعلمه واما ما تعلق
بعقده من ملكوت السموات والارض وخلق الله وتعيين اسمائه الحسنى واياته الكبرى
وامور الآخرة واشراط الساعة واحوال السعداء والاشقياء وعلم ما كان وما يكون مما
لم يعلمه الا بوحي فعلى ما تقدم من انه معصوم فيه ولا يأخذه فيما اعلم به منه شك ولا ريب
بل هو فيه على غاية اليقين لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك وان كان عنده من
علم ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله صلى الله عليه وسلم اني لا اعلم الا ما علمني ربي ولقوله
ولا خطر على قلب بشر فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقول موسى للخضر هل اتبعك
على ان تعلمن مما علمت رشدا وقوله عليه الصلوة والسلام اسألك باسمائك الحسنى ما علمت

منها وما لم اعلم وقوله اسألك بكل اسم سميت به نفسك او استأثرت به في علم الغيب عندك وقد
قال تعالى وفوق كل ذي علم عليم قال زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهي العلم الى الله تعالى وهذا ما لا خفاء
فيه اذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها هذا حكم عقد النبي صلى الله عليه وسلم في التوحيد
والشرع والمعارف والامور الدينية **فصل** واعلم ان الامة مجتمعة على عصمة النبي صلى الله
عليه وسلم من الشيطان وكفايته منه لا في جسمه بانواع الاذى ولا على خاطره بالوسواس
وقد اخبرنا القاضي الحافظ ابو علي رحمه الله تعالى قال انا ابو الفضل بن خيرون العدل حدثنا
ابو بكر البرقاني وغيره نا ابو الحسن الدارقطني نا اسمعيل الصفار نا عباس الترقفي نا محمد بن يوسف
نا سفيان عن منصور عن سالم ابن ابي الجعد عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وكل به قرينه من الجن وقرينه من
الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي ولكن الله تعالى اعانني عليه فاسلم زاد غيره
عن منصور فلا يامرني الا بخير وعن عائشة رضي الله عنها بمعناه وروي فاسلم بضم الميم
اي فاسلم انا منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروي فاسلم يعني القرين انه انتقل
عن حال كفره الى الاسلام فصار لا يامر الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم
فاستسلم قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه فاذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط
على كل احد من بني ادم فكيف بمن بعد عنه ولم يلزم صحبته ولا اقدر على الدنو منه و
قد جاءت الاثار بتصدي الشياطين له في غير موطن رغبة في اطفاء نوره واماتة نفسه
وادخال شغل عليه اذ يئسوا من اغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له في صلوته فاخذه
النبي صلى الله عليه وسلم واسره ففي الصحاح قال ابو هريرة رضي الله عنه عليه الصلوة والسلام
ان الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق في صورة هر فشد علي يقطع علي الصلوة فامكنني
الله منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه الى سارية حتى تصبحوا تنظرون اليه فذكرت قول
اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب فرده الله

خاسئاً وفي حديث أبي الدرداء عنه عليه الصلوة والسلام أن عدو الله ابليس جاء
بشهاب من نار ليجعله في وجهه والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلوة وذكر تعوذه بالله منه و
لعنه له ثم أردت أخذه وذكر نحوه وقال لأصبح موثقاً يتلاعب به ولدان أهل المدينة و
كذلك في حديثه في الإسراء وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل ما يتعوذ به منه ذكره
في الموطأ ولما لم يقدر على أذاه بمباشرته تسبب بالتوسط إلى عداه كقضيته مع قريش في
الائتمار بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وتصوره في صورة الشيخ النجدي ومرة أخرى في غزوة
يوم بدر في صورة سراقة بن مالك وهو قوله تعالى وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم الآية و
مرة ينذر بشأنه عند بيعة العقبة وكل هذا فقد كفاه الله أمره وعصمه ضره وشره وقد
قال عليه الصلوة والسلام إن عيسى عليه السلام كفي من لمسه فجاء ليطعن بيده في خاصرته
حين ولد فطعن في الحجاب وقال عليه الصلوة والسلام حين لُدّ في مرضه وقيل له خشينا أن تكون
بك ذات الجنب فقال إنها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه علي فإن قيل فما معنى قوله
وإما ينزغنك من الشيطان نزغ الآية فقد قال بعض المفسرين إنها راجعة إلى قوله وأعرض عن الجاهلين
ثم قال وإما ينزغنك من الشيطان نزغ أي يستخفنك غضب يحملك على ترك الإعراض عنهم
فاستعذ بالله وقيل النزغ هنا الفساد كما قال تعالى من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي
وقيل ينزغنك يغرينك ويحركنك والنزغ أدنى الوسوسة فأمره الله تعالى أنه متى تحرك
عليه غضب على عدوه أو رام الشيطان من إغرائه به وخواطر أدنى وساوسه ما لم يجعل
سبيل إليه أن يستعيذ منه فيكفى أمره ويكون سبب تمام عصمته إذ لم يسلط عليه بأكثر من
التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه وقد قيل في هذه الآية غير هذا وكذلك لا يصح أن يتصور له
الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه لا في أول الرسالة ولا بعدها والاعتماد في ذلك
دليل المعجزة بل لا يشك النبي صلى الله عليه وسلم أن ما يأتيه من الله الملك ورسوله حقيقة
إما بعلم ضروري يخلقه الله له أو ببرهان يظهره لديه لتتم كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا

لا مبدل لكلماته فان قيل فما معنى قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا
تمنى القى الشيطان في امنيته الاية فاعلم ان الناس في معنى هذه الاية اقاويل منها السهل و
الوعث والسمين والغث واولى ما يقال فيها ما عليه الجمهور من المفسرين ان التمني ههنا التلاوة
والقاء الشيطان فيها اشغاله بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم و
النسيان فيما تلاه او يدخل غير ذلك على افهام السامعين من التحريف وسوء التاويل ما يزيله
الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم اياته وسياتي الكلام على هذه الاية بعد باشبع من هذا انشاء
الله تعالى وقد حكى السمرقندي انكار قول من قال بتسليط الشيطان على ملك سليمان وغلبته
عليه وان مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمان مبينة بعد هذا ومن قال ان الجسد هو الولد
الذي ولد له وقال ابو محمد مكي في قصة ايوب عليه السلام وقوله اني مسني الشيطان بنصب
وعذاب انه لا يجوز لاحد ان يتاول ان الشيطان هو الذي امرضه والقى الضر في بدنه ولا يكون
ذلك الا بفعل الله وامره ليبتليهم ويثيبهم قال مكي وقد قيل ان الذي اصابه الشيطان
ما وسوس به الى اهله فان قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع وما انسانيه الا الشيطان
ان اذكره وقوله تعالى عن يوسف فانساه الشيطان ذكر ربه وقول نبينا عليه الصلاة
والسلام حين نام عن الصلاة يوم الوادي ان هذا واد به شيطان وقول موسى في وكزته هذا
من عمل الشيطان فاعلم ان هذا الكلام قد يرد في جميع هذا على مورد مستمر كلام العرب في
وصفهم كل قبيح من شخص او فعل بالشيطان او فعله كما قال تعالى كانه رءوس الشياطين و
قال صلى الله عليه وسلم فليقاتله فانما هو شيطان وايضا فان قول يوشع لا يلزمنا الجواب
عنه اذ لم تثبت له في ذلك الوقت نبوة مع موسى قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه والمروي
انه انما نبئ بعد موت موسى وقيل قبيل موته وقول موسى كان قبل نبوته بدليل القرآن
وقصة يوسف قد ذكر انها كانت قبل نبوته وقد قال المفسرون في قوله فانساه الشيطان
قولين احدهما ان الذي انساه الشيطان ذكر ربه احد صاحبي السجن وربه الملك اي انساه

أن يذكر ثم لك شأن يوسف وأيضاً فإن مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسلط على
يوسف ويوشع بوسوسة بل بنزغ وإنما هو بشغل خواطرهما بأمور أخر وتذكيرهما من أمورهما ما ينسيهما ما
نسيا وأما قوله عليه الصلوة والسلام إن هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه و
لا وسوسته له بل إن كان بمقتضى ظاهره فقد بين أمر ذلك الشيطان بقوله إن الشيطان
أتى بلالاً فلم يزل يهدئه كما يهدأ الصبي حتى نام فاعلم أن تسلط الشيطان في ذلك الوادي إنما
كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا إن جعلنا قوله إن هذا واد به شيطان تنبيهاً على
سبب النوم عن الصلوة وأما إن جعلناه تنبيهاً على سبب الرحيل عن الوادي وعلة
لترك الصلوة به وهو دليل مساق حديث زيد بن أسلم فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه و
ارتفاع إشكاله **فصل** وأما قوله عليه الصلوة والسلام فقامت الدلائل الواضحة بصحة
المعجزة على صدقه وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء
منها بخلاف ما هو به لا قصداً ولا عمداً ولا سهواً ولا غلطاً أما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة
القائمة مقام قول الله تعالى صدق عبدي فيما قال اتفاقاً وبإطباق أهل الملة إجماعاً و
أما وقوعه على جهة الغلط في ذلك فبهذه السبيل عند الأستاذ أبي إسحق الإسفرايني ومن
قال بقوله ومن جهة الإجماع فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبي صلى الله عليه
وسلم لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي أبي بكر الباقلاني ومن وافقه لاختلاف
بينهم في مقتضى دليل المعجزة لا نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع
عليه إجماع المسلمين أنه لا يجوز عليه خلف في القول في إبلاغ الشريعة والإعلام بما أخبر به
عن ربه وما أوحاه إليه من وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا في حالي
الرضى والسخط والصحة والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت يا
رسول الله أكتب كلما أسمع منك قال نعم قلت في الرضى والغضب قال نعم فإني لا أقول في ذلك
كله إلا حقاً ولنزد ما أشرنا إليه من دليل المعجزة عليه بياناً فنقول إذا قامت المعجزة على

صدقه وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ عن الله تعالى الا صدقا وان المعجزة قائمة مقام قول الله
تعالى صدق فيما تذكره عني وهو يقول اني رسول الله اليكم لأبلغكم ما ارسلت به اليكم و
ابين لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم
وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فلا يصح ان يوجد منه في هذا الباب خبر
بخلاف مخبره على اي وجه كان فلو جوزنا الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولا اختلط الحق
بالباطل فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص فتنزيه النبي صلى الله
عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا واجماعا كما قاله ابو اسحاق **فصل** وقد توجهت
ههنا لبعض الطاعنين سؤالات منها ما روي من ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ
سورة والنجم وقال أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق
العلى وان شفاعتها لترتجى ويروى لترتجى وفي رواية ان شفاعتهن لترتجى وانها لمع
الغرانيق العلى وفي اخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم السورة سجد
وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه اثنى على آلهتهم وما وقع في بعض الروايات ان الشيطان
القاها على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم كان تمنى ان لو نزل عليه شيء يقارب بينه
وبين قومه وفي رواية اخرى ان لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وان جبريل
جاءه فعرض عليه هذه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك النبي
صلى الله عليه وسلم فانزل الله تسلية له وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية و
قوله وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك فاعلم اكرمك الله ان لنا في الكلام على
مشكل هذا الحديث مأخذين احدهما في توهين اصله والثاني على تسليمه اما المأخذ الاول
فيكفيك ان هذا لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وانما اولع
به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم
وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال لقد بلي الناس ببعض اهل الاهواء و

النفس وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقله واضطراب رواياته وانقطاع اسناده واختلاف كلماته فقائل يقول انه في الصلوة وآخر يقول قالها في نادي قومه حين نزلت عليه السورة وآخر يقول قالها وقد اصابته سنة وآخر يقول بل حدث نفسه فسها وآخر يقول ان الشيطان قالها على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل عليه السلام قال ما هكذا اقرأتك وآخر يقول بل اعلمهم الشيطان ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي عليه الصلوة والسلام ذلك قال والله ما هكذا نزلت الى غير ذلك من اختلاف الرواة ومن حكيت عنه هذه الحكاية من المفسرين والتابعين لم يسندها احد منهم ولا رفعها الى صاحب واكثر الطرق عنهم فيها واهية ضعيفة والمرفوع فيه حديث شعبة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال فيما احسب الشك في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة قال ابو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد متصل يجوز ذكره الا هذا ولم يسنده عن شعبة الا امية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير وانما يعرف عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس فقد بين لك ابو بكر رحمه الله انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه واما حديث الكلبي فما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه البزار رحمه الله والذي منه في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والانس والجن هذا توهينه من طريق النقل واما من جهة المعنى فقد قامت الحجة واجمعت الامة على عصمته عليه الصلوة والسلام ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة قبل النبوة اما من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر او ان يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم ان من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه عليه جبريل عليهما السلام وذلك كله ممتنع في حقه عليه الصلوة والسلام

او يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمدا وذلك كفر او سهوا وهو معصوم
من هذا كله وقد قررنا بالبرهان والاجماع عصمته عليه الصلوة والسلام من جريان الكفر
على قلبه او لسانه لا عمدا ولا سهوا او ان يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان او يكون
للشيطان عليه سبيل او يتقول على الله تعالى لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال تعالى
ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية وقال اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات الاية
ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك ان هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتئام
متناقض الاقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل التأليف والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم
ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على ادنى
متامل فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ووجه ثالث انه
قد علم من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم
من اول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لاقل فتنة وتعييرهم المسلمين
والشماتة بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض ممن اظهر الاسلام لادنى شبهة
ولم يحك احد في هذه القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل ولو كان ذلك
لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة ولاقامت بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة في
قصة الاسراء حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة وكذلك ما روي في قصة القضية ولا
فتنة اعظم من هذه البلية لو وجدت ولا تشغيب للمعادي حينئذ اشد من هذه الحادثة
لو امكنت وما روي عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل على بطلها
واجتثاث اصلها ولا شك في ادخال بعض شياطين الانس والجن على بعض مغفلي المحدثين
ليلبس به على ضعفاء المسلمين ووجه رابع ذكر الرواة لهذه القضية ان فيها نزلت وان
كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك الايتين وهاتان الايتان تردان الخبر الذي
رووه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا ان يفتنوه حتى يفتري وانه لولا ان ثبته لكاد يركن اليهم

(marginal note) [illegible]

نص في هذا ومفهومه ان الله تعالى عصمه من ان يفتري وثبته حتى لم يركن اليهم قليلا فكيف
كثيرا وهم يروون في اخبارهم الواهية انه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم وانه قال
عليه الصلوة والسلام افتريت على الله وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الآية وهي تضعف الحديث لو صح
فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله في الآية الاخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم
ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وقد روي عن ابن عباس كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون
قال الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ولم يذهب واكاد اخفيها ولم يفعل قال
القشيري القاضي لقد طالبه قريش وثقيف اذ مر بآلهتهم ان يقبل بوجهه اليها ووعدوه
الايمان به ان فعل فما فعل وما كان ليفعل قال ابن الانباري ما قارب الرسول ولا ركن
وقد ذكرت في معنى الآية تفاسير أخر ما ذكرناه من نص الله تعالى على عصمة رسوله ترد
سفسافها فلم يبق في الآية الا ان الله تعالى امتن على رسوله بعصمته وتثبيته بما كاده به الكفار
وراموا من فتنته ومرادنا من ذلك تنزيهه وعصمته صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم
الآية واما المأخذ الثاني فهو مبني على تسليم الحديث لو صح وقد اعاذنا الله من صحته
ولكن على كل حال فقد اجاب عن ذلك ائمة المسلمين باجوبة منها الغث والسمين فمنها
ما رواه قتادة ومقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم اصابته سنة عند قراءته هذه
السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح اذ لا يجوز على النبي صلى الله
عليه وسلم مثله في حال من احواله ولا يخلقه الله على لسانه ولا يستولي الشيطان عليه في
نوم ولا يقظة لعصمته في هذا الباب من جميع العمد والسهو قد قال عليه الصلوة و
السلام ان عيني تنام ولا ينام قلبي وفي قول الكلبي ان النبي صلى الله عليه وسلم حدث
نفسه فقال ذلك الشيطان على لسانه وفي رواية ابن شهاب عن ابي بكر بن عبد الرحمن قال
وسها فلما اخبر بذلك قال انما ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح ان يقوله عليه الصلوة
والسلام لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه وقيل لعل النبي صلى الله عليه

قاله اثناء تلاوته على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار كقول ابراهيم هذا ربي على احد التاويلات
وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع الى تلاوته و
هذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة تدل على المراد وانه ليس من المتلو وهو احد ما ذكره
القاضي ابو بكر ولا يعترض على هذا بما روى انه كان في الصلوة فقد كان الكلام قبل فيها
غير ممنوع والذي يظهر ويترجح في تاويله عنده وعند غيره من المحققين على تسليمه ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان كما امره ربه يرتل القران ترتيلا ويفصل الاي في تلاوته تفصيلا
كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من
تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي عليه الصلوة والسلام بحيث يسمعه من دنى اليه من الكفار
فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم واشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ
السورة قبل ذلك على ما انزلها الله وتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الاوثان
وعيبها ما عرف عنه وقد حكى موسى بن عقبة في مغازيه نحو هذا وقال ان المسلمين لم يسمعوها
وانما القى الشيطان ذلك في اسماع المشركين وقلوبهم ويكون ما روى من حزن النبي
صلى الله عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال تعالى وما
ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى الاية فمعنى تمنى تلى قال الله تعالى لا يعلمون
الكتاب الا اماني اي تلاوة وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهبه ويزيل اللبس
به ويحكم الله اياته وقيل معنى الاية هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو
اذا قرأ فيتنبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الاية انه حدث نفسه وقال اذا تمنى اي
حدث نفسه وفي رواية ابي بكر بن عبد الرحمن نحوه وهذا السهو في القراءة انما يصح فيما ليس
طريقه تغيير المعاني وتبديل الالفاظ وزيادة ما ليس من القران بل السهو عن اسقاط
اية منه او كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للحين على ما سنذكره
في حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر في تاويله ايضا ان مجاهدا روى هذه

القصة وبغرانقة العلى ماتت سمعنا القصة قلنا لا يبعدان هذه كانت قرآناً والمراد بالغرانيق
العلى وان شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية وبهذا فسر الكلبي الغرانقة انها الملائكة
وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون الاوثان والملائكة بنات الله كما حكى الله عنهم ورد عليهم
في هذه السورة بقوله الكم الذكر وله الانثى فانكر الله كل هذا من قولهم ورجاء الشفاعة
من الملائكة صحيح فلما تأوله المشركون على ان المراد بهذا الذكر الهتهم ولبس عليهم الشيطان
ذلك وزينه في قلوبهم والقاه اليهم نسخ الله ما القى الشيطان واحكم آياته ورفع تلاوة
تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلاً للالباس كما نسخ كثير من القرآن ورفعت
تلاوته وكان في انزال الله تعالى لذلك حكمة وفي نسخه حكمة ليضل به من يشاء ويهدي
من يشاء وما يضل به الا الفاسقين وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض
والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك
فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم الآية وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة
وبلغ ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى خاف الكفار ان يأتي بشيء من ذمها
فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ويشغبوا
عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل
الى الشيطان لحمله لهم عليه واشاعوا ذلك واذاعوه وان النبي صلى الله عليه وسلم
قاله فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله بقوله وما ارسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي الا الآية وبين للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ القرآن واحكم آياته
ودفع ما لبس به العدو كما ضمنه الله تعالى من قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
ومن ذلك ما روي من قصة يونس عليه السلام انه وعد قومه بالعذاب من ربه فلما
تابوا كشف عنهم العذاب فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا فذهب مغاضبا فاعلم اكرمك الله
ان ليس في خبر من الاخبار الواردة في هذا الباب ان يونس قال لهم ان الله مهلكهم وانما

فيه انه دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه قال لهم ان العذاب
مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع الله عنهم العذاب وتداركهم قال الله تعالى الا قوم يونس
لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي الاية وروي في الاخبار انهم راوا دلائل العذاب ومخائله قاله
ابن مسعود وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب كما يغشى الثوب القبر فان قلت فما معنى
ما روي من ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا
وصار الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف محمدا حيث اريد كان يملي علي عزيز حكيم فاقول
او عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفي حديث اخر فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم
اكتب كذا فيقول اكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت ويقول له اكتب عليما حكيما فيقول اكتب
سميعا بصيرا فيقول اكتب كيف شئت وفي الصحيح عن انس ان نصرانيا كان يكتب للنبي
صلى الله عليه وسلم بعد ما اسلم ثم ارتد وكان يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له فاعلم ثبتنا
الله واياك على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق بالباطل الينا سبيلا ان مثل هذه
الحكاية اولا لا توقع في قلب مؤمن ريبا اذ هي حكاية عمن ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم
المتهم فكيف بكافر افترى هو ومثله على الله ورسوله ما هو اعظم من هذا والعجب لسليم
العقل يشغل بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين مفتر على الله ورسوله
ولم يرد عن احد من المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد ما قاله وافتراه على رسول الله
وانما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله واولئك هم الكاذبون وما وقع من ذكرها في حديث انس و
ظاهر حكايتها فليس فيه ما يدل على انه شاهدها ولعله حكى ما سمع وقد علل البزار حديثه
ذلك وقال رواه ثابت عنه ولم يتابع عليه ورواه حميد عن انس قال واظن حميدا انما سمعه
من ثابت قال القاضي ابو الفضل وفقه الله ولهذا والله اعلم لم يخرج اهل الصحيح حديث ثابت ولا حميد
والصحيح حديث عبد العزيز بن رفيع عن انس الذي خرجه اهل الصحة وذكرناه وليس فيه عن
انس قول شيء من ذلك من قبل نفسه الا من حكايته عن المرتد النصراني ولو كانت صحيحة

لما كان فيها قادح ولا توهم للنبي صلى الله عليه وسلم فيما أوحي إليه ولا جواز للنسيان والغلط
عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن في نظم القرآن وانه من عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر من ان
الكاتب قال له عليم حكيم او كتبه فقال له النبي كذلك هو فسبقه لسانه او قلمه بكلمة او كلمتين
مما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم قبل اظهار الرسول لها اذ كان ما تقدم مما املاه الرسول
يدل عليها ويقتضي وقوعها بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة حسه وفطنته
كما يتفق ذلك للعارف اذا سمع البيت ان يسبق الى قافيته او مبتدأ الكلام الحسن الى ما يتم به و
لا يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في آية ولا في سورة وكذلك قوله عليه الصلوة و
السلام ان صح كل صواب فقد يكون هذا فيما كان فيه من مقاطع الآيات وجهان وقراءتان وأنزلتا
جميعاً على النبي صلى الله عليه وسلم فأملى احديهما وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى
الكلام الى الاخرى قبل ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لها فذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم كما
قدمناه فصوبها له النبي صلى الله عليه وسلم ثم احكم الله تعالى من ذلك ما احكم ونسخ ما
نسخ كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع الآي مثل قوله تعالى إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن
تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم هذه قراءة الجمهور وقد قرأ جماعة فإنك أنت الغفور
الرحيم وليست من المصحف وكذلك كلمات جاءت على وجهين في غير المقاطع قرأ بهما معاً
الجمهور وثبتتا في المصحف مثل وانظر الى العظام كيف ننشرها وننشزها ويقص الحق ويقض الحق وكل
هذا لا يوجب ريباً ولا يسبب للنبي صلى الله عليه وسلم غلطاً ولا وهماً وقد قيل ان هذا
يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم الى الناس غير القرآن فيصف الله
في ذلك ويسميه كيف شاء **فصل** هذا القول فيما طريقه البلاغ واما ما ليس سبيله
البلاغ من الاخبار التي لا مستند لها الى الاحكام ولا اخبار المعاد ولا تضاف الى الوحي
بل في امور الدنيا واحوال نفسه فالذي يجب اعتقاده تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم
عن ان يقع خبره في شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمداً ولا سهواً ولا غلطاً وانه معصوم

من ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق
السلف وإجماعهم عليه وذلك أنا نعلم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم إلى التصديق
بجميع أحواله والثقة بجميع أخباره في أي باب كانت وعن أي شيء وقعت وأنه لم يكن لهم
توقف ولا تردد في شيء منها ولا استثبات عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو أم لا
ولما احتج ابن أبي الحقيق اليهودي على عمر حين أجلاهم من خيبر بإقرار رسول الله صلى الله
عليه وسلم لهم واحتج عليه عمر بقوله صلى الله عليه وسلم كيف بك إذا أخرجت من خيبر
فقال اليهودي كانت هزيلة من أبي القاسم فقال عمر كذبت يا عدو الله وأيضا فإن أخباره
وآثاره وسيره وشمائله معتنى بها مستقصى تفاصيلها ولم يرد في شيء منها استدراكه
عليه السلام لغلط في قول قاله أو اعترافه بوهم في شيء أخبر به ولو كان ذلك لنقل كما نقل
من قصة رجوعه صلى الله عليه وسلم عما أشار به على الأنصار في تلقيح النخل وكان ذلك
رأيا لا خبرا وغير ذلك من الأمور التي ليست من هذا الباب كقوله صلى الله عليه وسلم والله
لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا فعلت الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني وقوله صلى الله
عليه وسلم إنكم تختصمون إلي الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير حتى يبلغ الماء
الجدر كما سنبين كل ما في هذا من مشكل في هذا الباب والذي بعده إن شاء الله تعالى مع أشباهها
وأيضا فإن الكذب متى عرف من أحد في شيء من الأخبار بخلاف ما هو على أي وجه كان
استريب بخبره واتهم في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعا ولهذا ما ترك المحدثون
والعلماء الحديث عمن عرف بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته و
أيضا فإن تعمد الكذب في أمور الدنيا معصية والإكثار منه كبيرة بإجماع مسقط
للمروءة وكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة والمرة الواحدة منه فيما يستبشع ويستشنع مما يخل
بصاحبها وتزري بقائلها لاحقة بذلك وأما فيما لا يقع هذا الموقع فإن عددناها من
الصغائر فهل تجري على حكمها في الخلاف فيها مختلف فيه والصواب تنزيه النبوة عن

قليل وكثير في سهو وعمد إذ عمدة النبوة البلاغ والإعلام والتبيين وتصديق ما جاء به النبي
وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة فلنقطع عن يقين بأنه لا يجوز
على الأنبياء خلف في القول في وجه من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من تسامح
في تجويز ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبأنه لا يجوز عليهم الكذب قبل
النبوة ولا الاتسام به في أمورهم وأحوال دنياهم لأن ذلك كان يزري ويريب بهم وينفر
القلوب عن تصديقهم بعد وانظر أحوال أهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم من قريش و
غيرها من الأمم وسؤالهم عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك واعترفوا به مما عرف
واتفق النقل على عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم منه قبل وبعد وقد ذكرنا من الآثار فيه في
الباب الثاني أول الكتاب ما يبين لك صحة ما أشرنا إليه **فصل** فإن قلت فما معنى قوله
صلى الله عليه وسلم في حديث السهو الذي حدثنا به الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر قال
القاضي أبو الأصبغ بن سهل نا حاتم بن محمد نا أبو عبد الله بن الفخار نا أبو عيسى نا عبيد الله
نا يحيى عن مالك عن داود بن الحصين عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد أنه قال سمعت أبا هريرة
يقول صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فسلم في ركعتين فقام ذو اليدين فقال
يا رسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن و
في الرواية الأخرى ما قصرت وما نسيت الحديث بقصته فأخبر بنفي الحالتين وأنهما لم
تكن وقد كان أحد ذلك كما قال له ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله فاعلم وفقنا
الله وإياك أن للعلماء في ذلك أجوبة بعضها بصدد الإنصاف ومنها ما هو بنية التعسف
والاعتساف وها أنا أقول أما على القول بتجويز الوهم والغلط فيما ليس طريقه من القول
البلاغ وهو الذي زيفناه من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه وأما على مذهب من يمنع
السهو والنسيان في أفعاله جملة ويرى أنه في مثل هذا عامد لصورة النسيان ليسن فهو صادق
في خبره لأنه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول تعمد هذا الفعل في هذه الصورة ليسن

لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب عنه نذكره في موضعه واما على احالة السهو عليه في الاقوال
وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه اجوبة منها ان النبي صلى الله عليه
وسلم اخبر عن اعتقاده وضميره اما انكار القصر فحق وصدق ظاهرا وباطنا واما النسيان
فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده وانه لم ينس في ظنه فكانه قصد الخبر بهذا
عن ظنه وان لم ينطق به وهذا صدق ايضا ووجه ثان ان قوله ولم انس راجع الى السلام
اي اني سلمت قصدا وسهوت عن العدد اي لم اسه في نفس السلام وهذا محتمل وفيه بعد
ووجه ثالث وهو ابعدها ما ذهب اليه بعضهم وان احتمله اللفظ من قوله كل ذلك
لم يكن اي لم يجتمع القصر والنسيان بل كان احدهما ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية الاخرى
الصحيحة وهو قوله ما قصرت الصلوة وما نسيت هذا ما رايت فيه لائمتنا وكل من
هذه الوجوه يحتمل اللفظ على بعد بعضها وتعسف الاخر منها قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى
والذي اقول ويظهر لي انه اقرب من هذه الوجوه كلها ان قوله صلى الله عليه وسلم لم انس انكار
للفظ الذي نفاه عن نفسه وانكره على غيره بقوله صلى الله عليه وسلم بئس ما لاحدكم
ان يقول نسيت اية كذا وكذا ولكنه نسي وبقوله صلى الله عليه وسلم في بعض روايات
الحديث الاخر لست انسى ولكن انسى فلما قال له السائل اقصرت الصلوة ام نسيت انكر
قصرها كما كان ونسيانه هو من قبل نفسه وانه ان كان جرى شيء من ذلك فقد نسي حتى
سأل غيره فتحقق انه نسي واجري عليه ذلك ليسن فقوله صلى الله عليه وسلم على هذا لم
انس ولم تقصر اي كل ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نسي
ووجه اخر استثرته من كلام بعض المشائخ وذلك انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال لان النسيان غفلة وآفة والسهو
انما هو شغل قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلوته ولا يغفل عنها وكان يشغله
عن حركات الصلوة ما في الصلوة شغلا بها لا غفلة عنها فهذا ان تحقق على هذا المعنى لم يكن

وقوله صلى الله عليه وسلم ما قصرت ولا نسيت خلف وقيل عنه ان قوله ما قصرت وما نسيت التارك
الذي هو بمعنى النسيان اراد والله اعلم اني لم اسلم من ركعتين تاركا لكمال الصلوة ولكني نسّيت ولم يكن ذلك من تلقاء
نفسي والدليل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح اني لانسى او انسّى لاسنّ واما قصة كلمات ابراهيم عليه
السلام المذكورة في الحديث انها كذباته الثلاث المنصوصة في القرآن منها اثنتان قوله اني
سقيم وبل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك عن زوجته انها اختي فاعلم اكرمك الله ان
هذه كلها خارجة عن الكذب لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب المعاريض
التي فيها مندوحة عن الكذب اما قوله اني سقيم فقال الحسن وغيره معناه سأسقم اي
ان كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم الى عيدهم بهذا وقيل بل
سقيم بما قدّر علي بالموت وقيل سقيم القلب بما اشاهده من كفركم وعنادكم وقيل بل كانت
الحمى تأخذه عند طلوع نجم معلوم فلما راه اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل هو
خبر صحيح صدق وقيل بل عرّض بسقم حجته عليهم وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم
التي كانوا يشتغلون بها وانه اثناء نظره في ذلك وقبل استقامة حجته عليهم في حال سقم
ومرض حال مع انه لم يشك هو ولا ضعف ايمانه ولكنه ضعف في استدلاله عليهم وسقم
نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول حتى الهمه الله باستدلاله وصحح حجته عليهم بالكوكب
والشمس والقمر ما نصه الله وقد قدمنا بيانه واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الآية فانه علق
خبره بشرط نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا صدق
ايضا ولا خلف فيه واما قوله اختي فقد بيّن في الحديث وقال فانك اختي في الاسلام
وهو صدق والله تعالى يقول إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فان قلت فهذا النبي صلى الله عليه
وسلم قد سماها كذبات وقال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وقال صلى الله عليه وسلم
في حديث الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان
كان حقا في الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق

ابراهيم تمموا اخذته بها واما الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة ورى
بغيرها فليس فيه خلف في القول انما هو ستر لمقصده لئلا يأخذ عدوه حذره وكتورية
ذهابه بذكر السؤال عن موضع آخر والبحث عن اخباره والتعريض بذكره لا انه يقول تجهزوا
الى غزوة كذا او وجهتنا الى موضع كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن والاول ليس فيه خبر
يدخله الخلف فان قلت فما معنى قول موسى عليه السلام وقد سئل اي الناس اعلم
فقال انا اعلم فعتب الله عليه ذلك اذ لم يرد العلم اليه الحديث وفيه قال بل عبد لنا بمجمع
البحرين اعلم منك وهذا خبر قد انبأ الله انه ليس كذلك فاعلم انه قد وقع في هذا الحديث
من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس هل تعلم احدا اعلم منك فاذا كان جوابه على
علمه فهو خبر حق وصدق لا خلف فيه ولا شبهة وعلى الطريق الآخر فمحمله على ظنه و
معتقده كما لو صرح به لان حاله في النبوة والاصطفاء يقتضي ذلك فيكون اخباره
بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه وقد يريد بقوله وانا اعلم
بما تقتضيه وظائف النبوة من علوم التوحيد وامور الشريعة وسياسة الامة ويكون
الخضر اعلم منه بامور اخر مما لا يعلمه احد الا باعلام الله تعالى من علوم غيبه كالقصص
المذكورة في خبرهما فكان موسى اعلم بالجملة بما تقدم وهذا اعلم على الخصوص بما اعلم
ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وعتب الله ذلك عليه فيما قاله العلماء
انكار هذا القول عليه لانه لم يرد العلم اليه كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا ولانه
لم يرض قوله شرعا وذلك والله اعلم لئلا يقتدي به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه
وعلو درجته من امته فيهلك لما تضمنه من مدح الانسان نفسه ويورثه ذلك من
الكبر والعجب والتعاطي والدعوى وان نزه عن هذه الرذائل الانبياء فغيرهم بمدرجة سبيلها
ودرك ليلها الا من عصمه الله تعالى فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال
عليه الصلاة والسلام تحفظا من مثل هذا مما قد علم به انا سيد ولد آدم ولا فخر وهذا

وقد احتج بعض القائلين بنبوة الخضر لقوله فيه انا اعلم من موسى ولا يكون الولي اعلم من النبي
واما الانبياء فيتفاضلون في المعارف ولقوله ما فعلته عن امري فدل على انه بوحي ومن قال
انه ليس بنبي قال يحتمل ان يكون فعله بامر نبي اخر وهذا يضعف لانه ما علمنا انه كان في زمن موسى نبي
غيره الا اخاه هارون وما نقل احد من اهل الاخبار في ذلك شيئا يعول عليه واذا جعلنا اعلم
منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص وفي قضايا معينة لم يحتج الى اثبات نبوة
الخضر ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله والخضر اعلم فيما دفع
اليه من موسى وقال اخر انما الجئ موسى الى الخضر للتاديب لا للتعليم **فصل** وما
يتعلق بالجوارح من الاعمال ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه
الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة به فاجمع
المسلمون على عصمة الانبياء من الفواحش والكبائر الموبقات ومستند الجمهور في ذلك
الاجماع الذي ذكرناه وهو مذهب القاضي ابي بكر ومنعها غيره بدليل العقل مع الاجماع
وهو قول الكافة واختاره الاستاذ ابو اسحاق وكذلك لا خلاف انهم معصومون من
كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ لان ذلك تقتضي العصمة منه المعجزة مع الاجماع
على ذلك من الكافة والجمهور قائل بانهم معصومون من ذلك من قبل الله تعالى معتصمون
باختيارهم وكسبهم الا حسينا النجار فانه قال لا قدرة لهم على المعاصي اصلا فاما الصغائر فجوزها
جماعة من السلف وغيرهم على الانبياء وهو مذهب ابي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء و
المحدثين والمتكلمين وسنورد بعد هذا ما احتجوا به وذهبت طائفة اخرى الى الوقف
وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم يات في الشرع قاطع باحد الوجهين وذهبت طائفة
اخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين الى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من
الكبائر قالوا لاختلاف الناس في الصغائر وتعيينها من الكبائر واشكال ذلك وقول
ابن عباس وغيره ان كل ما عصي الله به فهو كبيرة وانه انما سمي الصغير منها بالاضافة الى

ما هو اكبر منه ومخالفة الباري في اي امر كان يجب كونه كبيرة قال ابو محمد عبد الوهاب
لا يمكن ان يقال ان في معاصي الله تعالى صغيرة الا على معنى انها تغتفر باجتناب الكبائر
ولا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف الكبائر اذا لم يتب منها فلا يحبطها شيء والمشيئة في
العفو عنها الى الله تعالى وهو قول القاضي ابي بكر وجماعة ائمة الاشعرية وكثير من ائمة الفقهاء
وقال بعض ائمتنا ولا يجب على القولين ان يختلف انهم معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها
اذ يلحقها ذلك بالكبائر ولا في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة واسقطت المروءة واوجبت
الازراء والخساسة فهذا ايضا مما يعصم عنه الانبياء اجماعا لان مثل هذا يحط المنصب المتسم
به ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه والانبياء منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما
كان من قبيل المباح فادى الى مثله لخروجه بما ادى اليه عن اسم المباح الى الحظر وقد ذهب
بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا وقد استدل بعض الائمة على عصمتهم
من الصغائر بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع آثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور الفقهاء
على ذلك من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم
وان اختلفوا في حكم ذلك وحكى ابن خويز منداد وابو الفرج عن مالك التزام ذلك
وجوبا وهو قول الابهري وابن القصار واكثر اصحابنا وقول اكثر اهل العراق وابن
سريج والاصطخري وابن خيران من الشافعية واكثر الشافعية على ان ذلك ندب وذهبت
طائفة الى الاباحة وقيد بعضهم الاتباع فيما كان من الامور الدينية وعلم به مقصد القربة
ومن قال بالاباحة في افعاله لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء
بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده به من القربة او الاباحة او الحظر
او المعصية ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال امر لعله معصية لا سيما على من يرى تقديم الفعل
على القول اذا تعارضا من الاصوليين ونزيد هذا حجة بان نقول من جوز الصغائر
ومن نفاها عن نبينا صلى الله عليه وسلم مجمعون على انه لا يقر على منكر من قول او فعل

وانه متى رأى شيئاً فسكت عنه عليه الصلوة والسّلام دلّ على جوازه فكيف يكون هذا حاله
في حق غيره ثم يجوّز وقوعه منه في نفسه وعلى هذا المأخذ تجب عصمتهم من مواقعة المكروه
كما قيل اذ الحظر او الندب على الاقتداء بفعله ينافي الزجر والنهي عن فعل المكروه وايضاً فقد
علم من دين الصحابة قطعاً الاقتداء بافعال النبيّ صلى الله عليه وسلم كيف توجهت وفي
كل فن كالاقتداء باقواله فقد نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع نعله
واحتجاجهم برؤية ابن عمر اياه جالساً لقضاء حاجته مستقبلاً بيت المقدس واحتج غير واحد منهم
في غير شيء مما بابه العبادة او العادة بقوله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وقال
عليه الصلوة والسّلام هلّا اخبرتيها اني اقبّل وانا صائم وقالت عائشة رضي الله عنها محتجة
كنت افعله انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم وغضب عليه الصلوة والسّلام على الذي
اخبر بمثل هذا عنه فقال يحلّ الله لرسوله ما يشاء وقال اني لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده
والآثار في هذا اكثر من ان نحيط بها لكنه يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم افعاله و
اقتداؤهم بها ولو جوّزوا عليه المخالفة في شيء منها لما اتّسق هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن
ذلك ولما انكر عليه الصلوة والسّلام على الآخر قوله واعتذاره بما ذكرناه واما المباحات
فجائز وقوعها منهم اذ ليس فيها قدح بل هي مأذون فيها وايديهم كايدي غيرهم مسلّطة
عليها الا انهم بما خصّوا به من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم من انوار المعرفة واصطفوا
به من تعلّق بالهم بالله والدار الآخرة لا يأخذون من المباحات الا الضرورات مما يتقوّون
به على سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما اخذ على هذه السبيل التحق طاعة
وصار قربة كما بينا منه اول الكتاب في خصال نبينا عليه السّلام فبان لك فضل الله على نبينا وعلى سائر الانبياء عليهم الصلوة
والسّلام بان جعل افعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية **فصل**
وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم وجوّزها آخرون والصحيح
ان شاء الله تعالى تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف والمسألة

تصورها كالممتنع فان المعاصي والنواهي انما تكون بعد تقرر الشرع وقد اختلف الناس في حال
نبينا عليه الصلوة والسلام قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا لشرع قبله ام لا فقال جماعة
لم يكن متبعا لشيء وهذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول غير موجودة ولا معتبرة في
حقه حينئذ اذ الاحكام الشرعية انما تتعلق بالاوامر والنواهي وتقرر الشريعة ثم اختلفت
حجج القائلين بهذه المقالة عليها فذهب سيف السنة ومقتدى فرق الامة القاضي ابو بكر
بن الطيب الى ان طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر من طريق السمع وحجته انه لو كان
ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره في العادة اذ كان من مهم امره واولى ما اهتبل به من
سيرته ولفخر به اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر به شيء من ذلك جملة و
ذهبت طائفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا
هذا على التحسين والتقبيح وهي طريقة غير سديدة واستناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضي
ابي بكر اولى واظهر وقالت فرقة اخرى بالوقف في امره عليه الصلوة والسلام وترك قطع
الحكم عليه بشيء في ذلك اذ لم يحل الوجهين منها العقل ولا استبان عندها في احدهما طريق
النقل وهو مذهب ابي المعالي رضي الله عنه وقالت فرقة ثالثة انه كان عاملا
بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم عن تعيينه واحجم
وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابراهيم
وقيل موسى وقيل عيسى صلوات الله على جميعهم فهذه جملة المذاهب في هذه المسئلة والاظهر
فيها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان شيء من ذلك لنقل
كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم في ان عيسى عليه الصلوة والسلام اخر الانبياء فلزمت
شريعته من جاء بعدها اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح انه لم يكن لنبي دعوة عامة
الا لنبينا عليه الصلوة والسلام ولا حجة ايضا للاخر في قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم
حنيفا وللاخرين في قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فحمل هذه الاية على اتباعهم

في التوحيد كقوله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد سمى الله تعالى فيهم
من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب على قول من يقول انه ليس برسول
وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الآية شرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل
ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع
هذا القول في سائر الانبياء غير نبينا عليه الصلوة والسلام او يخالفون بينهم اما من منع
الاتباع عقلا فيطرد اصله في كل رسول بلا مرية واما من مال الى النقل فاينما تصور له وتقرر اتبعه ومن قال
بالوقف فعلى اصله ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله فيلزمه بمساق حجته في كل نبي فصل
هذا حكم ما تكون المخالفة فيه من الاعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف
واما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظائف الشرعية مما تقرر الشرع بعدم
تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة عليه فاحوال الانبياء في ترك المؤاخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع اممهم
سواء ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام وتعليم الامة بالفعل واخذهم باتباعه
فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه اما الاول فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو
في القول في هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم
وعصمته من جوازه عليه قصدا او سهوا فكذلك قالوا الافعال في هذا الباب لا يجوز طرو
المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لانها بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء وطرو هذه العوارض
عليها يوجب التشكيك وتسبيب المطاعن واعتذروا عن احاديث السهو بتوجيهات نذكرها
بعد هذا ان شاء الله تعالى والى هذا مال ابو اسحاق وذهب الاكثر من الفقهاء والمتكلمين الى ان
المخالفة في الافعال البلاغية والاحكام الشرعية سهوا وعن غير قصد منه جائزة عليه كما تقرر
من احاديث السهو في الصلاة وفرقوا بين ذلك وبين الاقوال البلاغية لقيام المعجزة على
الصدق في القول ومخالفة ذلك تناقضها واما السهو في الافعال فغير مناقض لها ولا قادح في
النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر كما قال عليه الصلوة والسلام

انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكرونى نعم بل حالة النسيان والسهو هنا فى حقه
عليه الصلوة والسلام بسبب افادة علم وتقرير شرع كما قال عليه الصلوة والسلام انى لا انسى
او انسى لاسن بل قد روى لست انسى ولكن انسى لاسن وهذه الحالة زيادة له فى التبليغ وتمام
عليه فى النعمة بعيدة عن سمات النقص واغراض الطعن فان القائلين بتجويز ذلك يشترطون
ان الرسل لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور على قول بعضهم
وهو الصحيح وقبل انقراضهم على قول الآخرين واما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الاحكام
من افعاله عليه الصلوة والسلام وما يختص به من امور دينه واذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع
فيه فالاكثر من طبقات علماء الامة على جواز السهو والغلط عليه فيها ولحوق الفترات و
الغفلات بقلبه وذلك لما كلفه من مقاساة الخلق وسياسة الامة ومعاناة الاهل وملاحظة
الاعداء ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور كما قال عليه الصلوة
والسلام انه ليغان على قلبى فاستغفر الله وليس فى هذا شئ يحط من رتبته ويناقض
معجزته وذهبت طائفة الى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات فى حقه عليه الصلوة و
السلام جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة واصحاب علم القلوب والمقامات ولهم فى هذه الاحاديث
مذاهب نذكرها بعد هذا ان شاء الله تعالى **فصل** فى الكلام على الاحاديث المذكور فيها السهو
منه عليه الصلوة والسلام قد قدمنا فى الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو وما يمتنع
واحلناه فى الاخبار جملة وفى الاقوال الدينية قطعا واجزنا وقوعه فى الافعال الدينية على
الوجه الذى رتبناه واشرنا الى ما ورد فى ذلك ونحن نبسط القول فيه الصحيح من الاحاديث
الواردة فى سهوه عليه الصلوة والسلام فى الصلوة ثلاثة احاديث اولها حديث ذى اليدين
فى السلام من اثنتين الثانى حديث ابن بحينة فى القيام من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود ان
النبى صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا وهذه الاحاديث مبنية على السهو فى الفعل الذى
قرره وحكمة الله فيه ليستن به فى البلاغ بالفعل اجلى منه بالقول وارفع للاحتمال و

شرطهم ان لا يقر على هذا السهو بل ينتبه له ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه
وان السهو والنسيان في حقه عليه الصلوة والسلام غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق
وقد قال عليه الصلوة والسلام انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني و
قال رحم الله فلانا لقد اذكرني كذا وكذا آية كنت اسقطتهن ويروى انسيتهن وقال عليه الصلوة
والسلام اني لا انسى او انسى لاسن قيل هذا اللفظ شك من الراوي وقد روي اني لا انسى
ولكن انسى لاسن وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار الى انه ليس بشك وان معناه التقسيم
اي انسى انا او ينسيني الله قال القاضي ابو الوليد الباجي يحتمل ما قالاه ان يريد اني انسى في
اليقظة وانسى في النوم او انسى على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشيء والسهو او انسى مع
اقبالي عليه وتفرغي له فاضاف احد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض السبب فيه ونفى الآخر
عن نفسه اذ هو فيه كالمضطر وذهبت طائفة من اصحاب المعاني والكلام على الحديث الى ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلوة ولا ينسى لان النسيان ذهول وغفلة وآفة قال
عليه الصلوة والسلام منزه عنها والسهو شغل فكان عليه الصلوة والسلام يسهو في صلوته
ويشغله عن حركات الصلوة ما في الصلوة شغلا بها لا غفلة عنها واحتج بقوله في الرواية الاخرى
اني لا انسى وذهبت طائفة الى منع هذا كله عنه وقالوا ان سهوه عليه الصلوة والسلام كان
عمدا وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يحلى منه بطائل لانه كيف
يكون متعمدا ساهيا في حال ولا حجة لهم في قولهم انه امر بتعمد صورة النسيان ليسن لقوله اني
لا انسى او انسى فقد اثبت احد الوصفين ونفى مناقضة التعمد والقصد وقال انما انا بشر
مثلكم انسى كما تنسون وقد مال الى هذا عظيم من المحققين من ائمتنا وهو ابو المظفر الاسفرائني
ولم يرتضه غيره منهم ولا ارتضيه ولا حجة لهاتين الطائفتين في قوله اني لا انسى ولكن انسى
اذ ليس فيه نفي حكم النسيان بالجملة وانما فيه نفي لفظه وكراهة لقبه كقوله بئس لاحدكم
ان يقول نسيت آية كذا وكذا ولكنه نسي او لكنه نفى الغفلة وقلة الاهتمام بامر الصلوة عن قلبه لكن

شغل بها عنها ونسي تحريمها ببعضها كما ترك الصلوة يوم الخندق حتى غربت وقتها واشتغل بالتحرز من
العدو عنها فاشتغل بطاعة عن طاعة وقيل ان الذي ترك يوم الخندق اربع صلوات الظهر والعصر
والمغرب والعشاء وبه احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلوة في الخوف اذا لم يتمكن من ادائها الى
وقت الامن وهو مذهب الشاميين والصحيح ان حكم صلوة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ
له فان قلت فما تقول في نومه عليه الصلوة والسلام عن الصلوة يوم الوادي وقد قال ان
عيني تنامان ولا ينام قلبي فاعلم ان للعلماء في ذلك اجوبة منها ان المراد بان هذا حكم قلبه
عند نومه وعينيه في غالب الاوقات وقد يندر منه عليه الصلوة والسلام غير ذلك كما يندر من
غيره خلاف عادته ويصحح هذا التأويل قوله عليه الصلوة والسلام في الحديث نفسه ان الله
قبض ارواحنا ولو شاء لردها وقول بلال ما القيت علي نومة مثلها قط ولكن مثل هذا انما
يكون منه لامر يريده الله من اثبات حكم وتأسيس سنة واظهار شرع كما قال في الحديث الاخر فا
لو شاء الله لايقظنا ولكن اراد ان يكون لمن بعدكم الثاني ان قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون
منه الحدث فيه لما روي انه كان محروسا وانه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي
ولا يتوضأ وحديث ابن عباس المذكور فيه وضوءه عند قيامه من النوم فيه نومه مع اهله
فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه بمجرد النوم اذ لعل ذلك لملامسة الاهل او لحدث آخر فكيف
وفي آخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلوة فصلى ولم يتوضأ وقيل
لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم وليس في قصة الوادي الا نوم عينيه عن رؤية
الشمس وليس هذا من فعل القلب قد قال عليه الصلوة والسلام ان الله قبض ارواحنا
ولو شاء لردها الينا في حين غير هذا فان قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال
اكلأ لنا الصبح فقيل في الجواب انه كان من شانه عليه الصلوة والسلام التغليس بالصبح ومراعاة
اول الفجر ولا يصح ممن نامت عينه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة فوكل بلالا بمراعاة
اوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاته فان قيل فما معنى نهيه عليه

الصلوة والسلام عن ان يقول نسيت وقد قال عليه الصلوة والسلام اني انسى كما تنسون فاذا نسيت
فذكروني وقال لقد اذكرني كذا وكذا اية كنت انسيتها فاعلم اكرمك الله تعالى انه لا تعارض
في هذه الالفاظ اما نهيه عن ان يقال نسيت اية كذا فمحمول على ما نسخ حفظه من القران
اي ان الغفلة في هذا لم تكن منه ولكن الله اضطره اليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما كان من
سهو او غفلة من قبله تذكرها صلح ان يقال فيه انسي وقد قيل ان هذا منه عليه الصلوة
والسلام على سبيل الاستحباب ان يضيف الفعل الى خالقه والاخر على طريق الجواز لاكتساب
العبد فيه واسقاطه عليه الصلوة والسلام لما اسقط من هذه الايات جائز عليه بعد
ما امر ببلاغه وتوصيله الى عباده ثم يستذكرها من امته او من قبل نفسه الا ما قضى
نسخه ومحوه من القلوب وترك استذكاره وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله عليه وسلم
ما هذا سبيله كرة ويجوز ان ينسى منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما
لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره اياه ويستحيل دوام نسيانه له لحفظه كتابه وتكليفه بلاغه

فصل في الرد على من اجاز عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا به في ذلك اعلم ان
المجوزين للصغائر على الانبياء من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين
احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القران والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم الى
تجويز الكبائر وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف
المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت اقاويل فيها للسلف بخلاف
ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت
الدلالة على خطا قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما صح وها نحن ناخذ في النظر فيها
ان شاء الله تعالى فمن ذلك قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقوله ووضعنا
عنك وزرك الذي انقض ظهرك وقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم وقوله لولا كتاب من الله

سبق لمسّكم فيما اخذتم عذاب عظيم وقوله عبس وتولى ان جاءه الاعمى الاية وما قص من قصص
غيره من الانبياء كقوله وعصى ادم ربه فغوى وقوله فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما
اتاهما وقوله عنه ربنا ظلمنا انفسنا وقوله عن يونس سبحانك اني كنت من الظالمين
وما ذكر من قصته وقصة داود وقوله وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا
واناب الى قوله ماب وقوله ولقد همت به وهم بها وما قص من قصته مع اخوته وقوله عن
موسى فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان وقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه
اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت ونحوه من ادعيته عليه الصلوة والسلام
وذكر الانبياء في الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة وقوله انه ليغان على قلبي فاستغفر الله
وفي حديث ابي هريرة اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة وقوله تعالى
عن نوح والا تغفر لي الاية وقد كان قال الله له ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وقال
عن ابراهيم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقوله عن موسى تبت اليك وقوله
ولقد فتنا سليمان الى ما اشبه هذه الظواهر فاما احتجاجهم بقوله ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر فهذا قد اختلف المفسرون فيه فقيل المراد ما كان قبل النبوة وما بعدها
وقيل المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع اعلمه الله انه مغفور له وقيل المتقدم ما كان قبل النبوة و
المتاخر عصمتك بعدها حكاه احمد بن نصر وقيل المراد بذلك امته عليه الصلوة والسلام
وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة وتاويل حكاه الطبري واختاره القشيري وقيل ما تقدم
لابيك ادم وما تاخر من ذنوب امتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء وبمثله والذي
قبله يتاول قوله واستغفر لذنبك الاية قال مكي مخاطبة النبي عليه السلام ههنا هي مخاطبة لامته
وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر ان يقول وما ادري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك
الكفار فانزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وبمآل المؤمنين في الاية الاخرى
بعدها قاله ابن عباس فمقصد الاية انك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان قال بعضهم

١ اي بمثل هذا التاويل يعني ما تقدم لابيك ادم وما تاخر من ذنوب امتك تؤول والذي قبله اي بمثل التاويل الذي قبله وهو كان من السهو والغفلة ١٢

٢ اي انزل الله تعالى بمآل المؤمنين في الاية الاخرى التي بعدها يعني ليدخل المؤمنين والمؤمنات الاية ١٢

المغفرة هنا تبرئة من العيوب واما قوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك فقيل ما سلف
من ذنبك قبل النبوة وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة وقيل معناه انه حفظ قبل نبوته
منها وعصم ولولا ذلك لاثقلت ظهره حكى معناه السمرقندي وقيل المراد بذلك ما اثقل
ظهره من اعباء الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل اي حططنا عنك ثقل ايام
الجاهلية حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك
حكى معناه القشيري وقيل معناه خففنا عنك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ
عليك ومعنى انقض اي كاد ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام
النبي صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا
وثقلت عليه واشفق منها او يكون الوضع عصمة الله له وكفايته من ذنوب لو كانت
لانقضت ظهره او يكون من ثقل الرسالة او ما ثقل عليه وشغل قلبه من امور الجاهلية و
اعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه واما قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فامر
لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله نهي فيعد معصية ولا عده الله عليه معصية
بل لم يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه الله تعالى من
ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان له ان يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه
وحي فكيف وقد قال الله تعالى فاذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع
عليه من سرهم انه لو لم ياذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس
عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق
ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن
ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك ذنبا قال الداودي روي
انها تكرمة قال مكي هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله واعزك الله وحكى السمرقندي
ان معناه عافاك الله واما قوله في اسارى بدر ما كان لنبي ان يكون له اسرى الآية فليس

الزام ذنب للنبی صلی الله علیه وسلم بل فیه بیان ما خص به وفضل من بین سائر الانبیاء فکانه قال ما کان هذا لنبی غیرک کما قال علیه الصلوة والسلام احلت لی الغنائم ولم تحل لنبی قبلی فان قیل ما معنی قوله تریدون عرض الدنیا الآیة قیل المعنی بالخطاب لمن اراد ذلک منهم و تجرد غرضه لعرض الدنیا وحده والاستکثار منها ولیس المراد بهذا النبی صلی الله علیه وسلم و علیة اصحابه بل قد روی عن الضحاک انها نزلت حین انهزم المشرکون یوم بدر و اشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال حتی خشی عمر ان یعطف علیهم العدو ثم قال لولا کتاب من الله سبق واختلف المفسرون فی معنی هذه الآیة فقیل معناها لولا انه سبق منی ان لا اعذب احدا الا بعد النهی لعذبتکم فهذا ینفی ان یکون امر الاسری معصیة وقیل المعنی لولا ایمانکم بالقرآن وهو الکتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم علی الغنائم ویزاد هذا القول تفسیرا وبیانا بان یقال لولا ما کنتم مؤمنین بالقرآن وکنتم ممن احلت لهم الغنائم لعوقبتم کما عوقب من تعدی وقیل لولا انه سبق فی اللوح المحفوظ انها حلال لکم لعوقبتم فهذا کله ینفی الذنب و المعصیة لان من فعل ما احل له لم یعص قال الله تعالی فکلوا مما غنمتم حلالا طیبا وقیل بل کان خیر النبی صلی الله علیه وسلم فی ذلک وقد روی عن علی قال جاء جبریل الی النبی صلی الله علیه وسلم یوم بدر فقال خیر اصحابک فی الاساری ان شاؤا القتل وان شاؤا الفداء علی ان یقتل منهم فی العام المقبل مثلهم فقالوا الفداء ویقتل منا وهذا دلیل علی صحة ما قلناه وانهم لم یفعلوا الا ما اذن لهم فیه لکن بعضهم مال الی اضعف الوجهین مما کان الاصلح غیره من الاثخان والقتل فعوتبوا علی ذلک وبین لهم ضعف اختیارهم وتصویب اختیار غیرهم وکلهم غیر عصاة ولا مذنبین والی نحو هذا اشار الطبری وقوله علیه الصلوة والسلام فی هذه القصة لو نزل من السماء عذاب ما نجی منه الا عمر اشارة الی هذا من تصویب رایه ورای من اخذ بمأخذه فی اعزاز الدین و اظهار کلمته وابادة عدوه وان هذه القضیة لو استوجبت عذابا نجا منه عمر ومثله وعین عمر لانه اول من اشار بقتلهم ولکن الله لم یقدر علیهم فی ذلک عذابا لحله لهم فیما سبق و

الداودي والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز أن يظن بالنبي صلى الله عليه وسلم حكم ما لا نص
فيه ولا دليل من نص ولا جعل الأمر فيه إليه وقد نزهه الله عن ذلك قال القاضي خرّج هذا الخبر
أهل الصحيح وقال القاضي بكر بن العلاء أخبر الله نبيه في هذه الآية أن تأويله وافق ما كتب له من
إحلال الغنائم والفداء وقد كان قبل هذا فادوا في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي
بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر بأزيد من عام فهذا كله
يدل على أن فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شأن الأسارى كان على تأويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل
مثله فلم ينكره الله عليهم لكن الله تعالى أراد لعظم أمر بدر وكثرة أسراها والله أعلم إظهار نعمته و
تأكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وإنكار
وتذنيب هذا معنى كلامه وأما قوله تعالى عبس وتولى أن جاءه الأعمى الآيات فليس
فيها إثبات ذنب له عليه الصلوة والسلام بل إعلام الله له أن ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وأن
الصواب والأولى كان لو كشف له حال الرجلين اختيار الإقبال على الأعمى وفعل النبي صلى الله
عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله وتبليغا عنه واستئلافا له كما شرعه
الله له لا معصية ولا مخالفة له وما قصه الله عليه من ذلك إعلام بحال الرجلين وتوهين أمر
الكافر عنده والإشارة إلى الإعراض عنه بقوله وما عليك ألا يزكى وقيل المراد بعبس وتولى
الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله أبو تمام وأما قصة آدم عليه الصلوة و
السلام وقوله تعالى فأكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقوله ألم
أنهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله وعصى آدم ربه فغوى أي جهل
وقيل أخطأ فإن الله تعالى قد أخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له
عزما قال ابن زيد نسي عداوة إبليس له وما عهد الله إليه من ذلك بقوله إن هذا عدو
لك ولزوجك الآية وقيل نسي ذلك بما أظهر لهما وقال ابن عباس إنما سمي الإنسان إنسانا لأنه عهد
إليه فنسي وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف إبليس لهما إني لكما لمن

الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا وقد روى عذر ادم بمثل هذا فى بعض الآثار وقال
ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع وقد قيل نسى ولم ينو المخالفة فلذلك قال و
لم نجد له عزما اى قصدا للمخالفة واكثر المفسرين على ان العزم هنا الحزم والصبر وقيل كان عند
اكله سكران وهذا فيه ضعف لان الله تعالى وصف خمر الجنة انها لا تسكر فاذا كان ناسيا
لم تكن معصية وكذلك ان كان ملبسا عليه غالطا اذ الاتفاق على خروج الناسى والساهى
عن حكم التكليف وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة و
دليل ذلك قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان الاجتباء
والهداية كانا بعد العصيان وقيل بل اكلها متأولا وهو لا يعلم انها الشجرة التى نهى عنها لانه
تأول نهى الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ
لا من المخالفة وقيل تأول ان الله لم ينهه عنها نهى تحريم فان قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى
وعصى ادم ربه فغوى الآية وقال فتاب عليه وقوله فى حديث الشفاعة ويذكر ذنبه وانى نهيت
عن اكل الشجرة فعصيت فسيأتى الجواب عنه وعن اشباهه مجملا آخر الفصل ان شاء الله تعالى
واما قصة يونس فقد مضى الكلام على بعضها آنفا وليس فى قصة يونس نص على ذنب وانما فيها
ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه وقيل انما نقم الله عليه خروجه عن قومه فارا من نزول
العذاب وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم قال والله لا القاهم بوجه كذاب ابدا
وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف وقيل ضعف عن حمل اعباء الرسالة وقد تقدم
الكلام انه لم يكذبهم وهذا كله ليس فيه نص على معصية الا على قول مرغوب عنه وقوله
ابق الى الفلك المشحون قال المفسرون تباعد واما قوله انى كنت من الظالمين فالظلم وضع الشىء
فى غير موضعه فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون لخروجه عن قومه بغير
اذن ربه او لضعفه عما حمله او لدعائه بالعذاب على قومه وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم
يؤاخذ وقال الواسطى فى معناه نزه ربه عن الظلم واضاف الظلم الى نفسه اعترافا واستحقاقا

ومثل هذا قول ادم وحواء ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب في وضعهما في غير الموضع
الذي انزلا فيه واخراجهما من الجنة وانزالهما الى الارض واما قصة داود عليه السلام فلا يجب ان يلتفت
الى ما سطره فيها الاخباريون عن اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله
على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص الله عليه قوله وظن داود انما فتناه فاستغفر
ربه الى قوله وحسن مآب وقوله فيه اواب فمعنى فتناه اي اختبرناه واواب قال قتادة مطيع
وهذا التفسير اولى قال ابن عباس وابن مسعود ما زاد داود على ان قال للرجل انزل لي عن امرأتك
واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه شغله بالدنيا وهذا الذي ينبغي ان
يعول عليه من امره وقد قيل خطبها على خطبته وقيل بل احب بقلبه ان يستشهد وحكى
السمرقندي ان ذنبه الذي استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه بقول خصمه وقيل بل لما خشي
على نفسه وظن من الفتنة بما بسط له من الملك والدنيا والى نفي ما اضيف في الاخبار الى داود من
ذلك ذهب احمد بن نصر وابو تمام وغيره من المحققين قال الداودي ليس في قصة داود واوريا
خبر يثبت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم وقيل ان الخصمين اللذين اختصما اليه رجلان في نتاج
غنم على ظاهر الاية وقيل بل لما خشي على نفسه وظن من الفتنة لما بسط له من الملك والدنيا واما قصة
يوسف واخوته عليهم السلام فليس على يوسف منها تعقب واما اخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم
الكلام على افعالهم وذكر الاسباط وعدهم في القران عند ذكر الانبياء ليس صريحا في كونهم من اهل الانباء قال المفسرون يريد من نبئ
من ابناء الاسباط وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوه صغار الاسنان ولهذا لم يميزوا
يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وان ثبتت لهم نبوة فبعد هذا
والله اعلم واما قول الله عز وجل ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه فعلى مذهب
كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا يؤاخذ به وليس سيئة لقول النبي صلى الله عليه وسلم
عن ربه اذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فلا معصية في همه اذا واما على مذهب
المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس سيئة واما ما لم توطن عليه

النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون ان شاء الله تعالى هم يوسف
من هذا ويكون قوله وما ابرئ نفسي الآية اي ما ابرئها من هذا الهم او يكون ذلك منه على
طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ فكيف وقد حكى ابو حاتم عن
ابي عبيدة ان يوسف عليه السلام لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتاخير اي ولقد همت به
لولا ان رأى برهان ربه لهم بها وقال الله تعالى عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
وقال الله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال وغلقت الابواب وقالت هيت
لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي الآية قيل في ربي انه الله تعالى وقيل الملك وقيل هم بها اي بزجرها
ووعظها وقيل هم بها اي غمها امتناعه عنها وقيل هم بها نظر اليها وقيل هم بدفعها وضربها وقيل
هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن الى يوسف ميل شهوة حتى نبأه
الله تعالى فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من رآه عن حسنه واما خبر موسى
عليه السلام مع قتيله الذي وكزه فقد نص الله تعالى انه من عدوه قال كان من القبط الذين
كانوا على دين فرعون ودليل السورة في هذا كله انه قبل نبوة موسى وقال قتادة وكزه بالعصا
ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسي
فاغفر لي قال ابن جريج قال ذلك من اجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل حتى يؤمر وقال النقاش
لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وانما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل ان هذا كان
قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة وقوله تعالى في قصته وفتناك فتونا اي ابتليناك
ابتلاء بعد ابتلاء قيل في هذه القصة وما جرى له مع فرعون وقيل القاؤه في التابوت
واليم وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك اخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة
في النار اذا خلصتها واصل الفتنة معنى الاختبار واظهار ما بطن الا انه استعمل في عرف
الشرع في اختبار يؤدي الى ما يكره وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من ان ملك الموت جاءه
فلطم عينه ففقأها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى بالتعدي وفعل ما لا يجب له اذ هو ظاهر

١ اي لما ذكرت السوء وبرأته وشهدت له بالعصمة
٢ بكسر القاف وانه من اهل مصر ١٢
٣ لقوله تعالى فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ولما ورد ماء مدين وجد امة الابيات فان النبوة كانت له بعد الهجرة عن مدين ١٢

الامرين الوجه جائز الفعل لان موسى دافع عن نفسه من اتاه لإتلافها وقد تصور له في صورة
آدمي ولا يمكن انه علم حينئذ انه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب عين تلك
الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله تعالى فلما جاءه بعد واعلمه الله انه رسوله اليه
استسلم وللمتقدمين والمتاخرين على هذا الحديث اجوبة هذا اسدها عندي وهو تأويل شيخنا
الامام ابي عبد الله المازري وقد تأوله قديما ابن عائشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقء عين
حجته وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف واما قصة سليمان وما حكى فيها اهل
التفسير من ذنبه وقوله ولقد فتنا سليمان فمعناه ابتليناه وابتلاؤه ما حكى عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لاطوفن الليلة على مائة امرأة او تسع وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد
في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت
بشق رجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا
في سبيل الله قال اصحاب المعاني والشق هو الجسد الذي القي على كرسيه حين عرض عليه وهي
عقوبته ومحنته وقيل بل مات فالقي على كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه و
قيل لانه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل عقوبته ان سلب ملكه
وذنبه ان احب بقلبه ان يكون الحق لاختانه على خصمهم وقيل اوخذ بذنب قارفه بعض نسائه
ولا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه
وتصرفه في امته بالجور في حكمه لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الانبياء
من مثله وان سئل لم لم يقل سليمان في القصة المذكورة ان شاء الله فعنه
اجوبة اسدها ما روي في الحديث الصحيح انه نسي ان يقولها وذلك لينفذ مراد الله والثاني انه
لم يسمع صاحبه وشغل عنه وقوله تعالى هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لم يفعل هذا سليمان
غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك ما ذكره المفسرون ان لا يسلط
عليه احد كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه اياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك

وقيل بل اراد ان يكون له من الله فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص غيره من انبياء الله
ورسله بخواص منه وقيل ليكون ذلك دليلا وحجة على نبوته كالانة الحديد لابيه واحياء الموتى
لعيسى عليه السلام واختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالشفاعة ونحو هذا واما قصة نوح
عليه السلام فظاهرة العذر وانه اخذ فيها بالتأويل وظاهر اللفظ بقوله تعالى انا منجوك
واهلك فطلب مقتضى هذا اللفظ واراد علم ما طوي عنه من ذلك لا انه شك في وعد الله
فبين الله عليه انه ليس من اهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد
اعلمه الله انه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاوخذ بهذا التأويل وعوتب عليه و
اشفق هو من اقدامه على ربه لسؤاله ما لم يؤذن له في السؤال فيه وكان نوح فيما حكاه
النقاش لا يعلم بكفر ابنه وقيل في الآية غير هذا وكل هذا لا يقضي على نوح بمعصية سوى
ما ذكرناه من تأويله واقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن له فيه ولا نهي عنه وما روي في الصحيح
من ان نبيا قرصته نملة فحرق قرية النمل فاوحى الله اليه ان قرصتك نملة احرقت امة من الامم
تسبح فليس في هذا الحديث ما يقتضي ان هذا النبي اتى معصية بل فعل ما رآه مصلحة وصوابا
بقتل من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة بما اباح الله الا ترى ان هذا النبي كان نازلا تحت الشجرة
فلما آذته النملة تحول برحله عنها مخافة تكرار الاذى عليه وليس فيما اوحى الله اليه ما يوجب
معصية بل ندبه الى احتمال الصبر وترك التشفي كما قال الله تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين
اذ ظاهر فعله انما كان لاجل انها آذته هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه وقطع مضرة يتوقعها
من بقية النمل هناك ولم يأت في كل هذا امر نهي عنه فيعصي به ولا نص فيما اوحى الله اليه
بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه والله اعلم فان قيل فما معنى قوله عليه الصلاة
والسلام ما من احد الا الم بذنب او كاد الا يحيى بن زكريا او كما قال عليه الصلاة والسلام فالجواب
عنه كما تقدم من ذنوب الانبياء التي وقعت عن غير قصد وعن سهو وغفلة فصل فان
قلت فاذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته من اختلاف

كما رواه الشيخان وابوداود عن ابي هريرة ١٢

بلغ

وتأويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وما تقرر في القرآن والحديث
الصحيح من اعتراف الأنبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم
وإشفاقهم وهل يشفق ويتاب ويستغفر من لا شيء فاعلم وفقنا الله وإياك أن درجة الأنبياء
في الرفعة والعلو والمعرفة بالله تعالى وسنته في عباده وعظيم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم
على الخوف منه جل جلاله والإشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم وأنهم في تصرفهم
بأمور لم ينهوا عنها ولا أمروا بها ثم أوخذوا عليها وعوتبوا بسببها وحذروا من المؤاخذة بها
وأتوها على وجه التأويل أو السهو أو تزيد من أمور الدنيا المباحة خائفون وجلون وهي ذنوب
بالإضافة إلى علي منصبهم ومعاص بالنسبة إلى كمال طاعتهم لا أنها كذنوب غيرهم ومعاصيهم
فإن الذنب مأخوذ من الشيء الدني الرذل ومنه ذنب كل شيء أي آخره وأذناب الناس رذالهم
فكأن هذه أدنى أفعالهم وأسوأ ما يجري من أحوالهم لتطهيرهم وتنزيههم وعمارة بواطنهم و
ظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر والخفي والخشية لله وإعظامه في السر و
العلانية وغيرهم يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش بما تكون بالإضافة إليه هذه
الهنات في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين أي يرونها بالإضافة إلى علي أحوالهم
كالسيئات وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة كيف ما كانت من سهو أو
تأويل فهي مخالفة وترك وقوله غوى أي جهل أن تلك الشجرة هي التي نهي عنها والغي الجهل
وقيل أخطأ ما طلب من الخلود إذ أكلها وخابت أمنيته وهذا يوسف عليه السلام قد أوخذ
بقوله لأحد صاحبي السجن اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين
قيل أنسي يوسف ذكر الله وقيل أنسي صاحبه أن يذكره لسيده الملك قال النبي صلى الله
عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن ما لبث قال ابن دينار لما قال ذلك يوسف
قيل له اتخذت من دوني وكيلا لأطيلن حبسك فقال يا رب أنسى قلبي كثرة البلوى
وقال بعضهم أخذ الأنبياء بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده ويتجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته

بهم في أضعاف ما أتوا به من سوء الأدب فقد قال المحتج للفرقة الأولى على سياق ما قلناه إذا كان
الأنبياء يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان وما ذكرته وحالهم أرفع
فحالهم إذاً في هذا أسوأ حالاً من غيرهم فاعلم أكرمك الله أنا لا نثبت لك المؤاخذة في هذا على حد
مؤاخذة غيرهم بل نقول إنهم يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة في درجاتهم و
يبتلون بذلك ليكون استشعارهم له سبباً لمنماة رتبهم كما قال تعالى ثم اجتباه ربه فتاب
عليه وهدى وقال لداود فغفرنا له ذلك وقال بعد قول موسى تبت إليك إني اصطفيتك على
الناس وقال بعد ذكر فتنة سليمان وإنابته فسخرنا له الريح إلى وحسن مآب قال بعض المتكلمين
زلات الأنبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات وزلف وأشار إلى نحو مما قدمناه وأيضاً
فلينبه غيرهم من البشر منهم أو ممن ليس في درجاتهم بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر
ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع
بأهل هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف بمن سواهم ولهذا قال صالح المري ذكر داود بسطة
للتوابين وقال ابن عطاء لم يكن ما نص الله من قصة صاحب الحوت نقصاً له ولكن استزادة
من نبينا عليه الصلاة والسلام وأيضاً فيقال لهم فإنكم ومن وافقكم تقولون بغفران الصغائر
باجتناب الكبائر ولا خلاف بعصمة الأنبياء من الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم
فهي مغفورة على هذا فما معنى المؤاخذة بها إذاً عندكم وخوف الأنبياء وتوبتهم منها وهي
مغفورة لو كانت فما أجابوا به فهو جوابنا عن المؤاخذة بأفعال السهو والتأويل وقد قيل إن
كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره من الأنبياء عليهم السلام
على وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير شكراً لله على نعمه كما قال عليه
الصلاة والسلام وقد أمن من المؤاخذة بما تقدم وما تأخر أفلا أكون عبداً شكوراً وقال إني
أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي قال الحارث بن أسد خوف الملائكة والأنبياء خوف إعظام
وتعبد لله لأنهم آمنون وقيل فعلوا ذلك ليقتدى بهم ويستن بهم أممهم كما قال لو تعلمون

ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وايضا فان في التوبة والاستغفار معنى آخر لطيفا اشار
اليه بعض العلماء وهو استدعاء محبة الله قال الله تعالى إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ
الْمُتَطَهِّرِينَ فاحداث الانبياء والرسل التوبة والاستغفار والانابة والاوبة في كل حين مستدعٍ
لمحبة الله تعالى والاستغفار فيه معنى التوبة وقد قال الله تعالى لنبيه بعد ان غفر له ما
تقدم من ذنبه وما تأخر لَقَدْ تَابَ اللّٰهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ الآية وقال فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ
إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا **فصل** قد استبان لك ايها الناظر بما قررناه ما هو الحق من عصمته عليه الصلوة
والسلام عن الجهل بالله تعالى وصفاته او كونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله
جملة بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا ونقلا ولا بشيء مما قرره من امور الشرع و
اداه عن ربه من الوحي قطعا وعقلا وشرعا وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نبأه الله
تعالى وارسله قصدا او غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه
قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكبائر اجماعا وعن الصغائر تحقيقا وعن استدامة السهو
والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة وعصمته في كل حالاته من رضى
وغضب وجد ومزح فيجب لك ان تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه
الفصول حق قدرها وتعلم عظيم فائدتها وخطرها فان من يجهل ما يجب للنبي صلى الله
عليه وسلم او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامه لا يأمن ان يعتقد في بعضها
خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجب ان يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط
في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار
ولهذا ما احتاط عليه الصلوة والسلام على الرجلين اللذين رأياه ليلا وهو معتكف في المسجد
مع صفية فقال لهما انها صفية ثم قال لهما ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم واني خشيت
ان يقذف في قلوبكما شيئا فتهلكا هذه اكرمكم الله احدى فوائد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول
ولعل جاهلا لا يعلم بجهله اذا سمع شيئا منها يرى ان الكلام فيها جملة من فضول العلم وان

السكوت أولى وقد استبان لك بتبيين الفائدة التي ذكرناها وفائدة ثانية يضطر إليها في أصول الفقه ويبتنى عليها مسائل لا تتعد من الفقه ويتخلص بها من تشغيب مختلفي الفقهاء في عدة منها وهي الحكم في أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وهو باب عظيم وأصل كبير من أصول الفقه ولا بد من بنائه على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في أخباره وبلاغه وأنه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة في أفعاله عمدا وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر وقع خلاف في امتثال الفعل بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به. وفائدة ثالثة يحتاج إليها الحاكم والمفتي فيمن أضاف إلى النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من هذه الأمور ووصفه بها فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الإجماع فيه والخلاف كيف يصمم في الفتيا في ذلك ومن أين يدري هل ما قاله فيه نقص أو مدح فإما أن يجترئ على سفك دم مسلم حرام أو يسقط حقا أو يضيع حرمة النبي صلى الله عليه وسلم ولسبيل هذا ما قد اختلف أرباب الأصول وأئمة العلماء والمحققين في عصمة الملائكة

فصل في القول في عصمة الملائكة

أجمع المسلمون بأن الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق أئمة المسلمين أن حكم المرسلين منهم حكم الأنبياء سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه وأنهم في حقوق الأنبياء والتبليغ إليهم كالأنبياء مع الأمم واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت طائفة إلى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا بقول الله تعالى ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ وبقوله ﴿وما منا إلا له مقام معلوم وإنا لنحن الصافون﴾ الآية وبقوله ﴿ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون﴾ الآية وبقوله ﴿إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون﴾ وقوله ﴿كرام بررة﴾ وقوله ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾ ونحوه من السمعيات وذهبت طائفة أخرى إلى أن هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا بأشياء ذكرها أهل الأخبار والتفاسير نحن نذكرها إن شاء الله تعالى بعد ونبين الوجه فيها والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورأيت بعض

شيخنا اشار الى ان لا حاجة للفقيه الى الكلام في عصمتهم وانا اقول ان للكلام في ذلك ما للكلام في عصمة الانبياء من الفوائد الثلاثة التي ذكرناها سوى فائدة الكلام في الاقوال والافعال فهي ساقطة هٰهنا فيما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها اهل الاخبار ونقله المفسرون وما روي عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلائهما فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرو منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو شيئا يؤخذ بقياس والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه وانكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف كما نذكره وهذه الاخبار من كتب اليهود وافترائهم كما نصه الله اول الاية من افترائهم بذلك على سليمان وتكفيرهم اياه وقد انطوت القصة على شنع عظيمة وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطاء هذه الاشكالات ان شاء الله تعالى فاختلف اولا في هاروت وماروت هل هما ملكان او انسيان وهل هما المراد بالملكين ام لا وهل القراءة ملكين او ملكين وهل ما في قوله وما انزل على الملكين الاية وما يعلمان من احد نافية او موجبة فاكثر المفسرين على ان الله امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وان عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه امن قال الله تعالى انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له تعليم انذار اي يقولان لمن جاء يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه كفر يفرق بين المرء وزوجه ولا تتحيلوا بكذا فانه سحر فلا تكفروا فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا به ليس بمعصية وهي لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن ابي عمران انه ذكر عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان الناس السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقرأ بعضهم وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد على جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انهما ماذون لهما في تعليمه بشريطة ان يبينا انه كفر وانه امتحان من الله وابتلاء فكيف لا ننزههما عن كبائر المعاصي والكفر المذكورة في تلك الاخبار وقال خالد لم ينزل يريد ان ما نافية وهو قول ابن عباس قال مكي وتقدير الكلام وما كفر سليمان يريد بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين واتبعهم في ذلك اليهود وما انزل على الملكين

سهو او نسيان بل على الملكين الذي هما ابو البشر ابن عم الملك سليمان

قال بل هما جبريل وميكائيل ادعى اليهود عليهما المجيء به كما ادعوا على سليمان فاكذبهم الله في ذلك بقوله ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت قيل هما رجلان تعلماه قال الحسن هاروت وماروت علجان من اهل بابل وقرا وما انزل على الملكين بكسر اللام وتكون ما ايجابا على هذا وكذلك قراءة عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان ههنا داود وسليمان وتكون ما نفيا على ما تقدم وقيل كانا ملكين من بني اسرائيل فمسخهما الله حكاه السمرقندي والقراءة بكسر اللام شاذة فمحمل الآية على تقدير ابي محمد مكي حسن ينزه الملائكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله تعالى بانهم مطهرون وكرام بررة ولا يعصون الله ما امرهم ومما يذكرونه قصة ابليس وانه كان من الملائكة ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة الى آخر ما حكوه وانه استثناه من الملائكة بقوله فسجدوا الا ابليس وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه ابو الجن كما ان آدم ابو الانس وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال شهر بن حوشب كان من الجن الذين طردتهم الملائكة في الارض حين افسدوا والاستثناء من غير الجنس شائع في كلام العرب سائغ وقد قال الله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن ومما رووه في الاخبار ان خلقا من الملائكة عصوا الله فحرقوا وامروا ان يسجدوا لآدم فابوا فحرقوا ثم آخرون كذلك حتى سجد له من ذكر الله الا ابليس في اخبار لا اصل لها تردها صحاح الاخبار فلا تشتغل بها ٭ ٭ ٭

الباب الثاني

فيما يخصهم من الامور الدنيوية ويطرأ عليهم من العوارض البشرية قد قدمنا انه عليه الصلوٰة والسلام وسائر الانبياء والرسل من البشر وان جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من الآفات والتغيرات والآلام والاسقام وتجرع كاس الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله ليس بنقيصة فيه لان الشيء انما يسمى ناقصا بالاضافة الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه وقد كتب الله تعالى على اهل هذه الدار فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة

العير فقد مرض عليه السلام واشتكى وأصابه الحر والقر وأدركه الجوع والعطش ولحقه الغضب
والضجر وناله الإعياء والتعب ومسه الضعف والكبر وسقط فجحش شقه وشجه الكفار و
كسروا رباعيته وسقي السم وسحر وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله
عليه وسلم ولحق بالرفيق الأعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه سمات البشر التي لا محيص
عنها وأصاب غيره من الأنبياء ما هو أعظم منها فقتلوا قتلا ورموا في النار ونشروا بالمناشير
ومنهم من وقاه الله ذلك في بعض الأوقات ومنهم من عصمه كما عصم بعد نبينا عليه الصلاة
والسلام من الناس فلئن لم يكف نبينا ربه يد ابن قمئة يوم أحد ولا حجبه عن عيون عداه
عند دعوته أهل الطائف فلقد أخذ على عيون قريش عند خروجه إلى ثور وأمسك عنه
سيف غورث وحجر أبي جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن الأعصم فلقد وقاه
ما هو أعظم من سم اليهودية وهكذا سائر أنبيائه مبتلى ومعافى وذلك من تمام حكمته ليظهر
شرفهم في هذه المقامات ويبين أمرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع
الالتباس عن أهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على أيديهم ضلال النصارى
بعيسى وليكون في محنتهم تسلية لأممهم ووفور لأجورهم عند ربهم تماما على الذي أحسن إليهم
قال بعض المحققين وهذه الطوارئ والتغيرات المذكورة إنما تختص بأجسامهم البشرية المقصود
بها مقاومة البشر ومعاناة بني آدم لمشاكلة الجنس وأما بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة
منه متعلقة بالملأ الأعلى والملائكة لأخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم قال وقد قال عليه الصلاة
والسلام إن عيني تنامان ولا ينام قلبي وقال إني لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني
وقال لست أنسى ولكن أنسى ليستن بي فأخبر أن سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره و
أن الآفات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل منها شيء باطنه بخلاف غيره
من البشر في حكم الباطن لأن غيره إذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو عليه الصلاة و
السلام في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء في بعض الآثار أنه كان محروسا من

الحدث فی نومه لکون قلبه یقظان کما ذکرناه وکذلك غیره اذا جاع ضعف لذلك جسمه
وخارت قوته فبطلت بالکلیة جملته وهو علیه الصلوة والسلام قد اخبر انه لا یعتریه
ذلك وانه بخلافهم لقوله علیه الصلوة والسلام لست کهیئتکم انی ابیت یطعمنی ربی و
یسقینی وکذلك اقول انه فی هذه الاحوال کلها من وصب ومرض وسحر وغضب لم یجر علی
باطنه ما یخل به ولا فاض منه علی لسانه وجوارحه ما لا یلیق به کما یعتری غیره من البشر مما ناخذ
بعد فی بیانه **فصل** فان قلت قد جاءت الاخبار الصحیحة انه علیه الصلوة والسلام
سحر کما **حدثنا** الشیخ ابو محمد العتابی بقراءتی علیه قال نا حاتم بن محمد نا ابو الحسن علی بن
خلف نا محمد بن احمد نا محمد بن یوسف اخبرنا البخاری اخبرنا عبید بن اسمعیل قال اخبرنا ابو
اسامة عن هشام بن عروة عن ابیه عن عائشة رضی الله عنها قالت سحر رسول الله صلی الله علیه
وسلم حتی انه لیخیل الیه انه فعل الشیء وما فعله وفی روایة اخری حتی کان یخیل الیه انه کان یاتی
النساء ولا یاتیهن الحدیث واذا کان هذا من التباس الامر علی المسحور فکیف حال النبی فی ذلك
وکیف جاز علیه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله وایاك ان هذا الحدیث صحیح متفق علیه و
قد طعنت فیه الملحدة وتذرعت به لسخف عقولها وتلبیسها علی امثالها الی التشکیك فی الشرع
وقد نزه الله الشرع والنبی عما یدخل فی امره لبسا وانما السحر مرض من الامراض وعارض
من العلل یجوز علیه کانواع الامراض مما لا ینکر ولا یقدح فی نبوته واما ما ورد انه کان یخیل
الیه انه فعل الشیء وما فعله فلیس فی هذا ما یدخل علیه داخلة فی شیء من تبلیغه او شریعته
او یقدح فی صدقه لقیام الدلیل والاجماع علی عصمته من هذا وانما هذا فیما یجوز طروءه
علیه فی امور دنیاه التی لم یبعث بسببها ولا فضل من اجلها وهو فیها عرضة للآفات کسائر
البشر فغیر بعید ان یخیل الیه من امورها ما لا حقیقة له ثم ینجلی عنه کما کان وایضا فقد
فسر هذا الفصل الحدیث الآخر من قوله حتی یخیل الیه انه یاتی اهله ولا یاتیهن وقد قال
سفیان وهذا اشد ما یکون من السحر ولم یات فی خبر منها انه نقل عنه فی ذلك قول

ما كان اخبر انه فعله ولم يفعله وانما كانت خواطر وتخيلات وقد قيل ان المراد بالحديث انه كان يتخيل الشيء انه فعله وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته كلها على السداد واقواله على الصحة هذا ما وقفت عليه من الاجوبة لائمتنا عن هذا الحديث مع ما اوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث تاويل اجلى وابعد من مطاعن ذوي الاضاليل يستفاد من نفس الحديث وهو ان عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينكر بصره ثم دله الله على ما صنعوه فاستخرجه من البئر وروي نحوه عن الواقدي عن عبد الرحمن بن كعب وعمر بن الحكم وذكر عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة سنة فبينا هو نائم اتاه ملكان فقعد احدهما عند راسه والآخر عند رجليه الحديث قال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة رضي الله عنها خاصة سنة حتى انكر بصره وروى محمد بن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبس عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه ملكان وذكر القصة فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات ان السحر انما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وانه انما اثر في بصره وحبسه عن وطئ نسائه وطعامه واضعف جسمه وامرضه ويكون معنى قوله يخيل اليه انه ياتي اهله ولا ياتيهن اي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء فاذا دنى منهن اصابته اخذة السحر فلم يقدر على اتيانهن كما يعتري من اخذ واعترض ولعله لمثل هذا اشار سفيان بقوله وهذا اشد ما يكون من السحر ويكون قول عائشة في الرواية الاخرى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث فيظن انه راى شخصا من بعض ازواجه او شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل اليه لما اصابه في

يصره وضعف نظره لا لشيء طرأ عليه في تمييزه واذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من اصابة السحر له وتأثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به المعترض الملحد انسا **فصل** هذا حاله في جسمه فاما احواله في امور الدنيا فنحن نسبرها على اسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل اما العقد منها فقد يعتقد في امور الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه او يكون منه على شك او ظن بخلاف امور الشرع كما حدثنا ابو بحر سفيان بن العاصي وغير واحد سماعا وقراءة قالوا اخبرنا ابو العباس احمد بن عمر قال اخبرنا ابو العباس الرازي اخبرنا ابو احمد بن عمرويه اخبرنا ابن سفيان اخبرنا مسلم اخبرنا عبد الله بن الرومي وعباس العنبري واحمد المعقري قالوا اخبرنا النضر بن محمد قال حدثني عكرمة اخبرنا ابو النجاشي قال اخبرنا رافع بن خديج قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يأبرون النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه فقال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنفضت فذكروا ذلك له فقال انما انا بشر اذا امرتكم بشيء من دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشيء من رأيي فانما انا بشر وفي رواية انس انتم اعلم بامر دنياكم وفي حديث اخر انما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن وفي حديث ابن عباس في قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فانما انا بشر اخطئ واصيب وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه في امور الدنيا وظنه من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه وسنة سنها وكما حكى ابن اسحاق انه عليه الصلوة والسلام لما نزل بادنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر اهذا منزل انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه ام هو الرأي والحرب والمكيدة قال لا بل هو الرأي والحرب والمكيدة قال فانه ليس بمنزل انهض حتى نأتي ادنى ماء من القوم فننزله ثم نعور ما وراءه من القلب فنشرب ولا يشربون فقال اشرت بالرأي وفعل ما قاله وقد قال الله تعالى له وشاورهم في الامر واراد مصالحة بعض عدوه على ثلث تمر المدينة فاستشار الانصار فلما اخبروه برأيهم رجع عنه فمثل هذا واشباهه من امور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة

ولا اعتقادها ولا تعلمها يجوز عليه جهلها كما ذكرنا اذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة وانما
هي امور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبي مشحون القلب
بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الامة الدينية والدنيوية
ولكن هذا انما يكون في بعض الامور ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة
الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه عليه
الصلوة والسلام من المعرفة بامور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق اهلها
ما هو معجز في البشر مما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب **فصل** واما
ما يعتقده في امور احكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم
المفسد من المصلح فبهذه السبيل لقوله عليه الصلوة والسلام انما انا بشر وانكم تختصمون
الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له من
حق اخيه بشيء فلا يأخذ منه شيئا فانما اقطع له قطعة من النار **حدثنا** الفقيه ابو الوليد
رحمه الله اخبرنا الحسين بن محمد الحافظ اخبرنا ابو عمر اخبرنا ابو محمد اخبرنا ابو بكر اخبرنا
ابو داود نا محمد بن كثير اخبرنا سفيان عن هشام بن عروة عن ابيه عن زينب بنت ام سلمة
عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفي رواية الزهري عن عروة
فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض فاحسب انه صادق فاقضي له وتجري احكامه صلى الله
عليه وسلم على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة
الاشبه ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله تعالى في ذلك فانه تعالى لو شاء
لاطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر امته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة
الى الاعتراف او بينة او يمين او شبهة ولكن لما امر الله امته باتباعه والاقتداء به في افعاله
واحواله وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله به لم يكن
للامة سبيل الى الاقتداء به في شيء من ذلك ولا قامت حجة بقضية من قضاياه

لاحد في شريعته لانا لا نعلم ما اطلع عليه هو في تلك القضية من حكمة هو اذا في ذلك بالمكنون
من اعلام الله له بما اطلعه عليه من سرائرهم وهذا ما لا تتعلمه الامة فاجرى الله احكامه
على ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتداء امته به في تعيين قضاياه
وتنزيل احكامه ويأتون ما اتوا من ذلك على علم ويقين من سنته اذ البيان بالفعل اوقع
منه بالقول وارفع لاحتمال اللفظ وتأويل المتأول وكان حكمه على الظاهر اجلى في البيان و
اوضح في وجوه الاحكام واكثر فائدة لموجبات التشاجر والخصام وليقتدي بذلك كله حكام
امته ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته وطي ذلك عنه من علم الغيب الذي
استأثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فيعلمه منه بما
شاء ويستأثر بما شاء ولا يقدح هذا في نبوته ولا يفصم عروة من عصمته فصل و
اما اقواله الدنيوية من اخباره عن احواله واحوال غيره وما يفعله او فعله فقد قدمنا
ان الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال وعلى اي وجه من عمد او سهو او صحة او مرض او
رضى او غضب وانه معصوم منه صلى الله عليه وسلم هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله
الصدق والكذب فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه في
الامور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره
وكما روي من ممازحته ودعابته لبسط امته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتأكيدا
في تحببهم ومسرة نفوسهم كقوله لاحملنك على ابن الناقة وقوله للمرأة التي سألته عن
زوجها أهو الذي بعينه بياض وهذا كله صدق لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان بعينه بياض
وقد قال عليه الصلوة والسلام اني لامزح ولا اقول الا حقا هذا كله فيما بابه الخبر فاما ما بابه
غير الخبر مما صورته صورة الامر والنهي في الامور الدنيوية فلا يصح منه ايضا ولا يجوز عليه
ان يأمر احدا بشيء او ينهى احدا عن شيء وهو يبطن خلافه وقد قال عليه الصلوة والسلام
ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين فكيف ان تكون له خائنة القلب فان قلت فما معنى

قوله فی قصة زید اِذْ تَقُولُ لِلَّذِی اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَیْهِ وَاَنْعَمْتَ عَلَیْهِ اَمْسِکْ عَلَیْکَ زَوْجَکَ الآیۃ فاعلم اکرمک اللّٰه
لا تسترب فی تنزیہ النبی علیه الصلوٰۃ والسلام عن هٰذا الظاهر وان یأمر زیدا بامساکها
وهو یحب تطلیقه ایاها کما ذکر عن جماعة من المفسرین واصح ما فی هٰذا ما حکاه اهل التفسیر
عن علی بن حسین ان اللّٰه تعالیٰ کان اعلم نبیه ان زینب ستکون من ازواجه فلما شکاها الیه زید قال له
النبی صلی اللّٰه علیه وسلم امسک علیک زوجک واتق اللّٰه واخفی منه فی نفسه ما اعلمه
اللّٰه به من انه سیتزوجها مما اللّٰه مبدیه ومظهره بتمام التزویج وطلاق زید لها وروی نحوه عمرو بن
فائد عن الزهری قال نزل جبریل علیه السلام علی النبی صلی اللّٰه علیه وسلم یعلمه ان اللّٰه
یزوجه زینب بنت جحش فذلک الذی اخفی فی نفسه ویصحح هٰذا قول المفسرین فی قوله
بعد هٰذا وَكَانَ اَمْرُ اللّٰهِ مَفْعُوْلًا ای لابد لک ان تتزوجها ویوضح هٰذا ان اللّٰه تعالیٰ لم یبد
من امره معها غیر زواجه لها فدل انه الذی اخفاه علیه الصلوٰۃ والسلام مما کان
اعلمه به تعالیٰ وقوله تعالیٰ فی القصة مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيْمَا فَرَضَ اللّٰهُ لَهٗ سُنَّةَ
اللّٰهِ فدل انه لم یکن علیه حرج فی الامر قال الطبری ما کان اللّٰه لیؤثم نبیه فیما احل مثال فعله
لمن قبله من الرسل قال اللّٰه تعالیٰ سُنَّةَ اللّٰهِ فِی الَّذِیْنَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ای من النبیین فیما احل
لهم ولو کان علی ما روی فی حدیث قتادة من وقوعها فی قلب النبی صلی اللّٰه علیه وسلم عند
ما اعجبته ومحبته طلاق زید لها لکان فیه اعظم الحرج وما لا یلیق به من مد عینیه لما
نهی عنه من زهرة الحیاة الدنیا ولکان هٰذا نفس الحسد المذموم الذی لا یرضاه ولا یتسم به
الاتقیاء فکیف سید الانبیاء علیهم السلام قال القشیری رضی اللّٰه عنه وهٰذا اقدام عظیم
من قائله وقلة معرفة بحق النبی صلی اللّٰه علیه وسلم وشرف وکرم ومجد کثیرا وبفضله
وکیف یقال رآها فاعجبته وهی بنت عمته ولم یزل یراها منذ ولدت ولا کان النساء یحتجبن
منه علیه الصلوٰۃ والسلام وهو زوجها لزید وانما جعل اللّٰه طلاق زید لها وتزویج النبی
صلی اللّٰه علیه وسلم ایاها لازالة الحرمة التبنی وابطال سببه کما قال مَا كَانَ مُحَمَّدٌ اَبَا اَحَدٍ مِّنْ

رِجَالِكُمْ وَقَالَ تَعَالَى لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ
أَدْعِيَائِهِمْ وَنَحْوُهُ لِابْنِ فُورَك وَقَالَ أَبُو اللَّيْثِ السَّمَرْقَنْدِي فَإِنْ قِيلَ فَمَا الْفَائِدَةُ
فِي أَمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِزَيْدٍ بِإِمْسَاكِهَا فَهُوَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَعْلَمَ نَبِيَّهُ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا زَوْجَتُهُ فَنَهَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ طَلَاقِهَا إِذْ لَمْ
تَكُنْ بَيْنَهُمَا أُلْفَةٌ وَأَخْفَى فِي نَفْسِهِ مَا أَعْلَمَهُ اللهُ تَعَالَى فَلَمَّا طَلَّقَهَا زَيْدٌ خَشِيَ قَوْلَ
النَّاسِ يَتَزَوَّجُ امْرَأَةَ ابْنِهِ فَأَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى بِزَوَاجِهَا لِيُبَاحَ مِثْلُ ذَلِكَ لِأُمَّتِهِ
كَمَا قَالَ تَعَالَى لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ
وَقَدْ قِيلَ كَانَ أَمْرُهُ لِزَيْدٍ بِإِمْسَاكِهَا قَمْعًا لِلشَّهْوَةِ وَرَدًّا لِلنَّفْسِ عَنْ هَوَاهَا
وَهَذَا إِذَا جَوَّزْنَا عَلَيْهِ أَنَّهُ رَآهَا فُجَاءَةً وَاسْتَحْسَنَهَا وَمِثْلُ هَذَا لَا نَكِرَةَ فِيهِ لِمَا
طُبِعَ عَلَيْهِ ابْنُ آدَمَ مِنَ اسْتِحْسَانِهِ لِلْحَسَنِ وَنَظْرَةُ الْفُجَاءَةِ مَعْفُوٌّ عَنْهَا ثُمَّ قَمَعَ
نَفْسَهُ عَنْهَا وَأَمَرَ زَيْدًا بِإِمْسَاكِهَا وَإِنَّمَا تُنْكَرُ تِلْكَ الزِّيَادَاتُ الَّتِي فِي الْقِصَّةِ وَالتَّعْوِيلُ
وَالْأَوْلَى مَا ذَكَرْنَاهُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ وَحَكَاهُ السَّمَرْقَنْدِيُّ وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ
عَطَاءٍ وَصَحَّحَهُ وَاسْتَحْسَنَهُ الْقَاضِي الْقُشَيْرِيُّ وَعَلَيْهِ عَوَّلَ أَبُو بَكْرِ بْنُ فُورَك وَ
قَالَ إِنَّهُ مَعْنَى ذَلِكَ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ أَهْلِ التَّفْسِيرِ قَالَ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ مُنَزَّهٌ عَنِ اسْتِعْمَالِ النِّفَاقِ فِي ذَلِكَ وَإِظْهَارِ خِلَافِ مَا فِي نَفْسِهِ وَقَدْ
نَزَّهَهُ اللهُ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ
لَهُ قَالَ سُبْحَانَهُ تَعَالَى وَمَنْ ظَنَّ ذَلِكَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ أَخْطَأَ قَالَ
وَلَيْسَ مَعْنَى الْخَشْيَةِ هُنَا الْخَوْفُ وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ الِاسْتِحْيَاءُ أَنْ يَسْتَحْيِيَ مِنْهُمْ أَنْ يَقُولُوا
تَزَوَّجَ زَوْجَةَ ابْنِهِ وَأَنَّ خَشْيَتَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ النَّاسِ كَانَتْ مِنْ إِرْجَافِ
الْمُنَافِقِينَ وَالْيَهُودِ وَتَشْغِيبِهِمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِقَوْلِهِمْ تَزَوَّجَ زَوْجَةَ ابْنِهِ بَعْدَ نَهْيِهِ عَنْ نِكَاحِ
حَلَائِلِ الْأَبْنَاءِ كَمَا كَانَ فَعَتَبَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى هَذَا وَنَزَّهَهُ عَنِ الِالْتِفَاتِ إِلَيْهِمْ فِيمَا أَحَلَّهُ

كما عوتب على مراعاة رضى ازواجه في سورة التحريم بقوله تعالى لم تحرم ما احل
الله لك الآية كذلك قوله تعالى ههنا وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وقد روي عن الحسن
وعائشة رضي الله عنها لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لكتم هذه الآية لما فيها
من عتبه وابداء ما اخفاه **فصل** فان قلت قد تقررت عصمته عليه الصلاة والسلام
في اقواله في جميع احواله وانه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة
ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضى ولا غضب فما معنى الحديث في وصيته عليه الصلاة
والسلام الذي حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله قال اخبرنا القاضي ابو الوليد قال
حدثنا ابو ذر قال حدثنا ابو محمد وابو الهيثم وابو اسحاق قالوا اخبرنا محمد بن يوسف نا
محمد بن اسماعيل قال اخبرنا علي بن عبد الله قال اخبرنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن الزهري عن
عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال لما احتضر عليه الصلاة والسلام وفي البيت رجال
فقال النبي عليه الصلاة والسلام هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال بعضهم ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية ائتوني اكتب لكم كتابا لن
تضلوا بعدي ابدا فتنازعوا فقالوا ماله أهجر استفهموه فقال دعوني فان الذي انا فيه خير وفي
بعض طرقه ان النبي يهجر وفي رواية هجر ويروى أهجر ويروى أهجرا وفيه فقال عمر ان النبي عليه
الصلاة والسلام قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني
وفي رواية واختلف اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى
الله عليه وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر قال ائمتنا في هذا الحديث النبي غير معصوم من
الامراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي ونحوه مما يطرأ على جسمه معصوم
ان يكون منه من القول اثناء ذلك ما يطعن في معجزته ويؤدي الى فساد في شريعته من هذيان
او اختلال في كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث هجر اذ معناه هذى يقال
هجر هجرا اذا هذى واهجر هجرا اذا افحش واهجر تعدية هجر وانما الاصح والاولى أهجر على طريق

الانكار على من قال لا يكتب هكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة في حديث
الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة وكذا ضبطه الاصيلي بخطه في كتابه و
غيره من هذه الطرق وكذا مارويناه عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره وقد يحمل عليه
رواية من رواه هجر على حذف الف الاستفهام والتقدير اهجر وان يحمل قول القائل هجر او اهجر دهشة
من قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول وشدة وجعه وهول المقام
الذي اختلف فيه عليه والامر الذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه واجرى
الهجر مجرى شدة الوجع لا انه اعتقد انه يجوز عليه الهجر كما حملهم الاشفاق على حراسته
والله يقول والله يعصمك من الناس ونحو هذا واما على رواية اهجرا وهي رواية ابي اسحاق
المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس من رواية قتيبة فقد يكون هذا
راجعا الى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم اي جئتم باختلافكم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر بضم الهاء
الفحش في المنطق وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا بعد امره
لهم عليه الصلوة والسلام بان ياتوه بالكتاب فقال بعضهم اوامر النبي صلى الله عليه
وسلم يفهم ايجابها من ندبها من اباحتها بقرائن فلعل قد ظهر من قرائن قوله عليه
الصلوة والسلام لبعضهم ما فهموا انه لم تكن منه عزمة بل امر رده الى اختيارهم
وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف عنه اذ لم تكن عزمة
ولما راوه من صواب راي عمر ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر اما اشفاقا على النبي
صلى الله عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال املاء الكتاب وان تدخل عليه مشقة
من ذلك وكما قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع وقيل خشي عمر ان يكتب
امورا يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة وراى ان الارفق بالامة في تلك الامور
سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطي ماجورا وقد علم

عمر تقرر الشريعة وتأسيس الملة وان الله قال اليوم أكملت لكم دينكم وقوله عليه الصلاة
والسلام أوصيكم بكتاب الله وعترتي وقول عمر حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على أمر النبي
صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان عمر خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب في
ذلك الكتاب في الخلوة وان يتقولوا في ذلك الاقاويل كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك
وقيل انه كان من النبي صلى الله عليه وسلم لهم على طريق المشورة والاختبار هل يتفقون على
ذلك أم يختلفون فلما اختلفوا تركه وقالت طائفة أخرى ان معنى الحديث ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه لا انه ابتدأ بالأمر به بل اقتضاه منه بعض أصحابه
فأجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل في مثل هذه القصة بقول
العباس لعلي انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان الأمر فينا علمناه و
كراهة علي هذا وقوله والله لا أفعل الحديث واستدل بقوله دعوني فان الذي أنا فيه خير أي
الذي أنا فيه خير من ارسال الأمر وترككم وكتاب الله وان تدعوني مما طلبتم وذكر ان الذي
طلب كتابة أمر الخلافة بعده وتعيين ذلك **فصل** فان قيل فما وجه حديثه أيضا
الذي حدثناه الفقيه ابو محمد الخشني بقراءتي عليه ثنا ابو علي الطبري اخبرنا عبد الغافر
الفارسي اخبرنا ابو احمد الجلودي قال اخبرنا ابراهيم بن سفيان اخبرنا مسلم بن الحجاج
اخبرنا قتيبة اخبرنا الليث عن سعيد بن ابي سعيد عن سالم مولى النصريين قال سمعت
أبا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب
البشر واني قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فأيما مؤمن آذيته او سببته او جلدته
فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة وفي رواية
فأيما أحد دعوت عليه دعوة وفي رواية ليس لها بأهل وفي رواية وأيما رجل من المسلمين
سببته او لعنته او جلدته فاجعلها له زكاة وصلاة ورحمة وكيف يصح ان يلعن النبي صلى الله
عليه وسلم من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد او

يفعل مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم من هذا كله فاعلم شرح الله صدرك ان قوله اولًا
ليس لها باهلٍ اي عندك يا ربّ في باطن امره فانّ حكمه عليه الصلوة والسّلام على الظاهر كما
قال وللحكمة التي ذكرناها فحكم عليه الصّلوة والسّلام بجلده او ادّبه بسبّه او لعنه بما اقتضاه
عنده حال ظاهره ثم دعا له عليه الصّلوة والسّلام لشفقته على امّته ورأفته ورحمته للمؤمنين
التي وصفه الله بها وحذره ان يتقبّل فيمن دعا عليه دعوته ان يجعل دعاءه وفعله له رحمة
فهو معنى قوله ليس لها باهلٍ لا انّه عليه الصّلوة والسّلام يحمله الغضب ويستفزه الضجر
لان يفعل مثل هذا بمن لا يستحقّه من مسلمٍ وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله اغضب
كما يغضب البشر ان الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز ان يكون المراد بهذا ان الغضب
لله حمله على معاقبته بلعنه او سبّه وانه كان مما يحتمل ويجوز عفوه عنه او كان مما خيّر
بين المعاقبة فيه والعفو عنه وقد يحمل انه خرج مخرج الاشفاق وتعليم امته الخوف
والحذر من تعدّي حدود الله وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا ومن دعواته على غير واحدٍ
في غير موطنٍ على غير العقد والقصد بل بما جرت به عادة العرب وليس المراد بها الاجابة
كقوله تربت يمينك ولا اشبع الله بطنك وعقرى حلقى وغيرها من دعواته وقد ورد في صفته
عليه الصّلوة والسّلام في غير حديث انه لم يكن عليه الصّلوة والسّلام فحاشًا وقال انس
لم يكن سبّابًا ولا فاحشًا ولا لعّانًا وكان يقول لاحدنا عند المعتبة ماله ترب جبينه فيكون
حمل الحديث على هذا المعنى ثم اشفق عليه الصّلوة والسّلام من موافقة امثالها اجابةً
فعاهد ربّه كما جاء في الحديث ان يجعل ذلك للمقول له زكوة ورحمة وقربةً وقد يكون
ذلك اشفاقًا على المدعو عليه وتأنيسا له لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر من
لعن النبي صلى الله عليه وسلم وتقبل دعائه ما يحمله على اليأس والقنوط وقد يكون
ذلك سؤالًا منه لربّه لمن جلده او سبّه على حقٍّ وبوجهٍ صحيحٍ ان يجعل ذلك له كفارةً
لما اصاب وتمحيةً لما اجترم وان تكون له عقوبته في الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء في

للحديث الآخر ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فهو كفارة له فإن قلت فما معنى حديث الزبير في
قول النبي صلى الله عليه وسلم له حين خاصمه رجل من الأنصار في شراج الحرة اسق يا زبير
حتى يبلغ الكعبين فقال له الأنصاري أن كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر الحديث فالجواب أن النبي صلى الله
عليه وسلم منزه أن يقع بنفس مسلم منه في هذه القصة أمر يريبه لكنه صلى الله عليه وسلم
ندب الزبير أولاً إلى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض بذلك
الآخر وبجح وقال ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه ولهذا ترجم البخاري
على هذا الحديث باب إذا أشار الإمام بالصلح فأبى حكم عليه بالحكم وذكر في آخر الحديث فاستوفى
رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه وقد جعل المسلمون هذا الحديث أصلاً في
قضيته وفيه الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه و
أنه وإن نهي أن يقضي القاضي وهو غضبان فإنه في حكمه في حال الغضب والرضى سواء لكونه
فيهما معصوماً وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا إنما كان لله تعالى لا للنفس كما جاء في الحديث
الصحيح وكذلك الحديث في إقادته عكاشة من نفسه لم يكن لتحمل حاله الغضب عليه بل وقع
في الحديث نفسه أن عكاشة قال له وضربتني بالقضيب فلا أدري أعمداً أم أردت ضرب
الناقة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أعيذك بالله يا عكاشة أن يتعمدك رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكذلك في حديثه الآخر مع الأعرابي حين طلب عليه الصلاة والسلام الاقتصاص
منه فقال الأعرابي قد عفوت عنك وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط
لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد أخرى والنبي ينهاه ويقول له تدرك حاجتك فهو يأبى فضربه
بعد ثلاث مرات وهذا منه عليه الصلاة والسلام لمن لم يقف عندما نهيه صون و
موضع أدب لكنه عليه الصلاة والسلام أشفق إذ كان حق نفسه من الأمر حتى عفا عنه
وأما حديث سواد بن عمرو وأتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا متخلق فقال ورس ورس

أصابه خط وشقه بالقضيب في يده أوجعني قلت القصاص يا رسول الله فكشف لي عن
بطنه وإنما ضربه عليه الصلاة والسلام لمنكر رآه به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب إلا تنبيهه
فلما كان منه إيجاع لم يقصده طلب التحلل منه على ما قدمناه. **فصل** وأما أفعاله عليه الصلوة
والسلام الدنيوية فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروهات ما قدمناه ومن جواز السهو
والغلط في بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة بل إن هذا فيها على الندور إذ عامة أفعاله
على السداد والصواب بل أكثرها أو كلها جارية مجرى العبادات والقرب على ما بيناه إذ كان
عليه الصلوة والسلام لا يأخذ منها لنفسه إلا ضرورته وما يقيم به رمق جسمه وفيه
مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس أمته وما كان فيما بينه وبين
الناس من ذلك فبين معروف يصنعه أو بر يوسعه أو كلام حسن يقوله أو يسمعه أو تألف
شارد أو قهر معاند أو مداراة حاسد وكل هذا لاحق بصالح أعماله منتظم في زاكي
وظائف عباداته وقد كان يخالف في أفعاله الدنيوية بحسب اختلاف الأحوال ويعد للأمور
أشباهها فيركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي أسفاره الراحلة ويركب البغلة في معارك
الحرب دليلا على الثبات ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع وإجابة الصارخ وكذلك في لباسه
وسائر أحواله وأفعاله بحسب اعتبار مصالحه ومصالح أمته وكذلك يفعل الفعل من
أمور الدنيا مساعدة لأمته وسياسة وكراهية لخلافها وإن كان قد يرى غيره خيرا منه
كما يترك الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا منه وقد يفعل هذا في الأمور الدينية مما له
الخيرة في أحد وجهيه كخروجه من المدينة لأحد وكان مذهبه التحصن بها وتركه قتل
المنافقين وهو على يقين من أمرهم مؤالفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قرابتهم وكراهة
لأن يقول الناس إن محمدا يقتل أصحابه كما جاء في الحديث وتركه بناء الكعبة
على قواعد إبراهيم مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها وحذرا من نفار قلوبهم
لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين وأهله فقال لعائشة في الحديث الصحيح لولا حدثان

قومك بالكفر لاعمت البيت على قواعد ابراهيم وتفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كاشقاله من ادنى مياه بدر الى اقربها للعدو من قريش وكقوله لو استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت الهدي ويتبسط وجهه للعدو والكافر رجاء استيلافه ويصابر الجاهل ويقول ان من شرار الناس من اتقاه الناس لشره ويبذل له الرغائب ليحبب اليه شريعته ودين ربه ويتولى في منزله ما يتولاه الخادم من مهنته ويتسمت في ملائه حتى لا يبدو منه شيء من اطرافه وحتى كان على رؤس جلسائه الطير ويتحدث مع جلسائه بحديث اولهم ويتعجب مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون منه وقد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه الغضب ولا يقصر عن الحق ولا يبطن على جلسائه يقول ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين فان قلت فما معنى قوله لعايشة في الداخل عليه بئس ابن العشيرة فلما دخل الان له القول وضحك معه فلما سألته عن ذلك قال ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره وكيف جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن ويقول في ظهره ما قال فالجواب ان فعله عليه الصلوة والسلام كان استيلافا لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل في الاسلام بسببه اتباعه ويراه مثله فينجذب بذلك الى الاسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة الدنيا الى السياسة الدينية وقد كان يستألفهم باموال الله العريضة فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان لقد اعطاني وهو ابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى صار احب الخلق الي وقوله فيه بئس ابن العشيرة غير غيبة بل هو تعريف لما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحذر منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما وكان مطاعا متبوعا ومثل هذا اذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبة بل كان جائزا بل واجبا في بعض الاحيان كعادة المحدثين في تجريح الرواة والمزكين في الشهود فان قيل فما معنى المعضل الوارد في حديث بريرة من قوله عليه الصلوة والسلام لعائشة وقد اخبرته ان موالي بريرة ابوا بيعها الا ان يكون لهم الولاء فقال لها عليه الصلوة والسلام اشتريها واشترطي لهم الولاء

فنعلمه ثم قام خطيبا فقال ما بال اقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي
عليه الصلوة والسلام قد امرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه هو والله اعلم لما باعوها من
عائشة كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا ذلك عليها ثم ابطله عليه الصلوة والسلام وهو قد
حرم الغش والخديعة فاعلم اكرمك الله ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه عما يقع في بال الجاهل
من هذا ولتنزيه النبي عليه الصلوة والسلام عن ذلك ما قد انكر قوم هذه الزيادة قوله
اشترطي لهم الولاء اذ ليست في اكثر طرق الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض بها اذ قد يقع لهم
بمعنى عليهم قال الله تعالى اولئك لهم اللعنة وقال وان اسأتم فلها فعلى هذا اشترطي عليهم
الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله عليه وسلم وعظه لما سلف لهم من شرط الولاء
لانفسهم قبل ذلك ووجه ثان ان قوله عليه الصلوة والسلام اشترطي لهم الولاء ليس على
معنى الامر لكن على معنى التسوية والاعلام بان شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي صلى الله عليه
وسلم لهم قبل ان الولاء لمن اعتق فكانه قال لها اشترطي او لا تشترطي فانه شرط غير نافع
والى هذا ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك يدل على
علمهم به قبل هذا الوجه الثالث ان معنى قوله اشترطي لهم الولاء اى اظهري لهم حكمه
وبيني لهم سنته ان الولاء انما هو لمن اعتق ثم بعد هذا قام هو عليه الصلوة والسلام
مبينا ذلك وموبخا على مخالفة ما تقدم منه فيه فان قيل فما معنى فعل يوسف عليه
السلام باخيه اذ جعل السقاية في رحل اخيه واخذه باسم سرقتها وما جرى على اخوته في
ذلك وقوله انكم لسارقون ولم يسرقوا فاعلم اكرمك الله ان الاية تدل على ان فعل
يوسف كان عن امر الله تعالى لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في
دين الملك الا ان يشاء الله الاية فاذا كان كذلك فلا اعتراض به كان فيه ما فيه وايضا
فان يوسف كان اعلم اخاه باني انا اخوك فلا تبتئس فكان ما جرى عليه بعد هذا من
وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به وازاحة السوء والمضرة عنه بذلك لما شئت له

أيتها العير إنكم لسارقون فليس من قول يوسف فيلزم عليه جواب لحل شبهة ولعل
قائله إن حسّن له التأويل كائنا من كان ظن على صورة الحال ذلك وقد قيل قال ذلك
لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم أن نقوّل الأنبياء ما لم يأت أنهم
قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم **فصل** فإن قيل
فما الحكمة في إجراء الأمراض وشدتها عليه وعلى غيره من الأنبياء على جميعهم السلام وما الوجه
فيما ابتلاهم الله به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كأيوب ويعقوب ودانيال ويحيى
وزكريا وعيسى وإبراهيم ويوسف وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم وهم خيرته من
خلقه وأحباؤه وأصفياؤه فاعلم وفقنا الله وإياك أن أفعال الله تعالى كلها عدل وكلماته
جميعها صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده كما قال لهم لننظر كيف تعملون وليبلوكم أيكم
أحسن عملا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
ونبلو أخباركم فامتحانه إياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم وأسباب
لاستخراج حالات الصبر والرضا والشكر والتسليم والتوكل والتفويض والدعاء والتضرع منهم وتأكيد لبصائرهم
في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين وتذكرة لغيرهم وموعظة لسواهم ليتأسوا في
البلاء بهم ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في الصبر ومحو لهنات فرطت منهم
وغفلات سلفت لهم ليلقوا الله طيبين مهذبين وليكون أجرهم أكمل وثوابهم أوفر
وأجزل حدثنا القاضي أبو علي الحافظ أخبرنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون
قالا حدثنا أبو يعلى البغدادي قال أخبرنا أبو علي السنجي أخبرنا محمد بن محبوب أخبرنا أبو عيسى
الترمذي أخبرنا قتيبة أخبرنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن
أبيه قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى
الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة
وكما قال تعالى وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير الآيات الثلاث وعن أبي هريرة ما يزال

البلاء بالمؤمن في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وعن انس عنه
عليه الصلوة والسلام اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعبده
الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة وفي حديث اخر اذا احب الله عبدا ابتلاه ليسمع
تضرعه وحكى السمرقندي ان كل من كان اكرم على الله تعالى كان بلاؤه اشد كي يتبين فضله
ويستوجب الثواب كما روي عن لقمان انه قال يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار و
المؤمن يختبر بالبلاء وقد حكي ان ابتلاء يعقوب بيوسف كان سببه التفاته في صلوته اليه ويوسف
نائم محبة له وقيل بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف على اكل حمل مشوي وهما يضحكان
وكان لهما جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز لبكائه وبينهما جدار ولا
علم عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب بالبكاء اسفا على يوسف الى ان سالت حدقتاه
وابيضت عيناه من الحزن فلما علم بذلك كان بقية حياته يأمر مناديا ينادي على سطحه الا من
كان مفطرا فليتغد عند آل يعقوب وعوقب يوسف بالمحنة التي نص الله عليها وروي عن
الليث ان سبب بلاء ايوب انه دخل مع اهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه واغلظوا له
الا ايوب فانه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله ببلائه ومحنة سليمان لما ذكرناه من
نيته في كون الحق في جنبة اصهاره او العمل بالمعصية في داره ولا علم عنده وهذه
فائدة شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت
الوجع على احد اشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله رأيت النبي صلى الله
عليه وسلم في مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت انك لتوعك وعكا شديدا قال اجل اني
اوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك الاجر مرتين قال اجل ذلك كذلك وفي حديث
ابي سعيد ان رجلا وضع يده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله ما اطيق اضع يدي
عليك من شدة حماك فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبياء يضاعف لنا
البلاء ان كان النبي صلى الله عليه وسلم ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان النبي

ليبتلى بالفقر وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء وعن انس عنه عليه الصلوة
والسلام ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن
سخط فله السخط وقد قال المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به ان المسلم يجزى
بمصائب الدنيا فتكون له كفارة وروي مثل هذا عن عائشة وابي ومجاهد وقال ابو هريرة عنه
عليه الصلوة والسلام من يرد الله به خيرا يصب منه وقال في رواية عائشة ما من مصيبة تصيب
المسلم الا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها وقال في رواية ابي سعيد ما يصيب المؤمن من
نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه
وفي حديث ابن مسعود ما من مسلم يصيبه اذى الا حات الله عنه خطاياه كما يحت ورق الشجر
حكمة اخرى اودعها الله في الامراض لاجسامهم وتعاقب الاوجاع عليها وشدتها عند مماتهم
لتضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم وتخف عليهم مؤنة النزع وشدة
السكرات بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس لذلك خلاف موت الفجأة واخذه كما يشاهد
من اختلاف احوال الموتى في الشدة واللين والصعوبة والسهولة وقد قال عليه الصلوة
والسلام مثل المؤمن مثل خامة الزرع تفيئها الريح هكذا وهكذا وفي رواية ابي هريرة من
حيث اتتها الريح تكفؤها فاذا سكنت اعتدلت كذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ومثل الكافر
كمثل الارزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله معناه ان المؤمن مرزأ مصاب بالبلاء والامراض
متصرف بين اقدار الله منطاع لذلك لين الجانب برضاه وقلة سخطه كطاعة خامة الزرع
وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها وترنحها من حيث ما اتتها فاذا ازاح الله تعالى عن المؤمن
رياح البلايا واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو رجع الى
شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه منتظرا رحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذه السبيل لم
عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه لعادته بما تقدمه من
الالام ومعرفته ما له فيها من الاجر وتوطينه نفسه على المصائب ورقتها وضعفها بتوالي المرض

ورشدته والكافر بخلاف هذا معافا في غالب حاله ممتّع بصحة جسمه كالارزة الصمّاء

حتى اذا اراد الله هلاكه قصمه لحينه على غرّة واخذه بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته

اشدّ عليه حسرةً ومقاساة نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه اشدّ الما وعذابا ولعذاب

الاخرة اشدّ كانجعاف الارزة وكما قال تعالى فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وكذلك عادة

الله في اعدائه كما قال فكلّا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته

الصيحة الاية ففجاء جميعهم بالموت على حال عتوّ وغفلة وصبّحهم به على غير استعداد بغتة و

لهذا كره السلف موت الفجاءة ومنه في حديث ابراهيم كانوا يكرهون اخذة كاخذة الاسف اي

الغضب يريد موت الفجاءة وحكمة ثالثة ان الامراض نذير الممات وبقدر شدتها شدة الخوف

من نزول الموت فيستعدّ من اصابته وعلم تعاهده هاد للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا

الكثيرة الانكاد ويكون قلبه معلقا بالمعاد فينتصل من كل ما يخشى تباعته من قبل

الله تعالى ومن قبل العباد ويؤدّي الحقوق الى اهلها وينظر فيما يحتاج اليه من وصية فيمن يخلفه او امر يعهده

وهذا نبيّنا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدّم من ذنبه وما تاخر قد طلب التنصّل في

مرضه ممن كان له عليه مال او حقّ في بدن واقاد من نفسه وماله وامكن من القصاص

منه على ما ورد في حديث الفضل وحديث الوفاة واوصى بالثقلين بعده كتاب الله وعترته و

بالانصار عيبته ودعا الى كتب كتاب لئلا تضلّ امته بعده اما في النص على الخلافة الله

اعلم بمراده ثم رأى الامساك عنه افضل وخيرا وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين واوليائه

المتقين وهذا كلّه يحرمه غالبا الكفار لاملاء الله لهم ليزدادوا اثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون

قال تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصّمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون

ولذلك قال عليه الصلوة والسلام في رجل مات فجاءة سبحان الله كانه على غضب المحروم

من حرم وصيته وقال موت الفجاءة رحمة للمؤمنين واخذة اسف للكافر والفاجر وذلك

لان الموت ياتي المؤمن وهو غالبا مستعد له منتظر لحلوله فهان امره عليه كيفما جاء

وانتقل الى راحة من نصب الدنيا واذاها كما قال عليه الصلوة والسلام مستريح ومستراح
منه وتأتي الكافر والفاجر منيته على غير استعداد ولا اهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة بل تأتيهم
بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فكان الموت اشد شيء عليه وفراق
الدنيا افظع امر صدمه واكره شيء له والى هذا المعنى اشار عليه الصلوة والسلام بقوله
من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه

القسم الرابع

في تصرف وجوه الاحكام فيمن تنقصه او سبه عليه الصلوة والسلام قال القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه قد تقدم من الكتاب والسنة واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم
وما يتعين له من بر وتعظيم وتوقير واكرام وبحسب هذا حرم الله تعالى اذاه في كتابه واجمعت
الامة على قتل متنقصه عليه الصلوة والسلام من المسلمين وسابه قال الله تعالى ان
الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا وقال
والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول
الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده الاية وقال تعالى في تحريم التعريض به يا ايها الذين امنوا
لا تقولوا راعنا الاية وذلك ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد اي ارعنا سمعك واسمع
منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله المؤمنين عن التشبيه بهم وقطع الذريعة
بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه والاستهزاء به وقيل بل لما
فيها من مشاركة اللفظ لانها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة
الادب وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا
نرعك فنهوا عن ذلك اذ مضمنه انهم لا يرعونه الا برعايته لهم وهو عليه السلام واجب
الرعاية بكل حال وهذا هو عليه السلام قد نهى عن التكني بكنيته فقال تسموا باسمي ولا
تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن اذاه اذ كان النبي صلى الله عليه وسلم استجاب

لرجل ناداه يا أبا القاسم فقال له لم أعنك إنما دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكني بكنيته
لئلا يتأذى بإجابة دعوة غيره لمن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزئون ذريعة
الى أذاه والإزراء به فينادونه فاذا التفت قالوا إنما أردنا هذا لسواه تعنيتاً له واستخفافاً
بحقه على عادة المجان والمستهزئين فحمى عليه الصلوة والسلام حمى أذاه بكل وجه فحمل
محققو العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته وأجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس في
هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها وما ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب إن شاء الله
تعالى وأن ذلك على طريق توقيره وتعظيمه وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم
ولذلك لم ينه عن اسمه لأنه قد كان الله منع من ندائه به بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضاً وإنما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويا نبي الله و
قد يدعونه بكنيته أبا القاسم بعضهم في بعض الأحوال وقد روى أنس عنه عليه الصلوة
والسلام ما يدل على كراهة التسمي باسمه وتنزيهه عن ذلك إذا لم يوقر فقال تسمون أولاد
كم محمداً ثم تلعنونهم وروي أن عمر كتب الى أهل الكوفة لا يسمى أحد باسم النبي صلى الله
عليه وسلم حكاه أبو جعفر الطبري وحكى محمد بن سعد أنه نظر الى رجل اسمه محمد
ورجل يسبه ويقول فعل الله بك يا محمد وصنع فقال عمر لابن أخيه محمد بن زيد بن الخطاب
لا أرى محمداً عليه الصلوة والسلام يسب بك والله لا تدعى محمداً ما دمت حياً وسماه عبد الرحمن
وأراد أن يمنع لهذا أن يسمى أحد بأسماء الأنبياء إكراماً لهم بذلك وغير أسماءهم وقال لا تسموا
بأسماء الأنبياء ثم أمسك والصواب جواز هذا كله بعده عليه الصلوة والسلام بدليل إطباق
الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمداً وكناه بأبي القاسم وروي أن النبي صلى الله
عليه وسلم أذن في ذلك لعلي رضي الله عنه وقد أخبر عليه الصلوة والسلام أن ذلك اسم
المهدي وكنيته وقد سمى به النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن طلحة ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد بن
ثابت بن قيس وغير واحد وقال ما ضر أحدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة

وقد فصلنا الكلام في هذا القسم على بابين كما قدمنا

الباب الاول

في بيان ما هو في حقه عليه الصلوة والسلام سب او نقص من تعريض او نص قال القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه اعلم وفقنا الله واياك ان جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم او
عابه او الحق به نقصا في نفسه او دينه او نسبه او خصلة من خصاله او عرض به او شبهه
بشيء على طريق السب له او الازراء عليه او التصغير لشانه او الغض منه والعيب له فهو ساب
له والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ان شاء الله تعالى ولا نستثني فصلا من فصول هذا
الباب على هذا المقصد ولا نمتري فيه تصريحا كان او تلويحا وكذلك من لعنه او دعا عليه او
تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم او عبث في جهته العزيزة
بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور او عيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة
عليه او غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه وهذا كله اجماع من
العلماء وائمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم الى هلم جرا قال القاضي ابو بكر
بن المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك
مالك بن انس والليث واحمد واسحاق وهو مذهب الشافعي قال القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه وهو مقتضى قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه ولا تقبل توبته عند هؤلاء وبمثله
قال ابو حنيفة واصحابه والثوري واهل الكوفة والاوزاعي في المسلم لكنهم قالوا هي ردة
وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك وحكى الطبري مثله عن ابي حنيفة واصحابه فيمن تنقصه
صلى الله عليه وسلم او برئ منه او كذبه وقال سحنون فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا
وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله حد او كفر كما سنبينه في الباب الثاني ان شاء
الله تعالى ولا نعلم خلافا في استباحة دمه بين علماء الامصار وسلف الامة وقد ذكر غير
واحد الاجماع على قتله وتكفيره واشار بعض الظاهرية وهو ابو محمد علي بن احمد الفارسي

الى الخلاف في تكفير المستخف به والمعروف ما قدمناه قال محمد بن سحنون اجمع العلماء ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله له و حكمه عند الامة القتل ومن شك في كفره وعذابه فقد كفر واحتج ابراهيم بن حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة لقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم وقال ابو سليمان الخطابي لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما وقال ابن القاسم عن مالك في كتاب ابن سحنون والمبسوط والعتبية وحكاه مطرف عن مالك في كتاب ابن حبيب من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب قال ابن القاسم في العتبية من سبه او شتمه او عابه او تنقصه فانه يقتل و حكمه عند الامة القتل كالزنديق وقد فرض الله توقيره وبره وفي المبسوط عن عثمان ابن كنانة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب حيا ولم يستتب والامام مخير في صلبه حيا او قتله ومن رواية ابي المصعب وابن ابي اويس سمعنا مالكا يقول من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا ولا يستتاب وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وقال اصبغ يقتل على كل حال اسر ذلك او اظهره ولا يستتاب لان توبته لا تعرف وقال عبد الله بن عبد الحكم من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبري مثله عن اشهب عن مالك وروى ابن وهب عن مالك من قال ان رداء النبي صلى الله عليه وسلم ويروى زر النبي صلى الله عليه وسلم وسخ اراد به عيبه قتل وقال بعض علمائنا اجمع العلماء على ان من دعا على نبي من الانبياء بالويل او بشيء من المكروه فانه يقتل بلا استتابة وافتى ابو الحسن القابسي فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم الجمال يتيم ابي طالب بالقتل وافتى ابو محمد بن ابي زيد بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم

إذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال هم تريدون تعرفون صفته هي صفة هذا المار في
خلقه ولحيته قال لا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس يخرج من قلب سليم الايمان و
قال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اسود يقتل
وقال في رجل قيل له لا وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فعل الله برسول الله كذا
وكذا وذكر كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال له اشد من كلامه الاول ثم قال
انما اردت برسول الله العقرب قال ابن ابي سليمان للذي سأله اشهد عليه وانا شريكك
يريد في قتله وثواب ذلك قال حبيب بن الربيع لان ادعاء التاويل في لفظ صراح لا يقبل لانه
امتهان وهو غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقر له فوجبت اباحة دمه و
افتى ابو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل ادّ واشك الى النبي صلى الله
عليه وسلم وقال ان سألت او جهلت فقد جهل وسأل النبي صلى الله عليه وسلم بالقتل و
افتى فقهاء الاندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد عليه به من استخفافه
بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته اياه اثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة وزعمه
ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها الى اشباه لهذا وافتى فقهاء القيروان
واصحاب سحنون بقتل ابراهيم الفزاري وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم وكان ممن
يحضر مجلس القاضي ابي العباس بن طالب للمناظرة فرفعت عليه امور منكرة من هذا
الباب في الاستهزاء بالله وانبيائه ونبينا عليه الصلوة والسلام فاحضر له القاضي يحيى
بن عمر وغيره من الفقهاء وامر بقتله وصلبه فطعن بالسكين وصلب منكسا ثم انزل و
احرق بالنار وحكى بعض المؤرخين انه لما رفعت خشبته وزالت عنها الايدي استدارت
وحولته عن القبلة فكان ذلك اية للجميع وكبر الناس وجاء كلب فولغ في دمه فقال يحيى
بن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر حديثا عنه عليه الصلوة والسلام انه قال
لا يلغ الكلب في دم مسلم وقال القاضي ابو عبد الله بن المرابط من قال ان النبي صلى الله

عليه وسلم هم نبيتنا فان تاب والا قتل لانه تنقيص له اذ لا يجوز ذلك عليه فى خاصته
اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته وقال حبيب بن ربيع القروى مذهب مالك واصحابه
ان من قال فيه عليه الصلوة والسلام ما فيه نقص قتل دون استتابة وقال ابن عتاب الكتاب
والسنة موجبان ان من قصد النبى صلى الله عليه وسلم باذى او نقص معرضا او مصرحا
وان قل فقتله واجب فهذا الباب كله مما عده العلماء سبا او نقصا يجب قتل قائله لم يختلف
فى ذلك متقدمهم ولا متاخرهم وان اختلفوا فى حكم قتله على ما اشرنا اليه ونبينه بعد
ان شاء الله تعالى وكذلك اقول حكم من غمصه او عيره برعاية الغنم او السهو والنسيان
او السحر او ما اصابه من جرح او هزيمة لبعض جيوشه او اذى من عدوه او شدة من زمنه
او بالميل الى نسائه فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء
فى ذلك ويأتى ما يدل عليه ان شاء الله تعالى **فصل** فى الحجة فى ايجاب قتل من سبه او
عابه عليه الصلوة والسلام فمن القرآن لعنة الله لمؤذيه فى الدنيا والآخرة وقرانه
تعالى اذاه باذاه ولا خلاف فى قتل من سب الله وان اللعن انما يستوجبه من هو كافر
وحكم الكافر القتل فقال ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله الاية وقال فى قاتل
المؤمن مثل ذلك فمن لعنته فى الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا
وقتلوا تقتيلا وقال فى المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزى فى الدنيا الاية وقد يقع
القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله اى لعنهم الله ولانه فرق
بين اذاهما واذى المؤمنين ما دون القتل من الضرب والنكال فكان حكم مؤذى الله و
نبيه اشد من ذلك وهو القتل وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم الاية فسلب اسم الايمان عمن وجد فى صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له ومن تنقصه
فقد ناقض هذا وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى
الى قوله ان تحبط اعمالكم ولا يحبط العمل الا الكفر والكافر يقتل وقال تعالى واذا جاؤك

حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللّٰهُ ثم قال حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا الآية وقال تعالى وَمِنْهُمُ الَّذِينَ
يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ثم قال وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّٰهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
وقال تعالى وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ الى قوله قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ
قال اهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله واما الاجماع فقد ذكرناه واما الآثار فحدثنا
الشيخ ابو عبد الله احمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ ابي ذر الهروي اجازة قال نا ابو الحسن
الدارقطني وابو عمر بن حيوة اخبرنا محمد بن نوح اخبرنا عبد العزيز بن محمد بن الحسن
بن زبالة اخبرنا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى عن ابيه عن جده عن محمد
بن علي بن الحسين عن ابيه عن الحسين بن علي عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابي فاضربوه وفي الحديث الصحيح امر
النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف وقوله من لكعب بن الاشرف فانه
يؤذي الله ورسوله ووجه اليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره من المشركين
وعلل باذاه فدل ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى وكذلك قتل ابا رافع قال البراء
وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكذلك امره يوم الفتح
بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه عليه الصلوة والسلام وفي حديث
آخر ان رجلا كان يسبه عليه الصلوة والسلام فقال من يكفيني عدوي فقال خالد انا فبعثه
النبي صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك امر بقتل جماعة ممن كان يؤذيه من الكفار
ويسبه كالنضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح
وبعده فقتلوا الا من بادر باسلامه قبل القدرة عليه وروى البزار عن ابن عباس
ان عقبة بن ابي معيط نادى يا معشر قريش ما لي اقتل من بينكم صبرا فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر
عبد الرزاق ان النبي صلى الله عليه وسلم سبه رجل فقال من يكفيني عدوي فقال

الزبير أنا فبادره فقتله الزبير وروى أيضاً أن امرأة كانت تسبه عليه الصلوة والسلام فقال
من يكفيني عدوتي فخرج إليها خالد بن الوليد فقتلها وروي أن رجلاً كذب على النبي صلى الله
عليه وسلم فبعث علياً والزبير ليقتلاه وروى ابن قانع أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله سمعت أبي يقول فيك قولاً قبيحاً فقتلته فلم يشق ذلك على النبي
صلى الله عليه وسلم وبلغ المهاجر بن أبي أمية أمير اليمن لأبي بكر رضي الله عنه أن امرأة
هنالك في الردة غنت بسب النبي صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ ذلك
أبا بكر فقال له أبو بكر لولا ما فعلت لأمرتك بقتلها لأن حد الأنبياء ليس يشبه الحدود
وعن ابن عباس هجت امرأة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها فقال رجل
من قومها أنا يا رسول الله فنهض فقتلها فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال
لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عباس أن أعمى كانت له أم ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم
فيزجرها فلا تنزجر فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه
فقتلها وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فأهدر دمها وفي حديث أبي برزة الأسلمي
كنت يوماً جالساً عند أبي بكر فغضب على رجل من المسلمين وحكى القاضي إسمعيل وغير واحد
من الأئمة في هذا الحديث أنه سب أبا بكر ورواه النسائي أتيت أبا بكر وقد أغلظ لرجل فرد عليه
قال فقلت يا خليفة رسول الله دعني أضرب عنقه فقال اجلس فليس ذلك لأحد إلا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم قال القاضي أبو محمد بن نصر ولم يخالف عليه أحد فاستدل الأئمة
بهذا الحديث على قتل من أغضب النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما أغضبه أو آذاه أو
سبه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز إلى عامله بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل
سب عمر فكتب إليه عمر إنه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب أحد من الناس إلا رجلاً سب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه وسأل الرشيد مالكاً في رجل شتم النبي صلى الله
عليه وسلم وذكر له أن فقهاء العراق أفتوه بجلده فغضب مالك وقال يا أمير المؤمنين

ما بقاء الامة بعد شتم نبيها من شتم الانبياء قتل ومن سب اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم جلد قال القاضي ابو الفضل كذا وقع في هذه الحكاية رواها غير واحد من اصحاب
مناقب مالك ومؤلفي اخباره وغيرهم ولا ادري من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين
افتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين بقتله ولعلهم ممن لم يشتهر بعلم
او من لا يوثق بفتواه او يميل به هواه او يكون ما قاله يحمل على غير السب فيكون الخلاف
هل هو سب او غير سب او يكون رجع وتاب عن سبه فلم يقله لمالك على اصله والا فالاجماع
على قتل من سبه كما قدمناه ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار ان من سبه او تنقصه
عليه الصلاة والسلام فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سوء طويته وكفره ولهذا ما
حكم له كثير من العلماء بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك والاوزاعي وقول الثوري
وابي حنيفة والكوفيين والقول الآخر انه دليل على الكفر فيقتل حدا وان لم يحكم له
بالكفر الا ان يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا كافر وقوله اما صريح
كفر كالتكذيب ونحوه او من كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه بها وترك توبته عنها
دليل استحلاله لذلك وهو كفر ايضا فهذا كافر بلا خلاف قال الله تعالى في مثله يحلفون
بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر الآية قال اهل التفسير هي قولهم ان كان ما يقول محمد
حقا لنحن شر من الحمير وقيل بل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا قول القائل سمن
كلبك يأكلك ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقد قيل ان قائل
مثل هذا ان كان مستترا به ان حكمه حكم الزنديق يقتل ولانه قد غير دينه وقد قال
عليه الصلاة والسلام من غير دينه فاضربوا عنقه ولان لحكم النبي صلى الله عليه وسلم
في الحرمة مزية على امته وساب الحر من امته يحد فكانت العقوبة لمن سبه عليه الصلاة
والسلام القتل لعظيم قدره وشفوف منزلته على غيره فصل فان قلت فلم لم يقتل
النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له السام عليكم وهذا دعاء عليه ولا قتل

الاشتر الذي قال له ان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله وقد تاذى النبي صلى الله عليه وسلم
من ذلك وقال قد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر ولا قتل المنافقين الذين كانوا
يؤذونه في اكثر الاحيان فاعلم وفقنا الله واياك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول
الاسلام يستألف عليه الناس ويميل قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان ويزينه في قلوبهم و
يداريهم ويقول لاصحابه انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين ويقول يسروا ولا تعسروا و
سكنوا ولا تنفروا ويقول لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وكان عليه الصلوة
والسلام يداري الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغضي عنهم ويحتمل من اذاهم و
يصبر على جفائهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان يرفقهم بالعطاء والاحسان
وبذلك امره الله فقال تعالى ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم
واصفح الاية وقال ادفع بالتي هي احسن الاية وذلك لحاجة الناس للتألف اول الاسلام وجمع
الكلمة عليه فلما استقر واظهره الله على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر امره كفعله
بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن امكنه قتله غيلة من يهود وغيرهم او غلبة
ممن لم ينظمه قبل سلك صحبته والانخراط في جملة مظهري الايمان به ممن كان يؤذيه كابن
الاشرف وابي رافع والنضر وعقبة وكذلك هدر صلى الله عليه وسلم دم جماعة سواهم
ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن اذاه حتى القوا بايديهم ولقوه مسلمين
وبواطن المنافقين مستترة وحكمه عليه الصلوة والسلام على الظاهر واكثر تلك
الكلمات انما كان يقولها القائل منهم خفية مع امثاله ويحلفون عليها اذ نميت وينكرونها
ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكان مع هذا في فيئتهم ورجوعهم
الى الاسلام وتوبتهم فيصبر عليه الصلوة والسلام على هناتهم وجفوتهم كما صبر اولوا العزم
من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا واخلص سرا كما اظهر جهرا ونفع الله
بعد بكثير منهم وقام منهم للدين وزراء واعوان وحماة وانصار كما جاءت به الاخبار

وقد اجاب بعض ائمتنا رحمهم الله عن هذا السؤال وقال لعلّه لم يثبت عنده عليه الصلوة
والسّلام من اقوالهم ما رفع وانما نقله الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة فى هذا الباب من
صبيّ وعبد وامراة والدماء لا تستباح الا بعدلين وعلى هذا يحمل امر اليهود فى السلام
وانّهم لووا به السنتهم فلم يبيّنوه الا ترى كيف نبّهت عليه عائشة رضى الله عنها ولو
كان صرّح بذلك لم تنفرد بعلمه ولهذا نبّه عليه الصلوة والسّلام اصحابه على فعلهم
وقلة صدقهم فى سلامهم وخيانتهم فى ذلك ليًّا بالسنتهم وطعنًا فى الدين فقال انّ
اليهود اذا سلّم احدهم فانما يقول السّام عليكم فقولوا عليكم وكذلك قال
بعض اصحابنا البغداديين انّ النبى صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم
ولم يأت انّه قامت بيّنة على نفاقهم فلذلك تركهم صلى الله عليه وسلم وايضًا فانّ الامر كان سرًّا
وباطنًا وظاهرهم الاسلام والايمان وان كان من اهل الذمة بالعهد والجوار والناس
الناس قريب عهدهم بالاسلام لم يتميّز بعد الخبيث من الطيّب وقد شاع عن المذكورين
فى العرب كون من يتّهم بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيّد المرسلين وانصار
الدين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبىّ صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر منهم
وعلمه بما اسرّوا فى انفسهم لوجد المنفّر ما يقول ولارتاب الشارد وارجف المعاند
وارتاع من صحبة النبى صلى الله عليه وسلم والدخول فى الاسلام غير واحد ولزعم
الزاعم وظنّ العدو الظالم انّ القتل انما كان للعداوة وطلب اخذ الترة وقد رأيت
معنى ما حرّرته منسوبًا الى مالك بن انس رحمه الله ولهذا قال عليه الصلوة والسّلام
لا يتحدّث الناس انّ محمّدًا يقتل اصحابه وقال اولئك الذين نهانى الله عن قتلهم وهذا
بخلاف اجراء الاحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل وشبهه لظهورها واستواء
الناس فى علمها وقد قال محمد بن الموّاز لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبى صلى الله عليه
وسلم وقاله القاضى ابو الحسن بن القصّار وقال قتادة فى تفسير قوله تعالى لئن لم ينته

المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك
فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله الآية قال معناه اذا اظهروا
النفاق وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد بن اسلم ان قوله تعالى يا ايها النبي
جاهد الكفار والمنافقين نسختها ما كان قبلها وقال بعض مشائخنا لعل القائل هذه
قسمة ما اريد بها وجه الله تعالى وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم الطعن عليه
والتهمة له وانما راها من وجه الغلط في الرأي وامور الدنيا والاجتهاد في مصالح اهلها
فلم ير ذلك سبا ورأى انه من الاذى الذي له العفو عنه والصبر عليه فلذلك لم يعاقبه
وكذلك يقال في اليهود اذا قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا دعاء الا بما لا بد
منه من الموت الذي لا بد من لحاقه جميع البشر وقيل بل المراد تسأمون دينكم والسأم و
السآمة الملال وهذا دعاء على سآمة الدين ليس بصريح سب ولهذا ترجم البخاري على هذا
الحديث باب اذا عرض الذمي وغيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم قال بعض علمائنا
وليس هذا بتعريض بالسب انما هو تعريض بالاذى قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه
قد قدمنا ان الاذى والسب في حقه صلى الله عليه وسلم سواء وقال القاضي ابو محمد بن
نصر رضي الله عنه مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر في الحديث هل
كان هذا اليهودي من اهل العهد والذمة او الحربي ولا يترك موجب الادلة للامر المحتمل
والاولى في ذلك كله والاظهر من هذه الوجوه مقصد الاستيلاف والمداراة على الدين
لعلهم يؤمنون ولذلك ترجم البخاري على حديث القسمة والخوارج باب من ترك قتال
الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه عن مالك وقررناه قبل وقد صبر
عليه الصلوة والسلام لهم على سحره وسمه وهو اعظم من سبه الى ان نصره الله عليهم
واذن له في قتل من حينه منهم وانزلهم من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على
من شاء منهم الجلاء واخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين و

كما شفعهم بالسب فقال يا إخوة القردة والخنازير وحكم فيهم سيوف المسلمين وأجلاهم
من جوارهم وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم ليكون كلمة الله هي العليا وكلمة
الذين كفروا السفلى فإن قلت فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة أنه عليه الصلوة
والسلام ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله فاعلم
أن هذا لا يقتضي أنه لم ينتقم ممن سبه أو آذاه أو كذبه فإن هذه من حرمات الله التي
انتقم منها وإنما يكون ما لا ينتقم له فيما تعلق بسوء أدب أو معاملة من القول
والفعل في النفس والمال مما لم يقصد فاعله به أذاه لكن مما جبلت عليه الأعراب من
الجفاء والجهل أو جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الأعرابي رداءه حتى أثر في عنقه و
كرفع صوت الآخر عنده وكجحد الأعرابي شراءه منه فرسه التي شهد فيها خزيمة وكما كان
من تظاهر زوجيه عليه وأشباه هذا مما يحسن الصفح عنه أو يكون هذا مما أذاه كافر
رجاء بعد ذلك إسلامه كعفوه عن اليهودي الذي سحره وعن الأعرابي الذي أراد قتله
وعن اليهودية التي سمته وقد قيل قتلها ومثل هذا مما بلغه من أذى أهل الكتاب والمنافقين
وصفح عنهم رجاء استئلافهم واستئلاف غيرهم بهم كما قررناه قبل وبالله التوفيق

فصل قال الفقيه القاضي أبو الفضل رضي الله عنه تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه
عليه الصلوة والسلام والإزراء به وغمصه بأي وجه كان من ممكن أو محال فهذا
وجه بين لا إشكال فيه الوجه الثاني لاحق به في البيان والجلاء وهو أن يكون القائل
لما قال في جهته صلى الله عليه وسلم غير قاصد للسب والإزراء ولا معتقد له ولكنه
تكلم في جهته صلى الله عليه وسلم بكلمة الكفر من لعنه أو سبه أو تكذيبه أو إضافة
ما لا يجوز عليه أو نفي ما يجب له مما هو في حقه عليه الصلوة والسلام نقيصة مثل أن
ينسب إليه إتيان كبيرة أو مداهنة في تبليغ الرسالة أو في حكم بين الناس أو يغض من
مرتبته أو شرف نسبه أو وفور علمه أو زهده أو يكذب بما اشتهر من أمور أخبر بها

عليه الصلوة والسلام وتواتر الخبر بها عنه عن قصد لرد خبره او يأتي بسفه من القول او
قبيح من الكلام ونوع من السب في حقه وان ظهر بدليل حاله انه لم يتعمد ذمه ولم يقصد سبه
اما لجهالة حملته على ما قاله او لضجر او سكر اضطره اليه او قلة مراقبة وضبط للسانه او
تهور في كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الاول القتل دون تلعثم اذ لا يعذر احد
في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرناه اذا كان عقله في فطرته سليما الا
من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وبهذا افتى الاندلسيون على ابن حاتم في نفيه الزهد عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قدمناه وقال محمد بن سحنون في المأسور يسب النبي صلى الله
عليه وسلم في ايدي العدو يقتل الا ان يعلم تنصره او اكراهه وعن محمد بن ابي زيد لا يعذر احد
بدعوى زلل اللسان في مثل هذا وافتى ابو الحسن القابسي فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم
في سكره يقتل لانه يظن به انه يعتقد هذا ويفعله في صحوه وايضا فانه حد لا يسقطه السكر
كالقذف والقتل وسائر الحدود لانه ادخله على نفسه لان من شرب الخمر على علم من زوال
عقله بها واتيان ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا الزمناه الطلاق
والعتاق والقصاص والحدود ولا يعترض على هذا بحديث حمزة وقوله للنبي صلى الله
عليه وسلم وهل انتم الا عبيد لابي قال فعرف النبي صلى الله عليه وسلم انه ثمل فانصرف
لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن في جناياتها اثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا
كما يحدث عن النوم وشرب الدواء المأمون **فصل** الوجه الثالث ان يقصد الى تكذيبه
فيما قاله او اتى به او ينفي نبوته او رسالته او وجوده او يكفر به انتقل بقوله ذلك الى دين
اخر غير ملته ام لا فهذا كافر باجماع يجب قتله ثم ينظر فان كان مصرحا بذلك كان حكمه
اشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته وعلى القول الاخر لا تسقط القتل عنه توبته
لحق النبي صلى الله عليه وسلم ان كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب او غيره وان
كان متسترا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا تسقط قتله التوبة عندنا كما سنبينه

إن شاء الله تعالى قال ابو حنيفة واصحابه من برئ من محمد او كذب به فهو مرتد حلال الدم الا ان يرجع
وقال ابن القاسم في المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قرآن وانما
هو شيء تقوله يقتل قال ومن كفر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانكره من المسلمين فهو
بمنزلة المرتد وكذلك من اعلن بتكذيبه فهو كالمرتد يستتاب وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم انه
يوحى اليه وقاله سحنون وقال ابن القاسم دعا الى ذلك سرا او جهرا قال اصبغ وهو كالمرتد لانه
قد كفر بكتاب الله مع الفرية على الله وقال اشهب في يهودي تنبأ او زعم انه ارسل الى
الناس او قال ان بعد نبيكم نبي انه يستتاب ان كان معلنا بذلك فان تاب والا قتل وذلك
لانه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي مفتر على الله في دعواه عليه الرسالة
والنبوة وقال محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله
فهو كافر جاحد وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم كان حكمه عند الامة القتل وقال احمد
بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اسود قتل لم يكن عليه
الصلوة والسلام باسود وقال نحوه ابو عثمان الحداد قال لو قال انه مات قبل ان يلتحي
او انه كان بتاهرت ولم يكن بتهامة قتل لان هذا نفي قال حبيب بن ربيع تبديل صفته ومواضعه
كفر والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون استتابة

فصل الوجه الرابع ان يأتي من الكلام بمجمل ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على
النبي صلى الله عليه وسلم او غيره او يتردد في المراد به من سلامته من المكروه او شره فهنا
متردد النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين ليهلك
من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله عليه وسلم
وحمى حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم ودرأ الحد بالشبهة لاحتمال القول
وقتل المؤمن من الموبقات وقد اختلف ائمتنا في رجل اغضبه غريمه فقال له صل على
النبي صلى الله عليه وسلم فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو

كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة الذين يصلون عليه قال لا اذا كان على
ما وصفت من الغضب لانه لم يكن مضمرا للشتم وقال ابو اسحاق البرقي واصبغ بن الفرج لا يقتل
لانه انما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون لانه لم يعذره بالغضب في شتم النبي صلى الله
عليه وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم تكن معه قرينة تدل على شتم النبي صلى الله
عليه وسلم او شتم الملائكة ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على ان مراده
الناس غير هؤلاء لاجل قول الآخر له صل على النبي فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه
الآن لاجل امر الآخر له بهذا عند غضبه هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه
وذهب الحارث بن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا الى القتل وتوقف ابو الحسن القابسي
في قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود والتضييق
عليه حتى يستفهم البينة عن جملة الفاظه وما يدل على مقصده وهل اراد اصحاب
الفنادق الآن فمعلوم انه ليس فيهم نبي مرسل فيكون امره اخف قال ولكن ظاهر لفظه
العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتأخرين وقد كان فيمن تقدم من الانبياء و
الرسل من اكتسب المال قال ودم المسلم لا يقدم عليه الا بامر بين وما ترد اليه التأويلات
لا بد من امعان النظر فيه هذا معنى كلامه وحكي عن ابي محمد بن ابي زيد رحمه الله فيمن قال
لعن الله العرب ولعن الله بني اسرائيل ولعن الله بني آدم وذكر انه لم يرد الانبياء وانما
اردت الظالمين منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان وكذلك افتى فيمن قال
لعن الله من حرم المسكر وقال لم اعلم من حرمه وفيمن لعن حديث لا يبع حاضر لباد ولعن ما
جاء به انه ان كان يعذر بالجهل وعدم معرفته بالسنن فعليه الادب الوجيع وذلك
ان هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله تعالى ولا سب رسوله وانما لعن من حرمه من الناس
على نحو فتوى سحنون واصحابه في المسئلة المتقدمة ومثل هذا ما يجري في كلام سفهاء
الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن الف خنزير ويا ابن مائة كلب وشبهه من هجر القول

ولاشك انه يدخل في مثل هذا العدد من ابائه واجداده جماعة من الانبياء ولعل بعض هذا
العدد منقطع الى ادم عليه السلام فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة الادب
فيه ولو علم انه قصد سب من في ابائه من الانبياء على علم لقتل وقد يضيق القول في مثل هذا
لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال اردت الظالمين منهم او قال لرجل من ذرية النبي
صلى الله عليه وسلم قولا قبيحا في ابائه او من نسله او ولده على علم منه انه من ذرية النبي
صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة في المسألتين تقتضي تخصيص بعض ابائه واخراج النبي
ممن سبه منهم وقد رايت لابي موسى ابن مناس فيمن قال لرجل لعنك الله الى ادم انه ان
ثبت عليه ذلك قتل قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وقد كان اختلف شيوخنا رحمهم الله تعالى
فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء ثم قال له تتهمني فقال له الاخر الانبياء يتهمون فكيف انت
فكان شيخنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ وكان القاضي ابو محمد
بن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده ان يكون خبرا عمن اتهمهم من
الكفار وافتى فيها قاضي قرطبة ابو عبد الله ابن الحاج بنحو من هذا وشدد القاضي ابو محمد تصفيده
واطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به عليه اذ دخل في شهادة بعض من شهد
عليه وهن ثم اطلقه وشاهدت شيخنا القاضي ابا عبد الله محمد بن عيسى ايام قضائه اتي
برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد الى كلب فضربه برجله وقال له قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون
قال ذلك وشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى السجن وتقصى عن حاله وهل يصحب من
يستراب بدينه فلما لم يجد عليه ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط واطلقه فصل
الوجه الخامس ان لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر بعض اوصافه
او يستشهد ببعض احواله عليه الصلوة والسلام الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب
المثل والحجة لنفسه او لغيره او على التشبه به او عند هضيمة نالته او غضاضة لحقته
ليس على سبيل التاسي وطريق التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره او سبيل

التمثيل وعدم التوقير لنبيه صلى الله عليه وسلم او قصد الهزل والتندير بقوله كقول القائل
إن قيل في السوء فقد قيل في النبي صلى الله عليه وسلم وان كذبت فقد كذب الانبياء او
ان اذنبت فقد اذنبوا او انا اسلم من السنة الناس ولم يسلم منهم انبياء الله تعالى ورسله
او قد صبرت كما صبر اولوا العزم من الرسل او كصبر ايوب او قد صبر نبي الله من
عداه وحلم على اكثر مما صبرت وكقول المتنبي ~ انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود
ونحوه من اشعار المتعجرفين في القول المتساهلين في الكلام كقول المعري ~ كنت
موسى وافته بنت شعيب ❊ غير ان ليس فيكما من فقير على ان اخر البيت شديد وداخل
في باب الازدراء والتحقير بالنبي وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله ~ لولا انقطاع
الوحي بعد محمد ❊ قلنا محمد من ابيه بديل هو مثله في الفضل الا انه ❊ لم يأته برسالة جبريل
فصدر البيت الثاني من هذا الفصل شديد لتشبيه غير النبي في فضله بالنبي صلى الله
عليه وسلم والعجز محتمل لوجهين احدهما ان هذه الفضيلة نقصت الممدوح والاخر
استغناؤه عنها وهذه اشد ونحو منه قول الاخر ~ واذا ما رفعت راياته صفقت
بين جناحي جبرئيل وكقول الاخر من اهل العصر ~ فر من الخلد واستجار بنا ❊ فصبر الله
قلب رضوان وكقول حسان المصيصي من شعراء الاندلس في محمد بن عباد المعروف
بالمعتمد وفي وزيره ابي بكر بن زيدون ~ كان ابا بكر ابو بكر الرضى وحسان حسان وانت محمد
الى امثال هذه وانما اكثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لنعرف امثلتها وتساهل كثير
من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح هذا العبء وقلة علمهم بعظيم ما فيه
من الوزر وكلامهم فيه بما ليس لهم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لا سيما
الشعراء واشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا ابن هانئ الاندلسي وابن سليمان المعري
بل قد خرج كثير من كلامهما الى حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد
اجبنا عنه وغرضنا الان الكلام في هذا الفصل الذي سقنا امثلته فان هذه كلها

وإن لم يتضمن سبًّا ولا إضافة إلى الملائكة والأنبياء عليهم الصلوة والسلام نقصًا لست
أعني عجزي بيتي المعري ولا قصد قائلها إزراءً وغضًّا وما وقّر النبوة ولا عظّم الرسالة و
لا عزّر حرمة الاصطفاء ولا عزّز حظوة الكرامة حتى شبّه من شبّه في كرامة نالها أو معرّة قصد
الانتفاء منها أو ضرب مثلًا لتطييب مجلسه أو إغلاءً في وصفٍ لتحسين كلامه بمن عظّم الله
خطره وشرّف قدره وألزم توقيره وبرّه ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده
فحقّ هذا إن دُرئ عنه القتل الأدبُ والسجنُ وقوّة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى
قبح ما نطق به ومألوف عادته لمثله أو ندوره أو قرينة كلامه أو ندمه على ما سبق منه
ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به وقد أنكر الرشيد على أبي نواس قوله
فإن يك باقي سحر فرعون فيكم ، فإنّ عصا موسى بكفّ خصيب قال له يا ابن اللخناء
أنت المستهزئ بعصا موسى وأمر بإخراجه من عسكره من ليلته وذكر القتيبي أنّ مما
أُخذ عليه أيضًا وكفّر به أو قارب قوله في محمد الأمين وتشبيهه إياه بالنبي صلى الله عليه
وسلم حيث قال تنازع الأحمدان الشبه فاشتبها ، خلقًا وخُلقًا كما قُدّ الشراكان
وقد أنكروا عليه أيضًا قوله كيف لا يدنيك من أمل ، من رسول الله من نفره لأن
حقّ الرسول وموجب تعظيمه وإنافة منزلته أن يضاف إليه ولا يضاف فالحكم في أمثال هذا
ما بسطناه في طريق الفتيا وعلى هذا المنهج جاءت فتيا إمام مذهبنا مالك بن أنس و
أصحابه في النوادر من رواية ابن أبي مريم عنه في رجل عيّر رجلًا بالفقر فقال له تعيّرني بالفقر
وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم فقال مالك قد عرّض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه أرى أن يؤدّب
قال ولا ينبغي لأهل الذنوب إذا عوتبوا أن يقولوا قد أخطأت الأنبياء قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز لرجل انظر لنا
كاتبًا يكون أبوه عربيًّا فقال كاتب له قد كان أبو النبي صلى الله عليه وسلم كافرًا فقال
جعلت هذا مثلًا فعزله وقال لا تكتب لي أبدًا وقد كره سحنون أن يُصلّى على النبي صلى الله
عليه وسلم عند التعجب إلا على طريق الثواب والاحتساب تعظيمًا وتوقيرًا له كما أمرنا الله تعالى

وسئل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح كأنه وجه نكير ولرجل عبوس كأنه وجه مالك الغضبان فقال أي شيء أراد بهذا ونكير أحد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي أراد أروع دخل عليه حين رآه من وجهه أم عاف النظر إليه لدمامة خلقه فإن كان هذا فهو شديد لأنه جرى مجرى التحقير والتهوين فهو أشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب للملك وإنما السب واقع على المخاطب وفي الأدب بالسوط والسجن نكال للسفهاء قال وأما ذاكر مالك خازن النار فقد جفا الذي ذكره عندما أنكر من عبوس الآخر إلا أن يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته فيشبهه القائل على طريق الذم لهذا في فعله ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك المطيع لربه في فعله فيقول كأنه لله يغضب غضب مالك فيكون أخف وما كان ينبغي له التعرض لمثل هذا ولو كان أثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك كان أشد ويعاقب المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل وقال أبو الحسن أيضا في شاب معروف بالخير قال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت فإنك أمي فقال له الشاب أليس كان النبي أميا فشنع عليه مقاله وكفره الناس وأشفق الشاب مما قال وأظهر الندم عليه فقال أبو الحسن أما إطلاق الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ في استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وكون النبي أميا آية له وكون هذا أميا نقيصة فيه وجهالة ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه إذا استغفر وتاب واعترف ولجأ إلى الله تعالى فيترك لأن قوله لا ينتهي إلى حد القتل وما طريقه الأدب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت أيضا مسألة استفتى فيها بعض قضاة الأندلس شيخنا القاضي أبا محمد بن منصور رحمه الله في رجل تنقصه آخر بشيء فقال له إنما تريد نقصي بقولك وأنا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي فأفتاه بإطالة سجنه وإيجاع أدبه إذ لم يقصد السب وكان بعض فقهاء الأندلس أفتى بقتله

فصل

الوجه السادس أن يقول القائل ذلك حاكيا عن غيره وآثرا له عن سواه فهذا ينظر في صورة حكايته

وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف ذلك على اربعة اوجه الوجوب والندب والكراهة
والتحريم فان كان اخبر به على وجه الشهادة والتعريف بقائله والانكار والاعلام بقوله والتنفير منه
والتجريح له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله وكذلك ان حكاه في كتاب او في مجلس
على طريق الرد له والنقض على قائله والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب
بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه فان كان القائل لذلك ممن تصدى لان يؤخذ عنه
العلم او رواية الحديث او يقطع بحكمه او بشهادته او فتياه في الحقوق وجب على سامعه
الاشادة بما سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما قاله ووجب على من بلغه
ذلك من ائمة المسلمين انكاره وبيان كفره وفساد قوله لقطع ضرره عن المسلمين و
قياما بحق سيد المرسلين وكذلك ان كان ممن يعظ العامة او يؤدب الصبيان فان من
هذه سريرته لا يؤمن على القاء ذلك في قلوبهم فيتاكد في هؤلاء الايجاب لحق النبي
صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته وان لم يكن القائل بهذه السبيل فالقيام بحق النبي
صلى الله عليه وسلم واجب وحماية عرضه متعين ونصرته عن الاذى حيا وميتا مستحق
على كل مؤمن لكنه اذا قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت به القضية وبان به الامر
سقط عن الباقي الفرض وبقي الاستحباب وتكثير الشهادة عليه وعضد التحذير منه
وقد اجمع السلف على بيان حال المتهم في الحديث فكيف بمثل هذا وقد سئل ابو محمد
بن ابي زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله تعالى ايسعه ان لا يؤدي شهادته
قال ان رجا نفاذ الحكم بشهادته فليشهد وكذلك ان علم ان الحاكم لا يرى القتل بما
شهد به ويرى الاستتابة والادب فليشهد ويلزمه ذلك واما الاباحة لحكاية
قوله لغير هذين المقصدين فلا ارى لها مدخلا في الباب فليس التفكه بعرض النبي
صلى الله عليه وسلم والتمضمض بسوء ذكره لاحد لا ذاكرا ولا اثرا لغير غرض شرعي
بمباح واما للاغراض المتقدمة فمتردد بين الايجاب والاستحباب وقد حكى الله تعالى

مقالات المفترين عليه وعلى رسله في كتابه على وجه الإنكار لقولهم والتحذير من كفرهم و
الوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله علينا في محكم كتابه وكذلك وقع من امثاله في احاديث
النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة على الوجوه المتقدمة واجمع السلف والخلف من ائمة
الهدى من المسلمين على حكايات مقالات الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوها
للناس وينقضوا شبهها عليهم وان كان ورد لاحمد بن حنبل انكار لبعض هذا على الحارث
بن اسد فقد صنع احمد مثله في رده على الجهمية والقائلين بالمخلوق وفي هذه الوجوه السائغة
الحكاية عنها واما ذكرها على غير هذا من حكاية سبه والازراء بمنصبه على وجه الحكايات
والاسمار والطرف واحاديث الناس ومقالاتهم في الغث والسمين ومضاحك المجان
ونوادر السخفاء والخوض في قيل وقال وما لا يعني فكل هذا ممنوع وبعضه اشد في المنع
والعقوبة من بعض فما كان من قائله الحاكي له على غير قصد او معرفة بمقدار ما حكاه
او لم تكن عادته او لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه استحسانه
واستصوابه زجر عن ذلك ونهي عن العودة اليه وان قوم ببعض الادب فهو مستوجب
له وان كان لفظه من البشاعة حيث هو كان الادب اشد وقد حكي ان رجلا سأل
مالكا عمن يقول القرآن مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال انما حكيته عن
غيري فقال مالك انما سمعناه منك وهذا من مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ
بدليل انه لم ينفذ قتله وان اتهم هذا الحاكي فيما حكاه انه اختلقه ونسبه الى غيره
او كانت تلك عادة له او ظهر استحسانه لذلك او كان مولعا بمثله والاستخفاف له
او التحفظ لمثله وطلبه او رواية اشعار هجوه عليه الصلوة والسلام وسبه فحكم هذا
حكم الساب نفسه يؤاخذ بقوله ولا ينفعه نسبته الى غيره فيبادر بقتله ويعجل الى الهاوية
امه وقد قال ابو عبيد القاسم بن سالم فيمن حفظ شطر بيت مما هجي به النبي صلى الله عليه
وسلم فهو كفر وقد ذكر بعض من الف في الاجماع اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به

النبي صلى الله عليه وسلم وقرائه وكتابته ونحوه متى وجد ونحوه ورحم الله اسلافنا المتقين
المتحرزين لدينهم فقد اسقطوا من احاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله وتركوا روايته
الا اشياء ذكروها يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الاول ليروا نقمة الله من قائلها
واخذه المفتري عليه بذنبه وهذا ابو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله قد تحرى فيما اضطر
الى الاستشهاد به من اهاجي اشعار العرب في كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء
لدينه وتحفظا من المشاركة في ذم احد بروايته او نشره فكيف بما يتطرق الى عرض سيد
المرسلين صلى الله عليه وسلم **فصل** الوجه السابع ان يذكر ما يجوز على النبي او يختلف
في جوازه عليه وما يطرأ من الامور البشرية ويمكن اضافتها اليه او يذكر ما امتحن به
وصبره في ذات الله تعالى على شدته من مقاساة اعدائه واذاهم له ومعرفة ابتداء حاله
وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من معاناة عيشته كل ذلك على طريق الرواية
ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة للانبياء وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن
هذه الفنون الستة اذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا ازراء ولا استخفاف لا في ظاهر
اللفظ ولا في مقصد اللافظ لكن يجب ان يكون الكلام فيه مع اهل العلم وفهماء طلبة
الدين ممن يفهم مقاصده ويحقق فوائده ويجنب ذلك من عساه لا يفقهه او يخشى
به فتنته فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت عليه من
تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وادراكهن وقد قال عليه الصلوة
والسلام مخبرا عن نفسه باستئجاره لرعاية الغنم في ابتداء حاله وقال ما من نبي الا
وقد رعى الغنم واخبرنا الله بذلك عن موسى عليه السلام وهذا لا غضاضة فيه
جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير بل كانت
عادة جميع العرب نعم للانبياء في ذلك حكمة بالغة وتدريج الله تعالى لهم الى كرامته
وتدريبهم برعايتها لسياسة اممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الازل

ومتقدم العلم وكذلك قد ذكر الله يتمه وعيلته على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر
الذاكر لهما على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتدائه والتعجب من منح الله قبله وعظيم منته عنده
ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته إذ أظهره الله بعد هذا على صناديد
العرب ومن ناواه من أشرافهم شيئاً فشيئاً ونمى أمره حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم
واستباحة ممالك كثير من الأمم غيرهم بإظهار الله تعالى له وتأييده بنصره وبالمؤمنين و
ألف بين قلوبهم وإمداده بالملائكة المسومين ولو كان ابن ملك أو ذا أشياع متقدمين لحسب
كثير من الجهال أن ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل حين سأل أبا
سفيان عنه هل في آبائه من ملك ثم قال ولو كان في آبائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك أبيه
وإذ اليتم من صفته وإحدى علاماته في الكتب المتقدمة وأخبار الأمم السالفة وكذا وقع ذكره
في كتاب أرمياء وبهذا وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب وبحيرا لأبي طالب وكذا إذا وصف بأنه
أمي كما وصفه الله تعالى به فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته إذ معجزته العظمى
من القرآن العظيم إنما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع ما منح صلى الله عليه وسلم
وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم الأول ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرأ ولم يكتب
ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك نقيصة إذ
المطلوب من الكتابة والقراءة المعرفة وإنما هي آلة لها وواسطة موصلة إليها غير مرادة
في نفسها فإذا حصلت الثمرة والمطلوب استغني عن الواسطة والسبب والأمية في غيره
نقيصة لأنها سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من باين أمره من أمر غيره وجعل
شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته فيما فيه هلاك من عداه هذا شق قلبه وإخراج حشوته
كان تمام حياته وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته
وفنائه وهلم جرا إلى سائر ما روي من أخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم
والمركب وتواضعه ومهنته نفسه في أموره وخدمته بيته زهداً ورغبة عن الدنيا وتسوية

بين يديه وحقرها وسرعة فناء أمورها وتقلب أحوالها كل هذا من فضائله ومآثره وشهرته كما ذكرناه فمن أورد شيئاً منها مورده وقصد بها مقصده كان حسناً ومن أورد ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك سوء قصده لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك ما ورد من أخباره وأخبار سائر الأنبياء عليهم الصلوة والسلام في الأحاديث مما في ظاهره إشكال يقتضي أموراً لا تليق بهم بحال ويحتاج إلى التأويل وتردد احتمال فلا يجب أن يتحدث منها إلا بالصحيح ولا يروى منها إلا المعلوم الثابت ورحم الله مالكاً فقد كره التحدث بمثل ذلك من الأحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى وقال ما يدعو الناس إلى التحدث بمثل هذا فقيل له إن ابن عجلان يحدث بها فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه رحمه الله على ترك الحديث بها وساعدوه على طيها فأكثرها ليس تحته عمل وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على الجملة أنهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم أوردها على قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه وإيجازه فلم تكن في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته الأمية فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب إلا نصها وصريحها ولا يتحقق إشاراتها إلى غرض الإيجاز ووحيها وتبليغها وتلويحها فتفرقوا في تأويلها أو حملها على ظاهرها شذر مذر فمنهم من آمن به ومنهم من كفر وأما ما لا يصح من هذه الأحاديث فواجب ألا يذكر منها شيء في حق الله ولا في حق أنبيائه ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها وترك الشغل بها إلا أن تذكر على وجه التعريف بأنها ضعيفة المعاني واهية الأسناد وقد أنكر الأشياخ على أبي بكر بن فورك تكلفه في مشكله الكلام على أحاديث ضعيفة موضوعة لا أصل لها أو منقولة عن أهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها إذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها إزالة اللبس بها واجتثاثها من أصلها وطرحها أكشف للبس وأشفى للنفس

فصل ومما يجب على المتكلم

فيما يجب على النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل
قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم في كلامه عند ذكره عليه الصلوة والسلام
وذكر تلك الاحوال الواجب من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا يهمله ويظهر عليه
علامات الادب عند ذكره فاذا ذكر ما قاساه من الشدائد اظهر عليه الاشفاق والارتماض
والغيظ على عدوه ومودة الفداء للنبي عليه الصلوة والسلام لو قدر عليه والنصرة
له لو امكنته واذا اخذ في ابواب العصمة والتكلم على مجاري اعماله واقواله عليه الصلوة
والسلام تحرى احسن اللفظ وادب العبارة ما امكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة
ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فاذا تكلم في الاقوال قال هل يجوز عليه الخلف
في القول والاخبار بخلاف ما وقع سهوا او غلطا او نحوه من العبارة ويجتنب لفظة الكذب
جملة واحدة فاذا تكلم على العلم قال هل يجوز عليه الا يعلم الا ما علم وهل يمكن الا يكون
عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى اليه ولا يقول يجهل لقبح اللفظ وبشاعته
واذا تكلم في الافعال قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الاوامر والنواهي ومواقعة
بعض الصغائر فهو ادب واولى من قوله هل يجوز ان يعصي او يذنب او يفعل كذا وكذا
من انواع المعاصي فهذا من حق توقيره عليه الصلوة والسلام وما يجب له من تعزير
واعظام صلى الله عليه وسلم وقد رايت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا فقبح منه ولم
استصوب عبارته فيه ووجدت بعض الجائرين قد قوله لاجل ترك تحفظه في العبارة
ما لم يقله وشنع عليه بما يأباه ويكفر قائله واذا كان مثل هذا بين الناس مستعملا
في ادابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله في حقه عليه الصلوة والسلام اوجب
والتزامه اكد فجودة العبارة تقبح الشيء او تحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم الشيء او
يهونه ولهذا قال عليه الصلوة والسلام ان من البيان لسحرا فاما ما ورد على جهة
النفي عنه والتنزيه فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب

في حكمه على حال ولكن مع هذا يجب لهم توقيره وتعظيمه وتنزيهه عند ذكره فكيف
عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف الصالح تظهر عليهم حالات شديدة عند ذكره كما
قدمناه في القسم الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة آي من القرآن حكى الله فيها
مقال عداه ومن كفر بآياته وافترى عليه الكذب فكان يخفض بها صوته إعظاما لربه
وإجلالا له وإشفاقا من التشبيه بمن كفره

الباب الثاني

في حكم سابه وشانئه ومتنقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته ووراثته عليه الصلاة والسلام

قال القاضي أبو الفضل رضي الله تعالى عنه قد قدمنا ما هو سب وأذى في حقه عليه الصلاة
والسلام وذكرنا إجماع العلماء على قتل فاعل ذلك وقائله وتخيير الإمام في قتله أو صلبه على
ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه وبعد فاعلم أن مشهور مذهب مالك وأصحابه وأقوال السلف
وجمهور العلماء قتله حدا لا كفرا إن أظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا
استقالته ولا فيئته كما قدمناه وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر في هذا القول وسواء
كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه والشهادة على قوله أو جاء تائبا من قبل نفسه
لأنه حد وجب لا تسقطه التوبة كسائر الحدود قال الشيخ أبو الحسن القابسي رحمه الله تعالى
إذا أقر بالسب تائبا عنه وأظهر التوبة قتل بالسب لأنه هو حده وقال أبو محمد بن أبي زيد مثله وأما ما بينه وبين الله تعالى
فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من الموحدين ثم تاب
لم تزل توبته عنه القتل وكذلك قد اختلف في الزنديق إذا جاء تائبا فحكى القاضي أبو الحسن
ابن القصار في ذلك قولين قال ومن شيوخنا من قال أقتله بإقراره لأنه كان يقدر على ستر
نفسه فلما اعترف خفنا أنه خشي الظهور عليه فبادر بذلك ومنهم من قال أقبل توبته
لأني أستدل على صحتها بمجيئه فكأننا وقفنا على باطنه بخلاف من أسرته البينة قال القاضي
أبو الفضل رضي الله عنه وهذا قول أصبغ ومسألة ساب النبي صلى الله عليه وسلم أقوى

ولا يتصور فيها الخلاف على الاصل المتقدم لانه حق متعلق للنبي صلى الله عليه وسلم ولامته
بسببه لا تسقطه التوبة كسائر حقوق الادميين والزنديق اذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك
والليث واحمد واسحق لا تقبل توبته وعند الشافعي تقبل واختلف فيه عن ابي حنيفة وابي يوسف
وحكى ابن المنذر عن علي بن ابي طالب يستتاب قال محمد بن سحنون ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة
من سبه عليه الصلوة والسلام لانه لم ينتقل من دين الى غيره وانما فعل شيئا حده عندنا
القتل لا عفو فيه لاحد كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر وقال القاضي ابو محمد بن نصر
محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه وبين من سب الله تعالى على مشهور القول باستتابته
ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة الا من اكرمه الله تعالى بنبوته والباري
تعالى منزه عن جميع المعائب قطعا وليس من جنس تلحقه المعرة بجنسه وليس سبه عليه الصلوة
والسلام كالارتداد المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه
لغيره من الادميين فقبلت توبته ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم تعلق فيه حق لادمي
فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده او يقذف فان توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف
وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زنا وسرقة وغيرها ولم يقتل ساب
النبي صلى الله عليه وسلم لكفره ولكن لمعنى يرجع الى تعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك
لا تسقطه التوبة قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه يريد والله اعلم لان سبه لم
يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى الازراء والاستخفاف او لان بتوبته واظهار انابته
ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله اعلم بسريرته وبقي حكم السب عليه وقال ابو عمران القابسي من
سب النبي عليه الصلوة والسلام ثم ارتد عن الاسلام قتل ولم يستتب لان السب من حقوق
الادميين التي لا تسقط عن المرتد وكلام شيوخنا هؤلاء مبني على القول بقتله حدا لا
كفرا وهو يحتاج الى تفصيل واما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك
ممن ذكرناه وقال به من اهل العلم فقد صرحوا انه ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب نكل

وإن لم نحكم له بحكم المرتد مطلقاً فهذا الوجه والوجه الأول أظهر لما قدمناه
ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم نره ردة فهو يوجب القتل فيه حداً وإنما نقول ذلك
مع فصلين أما مع إنكاره ما شهد به عليه وإظهاره الإقلاع والتوبة عنه فنقتله حداً لثبات
كلمة الكفر عليه في حق النبي صلى الله عليه وسلم وتحقيره ما عظم الله من حقه وأجرينا أحكامه
في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق إذا ظهر عليه وأنكر وتاب فإن قيل فكيف تثبتون
عليه الكفر ويشهد عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها
قلنا نحن وإن أثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا نقطع عليه بذلك لإقراره بالتوحيد و
النبوة وإنكاره ما شهد به عليه أو زعمه أن ذلك كان منه وهلاً ومعصية وأنه مقلع
عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع إثبات بعض أحكام الكفر على بعض الأشخاص وإن لم تثبت
له خصائصه كقتل تارك الصلاة وأما من علم أنه سبه معتقداً لاستحلاله فلا شك
في كفره بذلك وكذلك إن كان سبه في نفسه كفراً كتكذيبه أو تكفيره ونحوه فهذا مما
لا إشكال فيه ويقتل وإن تاب منه لأنا لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة حداً لقوله و
متقدم كفره وأمره بعد إلى الله المطلع على صحة إقلاعه العالم بسره وكذلك من لم يظهر
التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله هتك
حرمة الله تعالى وحرمة نبيه يقتل كافراً بلا خلاف فعلى هذه التفصيلات خذ كلام
العلماء ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج عليها وأجر اختلافهم في الموارثة وغيرها
على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم إن شاء الله تعالى **فصل** إذا قلنا بالاستتابة حيث
تصح فالاختلاف فيها على الاختلاف في توبة المرتد إذ لا فرق بينهما وقد اختلف السلف
في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب جمهور العلماء إلى أن المرتد يستتاب وحكى ابن
القصار أنه إجماع من الصحابة على تصويب قول عمر في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم
وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود وبه قال عطاء بن أبي رباح والنخعي والثوري ومالك

واصحابه والاوزاعي والشافعي واحمد بن حنبل واسحق واصحاب الرأي وذهب طاوس ومحمد بن الحسن
وعبيد بن عمير والحسن في إحدى الروايتين عنه انه لا يستتاب وقاله عبد العزيز بن ابي سلمة وذكره
عن معاذ وانكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف وهو قول اهل الظاهر
قالوا وتنفعه توبته عند الله تعالى ولكن لا ندرأ القتل عنه لقوله صلى الله عليه وسلم من
بدل دينه فاقتلوه وحكي ايضا عن عطاء ان كان ممن ولد في الاسلام لم يستتب ويستتاب
الإسلامي وجمهور العلماء على ان المرتد والمرتدة في ذلك سواء وروي عن علي لا تقتل المرتدة
وتسترق وقاله عطاء وقتادة وروي عن ابن عباس لا تقتل النساء في الردة وبه قال
ابو حنيفة وقال مالك والحر والعبد والذكر والانثى في ذلك سواء واما مدتها فمذهب
الجمهور وروي عن عمر انه يستتاب ثلاثة ايام يحبس فيها وقد اختلف فيه عن عمر وهو احد
قولي الشافعي وقول احمد واسحاق واستحسنه مالك وقال لا يأتي الاستظهار الا بخير
وليس عليه جماعة الناس قال الشيخ محمد بن ابي زيد رحمه الله يريد في الاستيناء ثلاثا
وقال مالك ايضا الذي آخذ به في المرتد قول عمر يحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه كل يوم فان
تاب والا قتل قال ابو الحسن بن القصار في تأخيره ثلاثا روايتان عن مالك هل ذلك
واجب او مستحب واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلاثا اصحاب الرأي وروي عن ابي بكر الصديق
رضي الله عنه انه استتاب امرأة فلم تتب فقتلها وقال الشافعي مرة فقال ان لم يتب قتل مكانه
واستحسنه المزني وقال الزهري يدعى الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى قتل وروي عن علي
يستتاب شهرين وقال النخعي يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري ما رجيت توبته وحكى ابن القصار
عن ابي حنيفة انه يستتاب ثلاث مرات في ثلاثة ايام او ثلاث جمع كل يوم او جمعة مرة
وفي كتاب محمد عن ابن القاسم يدعى المرتد الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى ضربت عنقه
واختلف على هذا هل يهدد او يشدد عليه ايام الاستتابة ليتوب ام لا فقال مالك ما
علمت في الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى من الطعام بما لا يضره وقال اصبغ

يخوف أيام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه الإسلام وفي كتاب أبي الحسن الطابثي يوعظ
في تلك الأيام ويخوف بالنار ويذكر بالجنة قال أصبغ وأيّ المواضع حبس فيها من
السجون مع الناس أو وحده إذا استوثق منه سواء ويوقف ماله خيفة أن يتلفه على
المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب أبدا كلما رجع وارتد وقد استتاب النبي صلى
الله عليه وسلم نبهان الذي ارتد أربع مرات أو خمسا قال ابن وهب عن مالك يستتاب أبدا كلما
رجع وهو قول الشافعي وأحمد وقاله ابن القاسم وقال إسحق يقتل في الرابعة وقال أصحاب
الرأي إن لم يتب في الرابعة قتل دون استتابة وإن تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج
من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة قال ابن المنذر ولا نعلم أحدا أوجب على المرتد
في المرة الأولى أدبا إذا رجع وهو على مذهب مالك والشافعي والكوفي **فصل** هذا حكم
من ثبت عليه ذلك بما يجب ثبوته من إقرار أو عدول لم يدفع فيهم فأما من لم تتم
الشهادة عليه بما شهد عليه الواحد أو اللفيف من الناس أو ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا
وكذلك إن تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرأ عنه القتل ويتسلط عليه اجتهاد
الإمام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة عليه وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة
حاله من التهمة في الدين والنبز بالسفه والمجون فمن قوي أمره أذاقه من شديد النكال
من التضييق في السجن والشد في القيود إلى الغاية التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام
لضرورته ولا يقعده عن صلاته وهو حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى أوجبه وتربص به
لإشكال وعائق اقتضاه أمره وحالات الشدة في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد عن مالك
والأوزاعي أنها ردة فإذا تاب نكل ولمالك في العتبية وكتاب محمد من رواية أشهب إذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه
وقاله سحنون وأفتى أبو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم فشهد
عليه شاهدان عدل أحدهما بالأدب الوجيع والتنكيل والسجن الطويل حتى تظهر توبته
وقال القابسي في مثل هذا ومن كان أقصى أمره القتل فعاق عائق أشكل في القتل لم ينبغ

ان يطلق من السجن ويستطال سجنه ولو كان بقي من المدة ما عسى ان يقيم ويحمل عليه من
القيد ما يطيق وقال في مثله ممن اشكل امره يشد في القيود شدا ويضيق عليه في السجن حتى
ينظر فيما يجب عليه وقال في مسئلة اخرى مثلها ولا تهراق الدماء الا بالامر الواضح وفي
الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة فاما ان لم يشهد عليه سوى
شاهدين فاثبت من عدالتهما وجرحتهما ما اسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما
فامره اخف لسقوط الحكم عنه وكانه لم يشهد عليه الا ان يكون ممن يليق به ذلك و
يكون الشاهدان من اهل التبريز فاسقطهما بعداوة فهو وان لم ينفذ الحكم عليه
بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما وللحاكم هنا في تنكيله موضع اجتهاد والله ولي الارشاد

فصل هذا حكم المسلم فاما الذمي اذا صرح بسبه او عرض او استخف بقدره او وصفه
بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف عندنا في قتله ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة او العهد
على هذا وهو قول عامة العلماء الا ابا حنيفة والثوري واتباعهما من اهل الكوفة فانهم
قالوا لا يقتل وما هو عليه من الشرك اعظم ولكن يؤدب ويعزر واستدل بعض شيوخنا
على قتله بقوله عز وجل وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم الاية ويستدل
ايضا عليه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن الاشرف واشباهه ولانا لم نعاهدهم و
لم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم فاذا اتوا ما لم يعطوا عليه العهد
ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا اهل حرب يقتلون لكفرهم وايضا فان
ذمتهم لا تسقط حدود الاسلام عنهم من القطع في سرقة اموالهم والقتل لمن قتلوه منهم
وان كان ذلك منهم حلالا عندهم فكذلك سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم يقتلون
به ووردت لاصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف اذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به ستقف
عليها من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد وحكى ابو المصعب الخلاف فيها عن اصحابه
المدنيين واختلفوا اذا سبه ثم اسلم فقيل يسقط اسلامه قتله لان الاسلام يجب ما قبله

بخلاف المسلم اذا سبه ثم تاب لانا نعلم باطنه الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه لكنه
منعناه من اظهاره فلم يزدنا ما اظهره الا مخالفة للامر ونقضا للعهد فاذا رجع عن دينه الاول
الى الاسلام سقط ما قبله قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
والمسلم بخلافه اذ كان ظننا بباطنه حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الآن فلم نقبل بعد رجوعه
ولا استنمنا الى باطنه اذ قد بدت سرائره وما ثبت عليه من الاحكام باقية عليه لم
يسقطها شيء وقيل لا يسقط اسلام الذمي الساب قتله لانه حق للنبي صلى الله عليه وسلم
وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده الحاق النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه الى الاسلام
بالذي يسقطه كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل اسلامه من قتل وقذف واذا
كنا لا نقبل توبة المسلم فان لا نقبل توبة الكافر اولى قال مالك في كتاب ابن حبيب المبسوط
وابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبينا من اهل الذمة
او احدا من الانبياء عليهم الصلوة والسلام قتل الا ان يسلم وقاله ابن القاسم في العتبية
وعند محمد وابن سحنون واصبغ لا يقال له اسلم ولا لا تسلم ولكن ان اسلم فذلك له توبة
وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او
غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وروي لنا عن مالك الا ان يسلم الكافر
وقد روى ابن وهب عن ابن عمر ان راهبا تناول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر
فهلا قتلتموه وروى عيسى عن ابن القاسم في ذمي قال ان محمدا لم يرسل الينا انما ارسل
اليكم وانما نبينا موسى او عيسى ونحو هذا لا شيء عليهم لان الله تعالى اقرهم على مثله
واما ان سبه فقال ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شيء تقوله
او نحو هذا فيقتل قال ابن القاسم واذا قال النصراني ديننا خير من دينكم انما دينكم دين
الحمير ونحو هذا من القبيح او سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله فقال كذلك
يعطيكم الله ففي هذا الادب الوجيع والسجن الطويل قال واما ان شتم النبي

وسلم ثم تاب فإنه يقتل إلا أن يسلم قاله مالك في غير مرة ولم يقل يستتاب قال ابن القاسم
محمل قوله عندي إن أسلم طائعا وقال ابن سحنون في سؤالات سليمان بن سالم في اليهودي يقول
للمؤذن إذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن الطويل وفي النوادر من
رواية سحنون عنه من شتم الأنبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت
عنقه إلا أن يسلم قال محمد بن سحنون فإن قيل لم قتلته في سب النبي صلى الله عليه وسلم
ومن دينه سبه وتكذيبه قيل لأنا لم نعطهم العهد على ذلك ولا على قتلنا وأخذ أموالنا
فإذا قتل واحدا منا قتلناه وإن كان من دينه استحلاله فكذلك إظهاره لسب النبي صلى الله
عليه وسلم قال سحنون كما لو بذل لنا أهل الحرب الجزية على إقرارهم على سبه لم يجز لنا في
قول قائل كذلك ينتقض عهد من سب منهم ويحل لنا دمه وكما لم يحصن الإسلام من سبه
من القتل كذلك لا تحصنه الذمة قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه ما ذكره ابن
سحنون عن نفسه وعن أبيه مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما به
كفروا فتأمله ويدل على أنه خلاف ما روي عن المدنيين في ذلك ما حكى أبو المصعب الزهري
قال أتيت بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على محمد فاختلف علي فيه فضربته حتى قتلته
أو عاش يوما وليلة وأمرت من جر برجله وطرح على مزبلة فأكلته الكلاب وسئل
أبو المصعب عن نصراني قال عيسى خلق محمدا فقال يقتل وقال ابن القاسم سألنا مالكا
عن نصراني بمصر شهد عليه أنه قال مسكين محمد يخبركم أنه في الجنة فهو الآن في الجنة
ماله لم ينفع نفسه إذ كانت الكلاب تأكل ساقيه لو قتلوه استراح منه الناس قال مالك
أرى أن تضرب عنقه قال ولقد كدت أن لا أتكلم فيها بشيء ثم رأيت أنه لا يسعني الصمت
قال ابن كنانة في المبسوطة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى فأرى
للإمام أن يحرقه بالنار وإن شاء قتله ثم حرق جثته وإن شاء أحرقه بالنار حيا إذا تهافتوا
في سبه ولقد كتب إلى مالك من مصر وذكر مسألة ابن القاسم المتقدمة قال فأمرني مالك

فكتبت اليه بان يقتل وان تضرب عنقه فكتبت ثم قلت يا ابا عبد الله واكتب ثم يحرق
بالنار فقال انه لحقيق بذلك وما اولاه به فكتبته بيدي بين يديه فما انكره ولا عابه و
نفذت الصحيفة بذلك فقتل وحرق بالنار وافتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة في جماعة
سلف اصحابنا الاندلسيين بقتل نصرانية استهلت بنفي الربوبية وبنوة عيسى لله
وتكذيب محمد في النبوة وبقبول اسلامها ودرء القتل عنها به قال غير واحد من المتاخرين
منهم القابسي وابن الكاتب وقال ابو القاسم بن الجلاب في كتابه من سب الله ورسوله
من مسلم او كافر قتل ولا يستتاب وحكى القاضي ابو محمد في الذمي يسلم روايتين في درء
القتل عنه باسلامه وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه من حقوق العباد لا يسقط
عن الذمي اسلامه وانما تسقط عنه باسلامه حدود الله واما حد القذف فحق للعباد
كان ذلك من نبي او غيره فاوجب على الذمي اذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم ثم اسلم
حد القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف في حق النبي صلى الله عليه وسلم وهو
القتل لزيادة حرمة النبي صلى الله عليه وسلم على غيره ام هل يسقط القتل باسلامه ويحد
ثمانين فتامله **فصل** في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم وغسله والصلوة
عليه اختلف العلماء رضي الله عنهم في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم فذهب
سحنون الى انه لجماعة المسلمين من قبل ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم كفر يشبه كفر الزنديق
وقال اصبغ ميراثه لورثته من المسلمين ان كان مستسرا بذلك وان كان مظهرا له مستهلا
به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب قال ابو الحسن القابسي ان قتل وهو منكر
للشهادة فالحكم في ميراثه على ما اظهر من اقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت عليه ليس
من الميراث في شيء وكذلك لو اقر بالسب واظهر التوبة لقتل اذ هو حده وحكمه في ميراثه
وسائر احكامه حكم الاسلام ولو اقر بالسب وتمادى عليه وابى التوبة منه فقتل على ذلك كان
كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن وتستر عورته ويوارى كما

يتعلل بالكفار وقول الشيخ ابي الحسن في المجاهر المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه لانه كافر مرتد
غير تائب ولا مقلع وهو مثل قول اصبغ وكذلك في كتاب ابن سحنون في الزنديق يتمادى
على قوله ومثله لابن القاسم في العتبية ولجماعة من اصحاب مالك في كتاب ابن حبيب فيمن
اعلن كفره مثله قال ابن القاسم وحكمه حكم المرتد لا يرثه ورثته من المسلمين ولا من اهل
الدين الذي ارتد اليه ولا تجوز وصاياه ولا عتقه وقال اصبغ قتل على ذلك او مات
عليه وقال ابو محمد بن ابي زيد وانما يختلف في ميراث الزنديق الذي يستهل بالتوبة
فلا تقبل منه فاما المتمادي فلا خلاف فيه انه لا يورث وقال ابو محمد فيمن سب الله تعالى
ثم مات ولم تعدل عليه بينة او لم تقبل انه يصلى عليه وروى اصبغ عن ابن القاسم في
كتاب ابن حبيب فيمن كذب بالنبي صلى الله عليه وسلم او اعلن دينا مما يفارق به الاسلام
ان ميراثه للمسلمين وقال بقول مالك ان ميراث المرتد للمسلمين فلا يرثه ورثته ربيعة
والشافعي وابو ثور وابن ابي ليلى واختلف فيه عن احمد وقال علي ابن ابي طالب وابن مسعود
وابن المسيب والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعي والليث واسحاق
وابو حنيفة يرثه ورثته من المسلمين وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما كسبه في الارتداد
فللمسلمين وتفصيل ابي الحسن في باقي جوابه حسن بين وهو على رأي اصبغ وخلاف في سحنون
واختلافهما على قول مالك في ميراث الزنديق فمرة ورثه ورثته من المسلمين قامت
عليه بذلك بينة فانكرها او اعترف بذلك واظهر التوبة وقاله اصبغ ومحمد بن مسلمة
وغير واحد من اصحابه لانه مظهر للاسلام بانكاره او توبته وحكمه حكم المنافقين
الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن نافع عنه في العتبية وكتاب
محمد ان ميراثه لجماعة المسلمين لان ماله تبع لدمه وقال به ايضا جماعة من اصحابه وقاله اشهب
والمغيرة وعبد الملك ومحمد وسحنون وذهب ابن القاسم في العتبية الى انه ان اعترف بما
شهد عليه به وتاب فقتل فلا يورث فان لم يقر حتى قتل او مات ورث قال وكذلك

كل من أسر كفراً فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام وسئل ابو القاسم بن الكاتب عن النصراني يسب النبي صلى الله عليه وسلم فيقتل هل يرثه اهل دينه ام المسلمون فاجاب انه للمسلمين ليس على جهة الميراث لانه لا توارث بين اهل ملتين لكن لانه من فيئهم لنقضه العهد

هذا معنى قوله واختصاره

الباب الثالث

في حكم من سب الله تعالى وملائكته وانبيائه وكتبه وآل النبي عليه الصلوة والسلام وازواجه وصحبه لا خلاف ان ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم واختلف في استتابته فقال ابن القاسم في المبسوط وفي كتاب ابن سحنون ومحمد ورواه ابن القاسم عن مالك في كتاب اسحاق بن يحيى من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب الا ان يكون افترى على الله بارتداده الى دين دان به واظهره فيستتاب وان لم يظهره لم يستتب وقال في المبسوطة مطرف وعبد الملك مثله وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني فان تابوا قبل منهم وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك كله كالردة وهو الذي حكاه القاضي ابن نصر عن المذهب وافتى ابو محمد بن ابي زيد رحمه الله تعالى فيما حكي عنه في رجل لعن رجلا ولعن الله فقال انما اردت ان العن الشيطان فزل لساني فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره واما فيما بينه وبين الله تعالى فمعذور واختلف فقهاء قرطبة في مسئلة هارون بن حبيب اخي عبد الملك الفقيه وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات منها انه قال عند استقلاله من مرض لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب هذا كله فافتى ابراهيم بن حسين بن خالد بقتله وان مضمن قوله تجوير لله تعالى وتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب وابراهيم بن حسين بن عاصم وسعيد بن سليمان القاضي بطرح القتل عنه الا ان القاضي رأى عليه التثقيل في الحبس والشدة في

الا دين لاحتمال تلاوته وصرفه الى التشكل فوجه من قال في سابّ الله تعالى بالاستتابة
انه كفر وردّة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله تعالى فاشبه قصد الكفر بغير سب الله تعالى
واظهار الانتقال من دين الى دين آخر من الاديان المخالفة للاسلام ووجه ترك استتابته
انه لما ظهر منه ذلك بعد اظهار الاسلام قبل اتهمناه وظننا ان لسانه لم ينطق به الا وهو
معتقد له اذ لا يتساهل في هذا احد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته واذا انتقل من
دين الى دين آخر واظهر السب بمعنى الارتداد فهذا قد اعلم انه قد خلع ربقة الاسلام من عنقه
بخلاف الاول المتمسك به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور مذاهب اكثر
اهل العلم وهو مذهب مالك واصحابه على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف في فصوله

فصل

واما من اضاف الى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة وقصد الكفر
ولكن على طريق التأويل والاجتهاد والخطأ المفضي الى الهوى والبدعة من تشبيه او
نعت بجارحة او نفي صفة كمال فهذا مما اختلف السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده
واختلف قول مالك واصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحيزوا فئة وانهم
يستتابون فان تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا في المنفرد منهم فاكثر قول مالك واصحابه
ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهر
اقلاعهم وتستبين توبتهم كما فعل عمر بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج و
قول عبد الملك بن الماجشون وقول سحنون في جميع اهل الاهواء وبه فسر قول مالك
في الموطأ وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه من قولهم في القدرية
يستتابون فان تابوا والا قتلوا وقال عيسى عن ابن القاسم في اهل الاهواء من الاباضية
والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من اهل البدع والتحريف لتأويل كتاب الله تعالى يستتابون
اظهروا ذلك او اسروه فان تابوا والا قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال مثله ايضا ابن
القاسم في كتاب محمد في اهل القدر وغيرهم قال واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم

يقيد ومثله له في المبسوط في الاباضية والقدرية وسائر اهل البدع قال هم مسلمون
وانما قتلوا لرأيهم السوء وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز قال ابن القاسم من قال ان الله
لم يكلم موسى تكليما استتيب فان تاب والا قتل وابن حبيب وغيره من اصحابنا يرى تكفيرهم
وتكفير امثالهم من الخوارج والقدرية والمرجئة وقد روى ايضا مثله عن سحنون فيمن قال
ليس لله كلام انه كافر واختلفت الروايات عن مالك فاطلق في رواية الشاميين ابي
مسهر ومروان بن محمد الطاطري الكفر عليهم وقد شوور في زواج القدري فقال لا تزوجه
قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك وروي عنه ايضا اهل الاهواء كلهم كفار
وقال من وصف شيئا من ذات الله تعالى واشار الى شيء من جسده يد او سمع او بصر قطع
ذلك منه لانه شبه الله بنفسه وقال فيمن قال القران مخلوق كافر فاقتلوه وقال ايضا
في رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر بن بكر التنيسي
يقتل ولا تقبل توبته قال القاضي ابو عبد الله البرنكاني والقاضي ابو عبد الله التستري
من ائمة العراقيين من اصحابنا جوابه مختلف يقتل المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف
اختلف قوله في اعادة الصلاة خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدري
واكثر اقوال السلف تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينة وابن لهيعة روي عنهم
ذلك فيمن قال بخلق القران وقاله ابن المبارك والاودي ووكيع وحفص بن غياث
وابو اسحق الفزاري وهشيم وعلي بن حاتم في اخرين وهو من قول اكثر المحدثين
والفقهاء والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية واهل الاهواء المضلة واصحاب البدع
المتاولين وهو قول احمد بن حنبل وكذلك قالوا في الواقفة والشاكة في هذه الاصول
وممن روي عنه معنى القول الاخر بترك تكفيرهم علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن عمر
والحسن البصري وهو رأي جماعة من الفقهاء النظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث الصحابة
والتابعين ورثة اهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين

وتجري احكام الاسلام عليهم وقال اسمعيل القاضي وانما قال مالك في القدرية وسائر
اهل البدع يستتابون فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد في الارض كما قال في المحارب ان
رأى الامام قتله وان لم يقتل قتله وفساد المحارب انما هو في الاموال ومصالح الدنيا وان
كان قد يدخل ايضا في امر الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل البدع معظمه على الدين
وقد يدخل في امر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة **فصل** في تحقيق القول
في اكفار المتأولين قد ذكرنا مذاهب السلف في اكفار اصحاب البدع والاهواء المتأولين
ممن قال قولا يؤديه مساقه الى كفر هو اذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه اليه قوله
وعلى اختلافهم اختلف الفقهاء والمتكلمون في ذلك فمنهم من صوب التكفير الذي
قال به الجمهور من السلف ومنهم من اباه ولم ير اخراجهم من سواد المسلمين وهو
قول اكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق عصاة ضلال ونورثهم من المسلمين
ونحكم لهم باحكامهم ولهذا قال سحنون لا اعادة على من صلى خلفهم في وقت ولا في
غيره وقال وهو قول جميع اصحاب مالك كلهم منهم المغيرة وابن كنانة واشهب قال لانه مسلم
وذنبه لم يخرجه من الاسلام واضطرب آخرون في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير
او ضده واختلاف قول مالك في ذلك وتوقفه عن اعادة الصلوة خلفهم منه والى
نحو من هذا ذهب القاضي ابو بكر امام اهل التحقيق والحق وقال انها من المعوصات اذ
القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا قولا يؤدي اليه واضطرب قوله في المسئلة على
نحو اضطراب قول امامه مالك بن انس حتى قال في بعض كلامه انهم على رأي من كفرهم
بالتأويل لا تحل مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم ولا الصلوة على ميتهم ويختلف في موارثتهم
على الخلاف في ميراث المرتد وقال ايضا نورث ميتهم ورثتهم من المسلمين و
لا نورثهم من المسلمين واكثر ميله الى ترك التكفير بالمآل وكذلك اضطرب فيه
قول شيخه ابي الحسن الاشعري واكثر قوله ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة وهو

الجهل بوجود البارئ تعالى وقال مرة من اعتقد ان الله جسم او المسيح وبعض من يلقاه
في الطرق فليس بعارف به وهو كافر ولمثل هذا ذهب ابو المعالي في اجوبته لابي محمد عبد الحق
وكان سأله عن المسألة فاعتذر له بان الغلط فيها يصعب لان ادخال كافر في الملة او اخراج
مسلم عنها عظيم في الدين وقال غيرهما من المحققين الذي يجب الاحتراز من التكفير
في اهل التأويل فان استباحة دماء المصلين الموحدين خطر والخطأ في ترك الف
كافر اهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم واحد وقد قال صلى الله عليه وسلم فاذا
قالوا يعني الشهادة عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله فالعصمة
مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها الا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس
عليه والفاظ الاحاديث الواردة في الباب معرضة للتأويل فما جاء منها في التصريح
بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم في الاسلام وتسمية الرافضة بالشرك واطلاق
اللعنة عليهم وكذلك في الخوارج وغيرهم من اهل الاهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير
وقد يجيب الآخر عنها بانه قد ورد مثل هذه الالفاظ في الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ
وكفر دون كفر واشراك دون اشراك وقد ورد مثله في الرياء وعقوق الوالدين و
الزوج وغير معصية واذا كان محتملا للامرين فلا يقطع على احدهما الا بدليل قاطع و
قوله في الخوارج هم من شر البرية وهذه صفة الكفار وقال شر قتيل تحت اديم السماء
طوبى لمن قتلهم او قتلوه وقال عليه الصلاة والسلام فاذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وظاهر
هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له الآخر انما ذلك
من قتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم عليهم بدليله من الحديث نفسه يقتلون
اهل الاسلام فقتلهم ههنا حد لا كفر وذكر عاد تشبيه للقتل وحله لا للمقتول وليس
كل من حكم بقتله يحكم بكفره ويعارضه بقول خالد في الحديث دعني اضرب عنقه
يا رسول الله فقال لعله يصلي فان احتج بقوله صلى الله عليه وسلم يقرؤن القرآن

لا يجاوز حناجرهم فاخبر ان الايمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم تمرقون
من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يرجعون اليه حتى يعود السهم الى فوقه وبقوله
صلى الله عليه وسلم سبق الفرث والدم يدل على انه لم يتعلق من الاسلام بشيء اجابه الاخرون
ان معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم ولا تعمل
جوارحهم وعارضوهم بقوله صلى الله عليه وسلم ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي التشكك
في حاله وان احتجوا بقول ابي سعيد الخدري في هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول يخرج في هذه الامة ولم يقل من هذه الامة وتحرير ابي سعيد الرواية
واتقانه اللفظ اجابهم الاخرون بان العبارة بفي لا تقتضي تصريحا بكونهم من غير الامة
بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض وكونهم من الامة مع انه قد روي عن ابي ذر و
علي وابي امامة وغيرهم في هذا الحديث يخرج من امتي وسيكون من امتي وحروف المعاني
مشتركة فلا تعويل على اخراجهم من الامة بفي ولا على ادخالهم فيها بمن لكن ابا سعيد
رضي الله عنه اجاد ما شاء في التنبيه الذي نبه عليه وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة
وتحقيقهم للمعاني واستنباطها من الالفاظ وتحريرهم لها وتوقيهم في الرواية هذه المذاهب
المعروفة لاهل السنة ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة اقربها قول جهم ومحمد بن شبيب ان الكفر
بالله الجهل به لا يكفر احد بغير ذلك وقال ابو الهذيل ان كل متاول كان تاويله تشبيها
لله بخلقه وتجويرا له في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من اثبت شيئا قديما لا يقال
له الله فهو كافر وقول بعض المتكلمين ان كان ممن عرف الاصل وبنى عليه وكان فيما
هو من اوصاف الله تعالى فهو كافر وان لم يكن من هذا الباب ففاسق الا ان يكون ممن لم
يعرف الاصل فهو مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري الى تصويب اقوال
المجتهدين في اصول الدين فيما كان عرضة للتاويل وفارق في ذلك فرق الامة اذ اجمعوا
سواه على ان الحق في اصول الدين واحد والمخطئ فيه اثم عاص فاسق وانما الخلاف

زِ تكفيرِه وقد حكى القاضى ابوبكرٍ الباقلانى مثل قولِ عُبيد الله عن داؤد الاصبهانى
وقال حكى قومٌ عنهما انهما قالا ذلك فى كل من علم الله من حاله استفراغ الوسع فى
طلب الحق من اهل ملتنا او من غيرهم وقال نحو هذا القول الجاحظ وثمامة فى ان كثيرا
من العامة والبُله والنساء ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم
اذ لم تكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال وقد نحا الغزالى قريبا من هذا المنحى فى كتاب التفرقة
وقائل هذا كله كافر بالاجماع على كفر من لم يكفر احدا من النصارى واليهود وكل من فارق
دين الاسلام او وقف فى تكفيرهم او شك قال القاضى ابوبكر لان التوقيف والاجماع
على كفرهم فمن وقف فى ذلك فقد كذب النص والتوقيف او شك فيه والتكذيب والشك فيه
لا يقع الا من كافر **فصل** فى بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف او يختلف فيه
وما ليس بكفر اعلم ان تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع و
لا مجال للعقل فيه والفصل البين فى هذا ان كل مقالة صرحت بنفى الربوبية
او الوحدانية او عبادة احد غير الله او مع الله فهى كفر كمقالة الدهرية وسائر
فرق اصحاب الاثنين من الديصانية والمانوية واشباههم من الصابئين والنصارى
والمجوس والذين اشركوا بعبادة الاوثان او الملائكة او الشياطين او الشمس او النجوم
او النار او احد غير الله تعالى من مشركى العرب واهل الهند والصين والسودان و
غيرهم ممن لا يرجع الى كتاب وكذلك القرامطة واصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية
والطيارة من الروافض وكذلك من اعترف بالهية الله تعالى ووحدانيته ولكنه
اعتقد انه غير حى او غير قديم وانه محدث او مصور او ادعى له ولدا او صاحبة
او والدا او انه متولد من شىء او كائن عنه او ان معه فى الازل شيئا قديما غيره او ان
صانعا للعالم سواه او مدبرا غيره فذلك كله كفر باجماع المسلمين كقول الالهيين
من الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين وكذلك من ادعى مجالسة الله تعالى والعروج

اليه ومكالمته او حلوله في احد الاشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى
والقرامطة وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم او بقائه او شك في ذلك على
مذهب بعض الفلاسفة والدهرية او قال بتناسخ الارواح وانتقالها ابد الاباد
في الاشخاص وتعذيبها وتنعيمها فيها بحسب زكائها وخبثها وكذلك من اعترف بالالهية
والوحدانية ولكنه جحد النبوة من اصلها عموما او نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم
خصوصا او احد من الانبياء الذين نص الله عز وجل عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر
بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود والاروسية من النصارى والغرابية من الروافض الزاعمين
ان عليا كان المبعوث اليه جبريل وكالمعطلة والقرامطة والاسماعيلية والعنبرية
من الرافضة وان كان بعض هؤلاء قد اشركوا في كفر اخر مع من قبلهم وكذلك من
(وفي نسخة اشتركوا)
دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن جوز على الانبياء
الكذب فيما اتوا به ادعى في ذلك المصلحة بزعمه او لم يدعها فهو كافر باجماع كالمتفلسفين
وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة واصحاب الاباحة فان هؤلاء زعموا
(كالوجودية)
ان ظواهر الشرع واكثر ما جاءت به الرسل من الاخبار عما كان ويكون من امور الاخرة
والحشر والنشر والقيامة والجنة والنار ليس منها شيء على مقتضى لفظها و
مفهوم خطابها وانما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح
لقصور افهامهم فمضمن مقالاتهم ابطال الشرائع وتعطيل الاوامر والنواهي وتكذيب
الرسل والارتياب فيما اتوا به وكذلك من اضاف الى نبينا صلى الله عليه وسلم تعمد
الكذب فيما بلغه واخبر به او شك في صدقه او سبه او قال انه لم يبلغ او استخف
به او باحد من الانبياء او ازرى عليهم او اذاهم او قتل نبيا او حاربه فهو كافر
باجماع وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء في ان في كل جنس من الحيوان
نذيرا ونبيا من القردة والخنازير والدواب والدود وغير ذلك ويحتج بقوله تعالى

وان من أمته الاختلاف فيما نزيد اذ ذلك يؤدي الى ان توصف انبياءهم الاجماع
بصفاتهم المذمومة وفيه من الازدراء على هذا المذهب المنيف ما فيه مع اجماع المسلمين
على خلافه وتكذيب قائله وكذلك نكفر من اعترف من الاصول الصحيحة بما تقدم
وبنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن قال كان اسود او مات قبل ان يلتحي او ليس
الذي كان بمكة والحجاز وليس بقرشي لان وصفه بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب
به وكذلك من ادعى نبوة احد مع نبينا عليه الصلوة والسلام او بعده كالعيسوية
من اليهود القائلين بتخصيص رسالته الى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل و
كاكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده
وكذلك كل امام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة وكالبزيغية والبيانية
منهم القائلين بنبوة بزيغ وبيان واشباه هؤلاء او من ادعى النبوة لنفسه او
جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب الى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة و
كذلك من ادعى منهم انه يوحى اليه وان لم يدع النبوة او انه يصعد الى السماء
ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين فهؤلاء كلهم كفار مكذبون
للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبر انه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ولا نبي بعده واخبر
عن الله تعالى انه خاتم النبيين وانه ارسل كافة للناس واجمعت الامة على حمل هذا الكلام
على ظاهره وان مفهومه المراد به دون تأويل ولا تخصيص فلا شك في كفر هؤلاء
الطوائف كلها قطعا اجماعا وسمعا وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من دافع نص
الكتاب وخص حديثا مجمعا على نقله مقطوعا به مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج
بابطال الرجم ولهذا نكفر من لم يكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل او وقف
فيهم او شك او صحح مذهبهم وان اظهر مع ذلك الاسلام واعتقده واعتقد ابطال كل مذهب
سواه فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك وكذلك نقطع بتكفير كل قائل

ملتلہ في النسخ نعم حيث يجمع النون مع الياء والاضافة

قال قولا يتوصل به الى تضليل الامة او تكفير جميع الصحابة كقول الكميلية من الرافضة
بتكفير جميع الامة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم تقدم عليا وكفرت عليا
اذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهؤلاء قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة
باسرها اذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن اذ ناقلوه كفرة على زعمهم والى هذا والله اعلم
اشار مالك رحمه الله في احد قوليه بقتل من كفر الصحابة ثم كفروا من وجه آخر بسبهم
النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم انه عهد الى علي وهو يعلم انه
يكفر بعده على قولهم لعنهم الله وصلى الله على رسوله محمد وآله وكذلك نكفر بكل فعل
اجمع المسلمون على انه لا يصدر الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله
ذلك الفعل كالسجود للصنم وللشمس والقمر والصليب والنار والسعي الى الكنائس و
البيع مع اهلها والتزيي بزيهم من شد الزنانير وفحص الرؤس فقد اجمع المسلمون
ان هذا لا يوجد الا من كافر وان هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح فاعلها
بالاسلام وكذلك اجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل او شرب الخمر او الزنا
او شيئا مما حرم الله عز وجل بعد علمه بتحريمه كاصحاب الاباحة من القرامطة وبعض غلاة
المتصوفة وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وانكر قاعدة من قواعد الشرع و
ما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل النبي صلى الله عليه وسلم ووقع الاجماع
المتصل عليه كمن انكر وجوب الخمس الصلوات او عدد ركعاتها وسجداتها ويقول انما اوجب
الله علينا في كتابه الصلاة على الجملة وكونها خمسا وعلى هذه الصفات والشروط لا اعلمه
اذ لم يرد به في القرآن نص جلي والخبر به عن الرسول خبر واحد وكذلك اجمع المسلمون
على تكفير من قال من الخوارج ان الصلاة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم
ان الفرائض اسماء رجال امروا بولايتهم والخبائث والمحارم اسماء رجال امروا بالبراءة
منهم وقول بعض المتصوفة ان العبادة وطول المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت بهم

أو استحلها وإباحة كل شيء لهم ورفع عهدة الشرائع عنهم وكذلك إن أنكر منكر مكة أو البيت
أو المسجد الحرام أو صفة الحج أو قال الحج واجب في القرآن واستقبال القبلة كذلك ولكن كونه
على هذه الهيئة المتعارفة وأن تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام لا أدري هل
هي تلك أو غيرها ولعل الناقلين أن النبي عليه الصلوة والسلام فسرها بهذه التفاسير
غلطوا أو وهموا فهذا ومثله لا مرية في تكفيره إن كان ممن يظن به علم ذلك وممن
خالط المسلمين وامتدت صحبته لهم إلا أن يكون حديث عهد بإسلام فيقال له سبيلك
أن تسأل عن هذا الذي لا تعلمه بعد كافة المسلمين فلا تجد بينهم خلافا كافة عن
كافة إلى معاصر الرسول صلى الله عليه وسلم أن هذه الأمور كما قيل لك وأن تلك البقعة
هي مكة والبيت الذي فيها الكعبة والقبلة التي صلى لها رسول الله صلى الله عليه
وسلم والمسلمون وحجوا إليها وطافوا بها وأن تلك الأفعال هي صفات عبادة الحج و
المراد به وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وأن صفات الصلاة
المذكورة هي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله عز وجل بذلك
وأبان حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك بعد والمرتاب في ذلك و
المنكر بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق لا يعذر بقوله لا أدري ولا يصدق
فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب إذ لا يمكن أنه لا يدري وأيضا فإنه إذا جوز على جميع
الأمة الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك وأجمعوا أنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم
وفعله وتفسير مراد الله عز وجل أدخل الاسترابة في جميع الشريعة إذ هم الناقلون
لها وللقرآن وانحلت عرى الدين كرة ومن قال هذا كافر وكذلك من أنكر القرآن أو حرفا منه أو
غير شيئا منه أو زاد فيه كفعل الباطنية والإسماعيلية أو زعم أنه ليس بحجة للنبي
صلى الله عليه وسلم أو ليس فيه حجة ولا معجزة كقول هشام الفوطي ومعمر الصيمري
أنه لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسوله ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالة

في كفرهما بهذا القول وكذلك يكفرهما بانكارهما ان يكون في سائر معجزات النبي صلى الله
عليه وسلم حجة له او في خلق السموات والارض دليل على الله تعالى لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر
عن النبي صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح القرآن به وكذلك من انكر شيئا
مما نص فيه القرآن بعد علمه انه من القرآن الذي في ايدي الناس ومصاحف المسلمين
ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالاسلام واحتج لانكاره اما بانه لم يصح النقل عنده
ولا بلغه العلم به او لتجويز الوهم على ناقليه فنكفره بالطريقين المتقدمين لانه مكذب
للقرآن ومكذب للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه تستر بدعواه وكذلك من انكر الجنة
او النار او البعث والحساب او القيامة فهو كافر باجماع للنص عليه واجماع الامة على صحة
نقله متواترا وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر
والنشر والثواب والعقاب معنى غير ظاهره وانها لذات روحانية ومعان باطنة
كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة وزعمهم ان معنى القيامة
الموت او فناء محض وانتقاض هيئة الافلاك وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة
وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم ان الائمة افضل من الانبياء فاما
من انكر ما عرف بالتواتر من الاخبار والسير والبلاد التي لا ترجع الى ابطال الشريعة
ولا تفضي الى انكار قاعدة من الدين كانكار غزوة تبوك او مؤتة او وجود ابي بكر
وعمر او قتل عثمان او خلافة علي مما علم بالنقل ضرورة وليس في انكاره جحد
شريعة فلا سبيل الى تكفيره بجحد ذلك وانكار وقوع العلم له اذ ليس في ذلك اكثر
من المباهتة كانكار هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي من خالفه فاما ان
ضعف ذلك من اجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين اجمع فنكفره بذلك لسريانه الى
ابطال الشريعة فاما من انكر الاجماع المجرد الذي ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع
فاكثر المتكلمين من الفقهاء والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع

الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه عموما وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول
من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين الآية وقوله صلى الله عليه وسلم من خالف الجماعة قيد شبر
فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وحكوا الاجماع على تكفير من خالف الاجماع وذهب آخرون الى
الوقوف عن القطع بتكفير من خالف الاجماع الذي يختص بنقله العلماء وذهب آخرون الى التوقف
في تكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظر كتكفير النظام بانكاره الاجماع لانه بقوله هذا مخالف
اجماع السلف على احتجاجهم به خارق للاجماع قال القاضي ابو بكر القول عندي ان
الكفر بالله هو الجهل بوجوده والايمان بالله هو العلم بوجوده وانه لا يكفر احد بقول و
لا رأي الا ان يكون هو الجهل بالله فان عصى بقول او فعل نص الله ورسوله او اجمع
المسلمون انه لا يوجد الا من كافر او يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله
او فعله لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر بالله عز وجل لا يكون الا باحد ثلاثة امور
احدها الجهل بالله تعالى والثاني ان يأتي فعلا او يقول قولا يخبر الله ورسوله او
يجمع المسلمون ان ذلك لا يكون الا من كافر كالسجود للصنم والمشي الى الكنائس بالتزام
الزنار مع اصحابها في اعيادهم او يكون ذلك القول والفعل لا يمكن معه العلم بالله
قال فهذان الضربان وان لم يكونا جهلا بالله تعالى فهما علم ان فاعلهما كافر منسلخ
من الايمان واما من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية او جحدها مستبصرا
في ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات الكمال
الواجبة له تعالى فقد نص ائمتنا على الاجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه
عنها وعلى هذا حمل قول سحنون من قال ليس لله كلام فهو كافر وهو لا يكفر المتأولين
كما قدمناه فاما من جهل صفة من هذه الصفات فاختلف العلماء ههنا فكفره بعضهم
وحكى ذلك عن ابي جعفر الطبري وغيره وقال به ابو الحسن الاشعري مرة وذهبت طائفة
الى ان هذا لا يخرجه عن اسم الايمان واليه رجع الاشعري قال لانه لم يعتقد ذلك اعتقادا

يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا وانما نكفر من اعتقد ان مقاله حق واحتج هو لاعجمت
السوداء وان النبي صلى الله عليه وسلم انما طلب منها التوحيد لا غير وبحديث القائل لئن قدر الله
علي وفي رواية فيه لعلي اضل الله ثم قال فغفر الله له قالوا ولو بوحث اكثر الناس عن الصفات
وكوشفوا عنها لما وجد من يعلمها الا الاقل وقد اجاب الآخر عن هذا الحديث بوجوه منها
ان قدر بمعنى قدّر ولا يكون شكه في القدرة على احيائه بل في نفس البعث الذي
لا يعلم الا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشك فيه
حينئذ كفرا فاما ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات العقول او يكون قدر بمعنى
ضيّق ويكون ما فعله بنفسه ازراء عليها وغضبا لعصيانها وقيل انما قال ما قاله وهو
غير عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه مما استولى عليه من الجزع والخشية التي
اذهلت قلبه فلم يؤاخذ به وقيل كان هذا في زمن الفترة وحيث ينفع مجرد التوحيد
وقيل بل هذا من مجاز كلام العرب الذي صورته الشك ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل
العارف وله امثلة في كلامهم كقوله عز وجل لعله يتذكر او يخشى وقوله عز وجل
وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين فاما من اثبت الوصف ونفى الصفة فقال
اقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا في سائر الصفات على مذهب
المعتزلة فمن قال بالمآل لما يؤديه اليه قوله ويسوقه اليه مذهبه كفره لانه اذا نفى العلم
انتفى وصف عالم اذ لا يوصف بعالم الا من له علم فكأنهم صرحوا عنده بما ادى اليه قولهم و
هكذا عنده هذا سائر فرق اهل التأويل من المشبهة والقدرية وغيرهم ومن لم ير اخذهم
بمآل قولهم ولا الزمهم موجب مذهبهم لم ير اكفارهم قال لانهم اذا وقفوا على هذا قالوا
لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفي من القول بالمآل الذي الزمتموه لنا ونعتقد نحن وانتم
انه كفر بل نقول ان قولنا لا يؤول اليه على ما اصلناه فعلى هذين المأخذين اختلف
الناس في اكفار اهل التأويل واذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس في ذلك

والصواب ترك إكفارهم والإعراض عن الحتم عليهم بالخسران وإجراء حكم الإسلام عليهم
في قصاصهم ووراثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين
وسائر معاملاتهم لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الأدب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا
عن بدعتهم وهذه كانت سيرة الصدر الأول فيهم فقد كان نشأ على زمن الصحابة
وبعدهم في التابعين من قال بهذه الأقوال من القدر ورأي الخوارج والاعتزال فما
أزاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لأحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم وأدبوهم بالضرب والنفي و
القتل على قدر أحوالهم لأنهم فساق ضلال عصاة أصحاب كبائر عند المحققين وأهل السنة
ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن رأى غير ذلك والله الموفق للصواب قال القاضي أبو بكر
وأما مسائل الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق وخلق الأفعال وبقاء الأعراض و
التولد وشبهها من الدقائق فالمنع من إكفار المتأولين فيها أوضح إذ ليس في الجهل
بشيء منها جهل بالله تعالى ولا أجمع المسلمون على إكفار من جهل شيئا منها وقد قدمنا
في الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف في هذا ما أغنى عن إعادته بحول الله تعالى

فصل هذا حكم المسلم الساب لله تعالى وأما الذمي فروي عن عبد الله بن عمر في ذمي
تناول من حرمة الله غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر عليه بالسيف فطلبه فهرب
وقال مالك في كتاب ابن حبيب ومبسوطه وابن القاسم في المبسوط وكتاب محمد وابن
سحنون من شتم الله تعالى من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفر قتل ولم يستتب
قال ابن القاسم إلا أن يسلم قال في المبسوطة طوعا قال أصبغ لأن الوجه الذي به كفروا هو
دينهم وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة والشريك والولد وأما غير هذا من الفرية
والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد قال ابن القاسم في كتاب محمد ومن شتم
من غير أهل الأديان الله عز وجل بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل إلا أن يسلم وقال
المخزومي في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن أبي حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما

كان او كافرا فان تاب لم يقتل وقال مطرف وعبد الملك مثل قول مالك وقال ابو محمد
بن ابي زيد من سب الله بغير الوجه الذي به كفر قتل الا ان يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب
قبل وذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة وشيوخ الاندلسيين في النصرانية وفتياهم
بقتلها لسبها بالوجه الذي كفرت به لله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم واجماعهم على
ذلك وهو نحو القول الآخر فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم منهم بالوجه الذي
كفر به ولا فرق في ذلك بين سب الله تعالى وسب نبيه صلى الله عليه وسلم لانا عاهدناهم
على ان لا يظهروا لنا شيئا من كفرهم ولا يسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا شيئا منه
فهو نقض لعهدهم واختلف العلماء في الذمي اذا تزندق فقال مالك ومطرف وابن
عبد الحكم واصبغ لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر وقال عبد الملك بن الماجشون يقتل
لانه دين لا يقر عليه احد ولا تؤخذ عليه جزية قال ابن حبيب ولا اعلم من قاله غيره
فصل وهذا حكم من صرح بسبه تعالى واضافة ما لا يليق بجلاله والهيته فاما مفتري
الكذب على الله تعالى بادعاء الالهية او الرسالة او النافي ان يكون الله خالقه او ربه
او قال ليس لي رب او المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره او غمرة جنونه فلا خلاف
في كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه تقبل توبته على المشهور
وتنفعه انابته وتنجيه من القتل فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد
العقاب ليكون ذلك زجرا لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره او جهله الا من تكرر
ذلك منه وعرف استهانته بما اتى به فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته وصار
كالزنديق الذي لا نأمن باطنه ولا نقبل رجوعه وحكم السكران في ذلك حكم الصاحي واما المجنون
والمعتوه فما علم انه قاله من ذلك في حال غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما
فعله من ذلك في حال ميزه وان لم يكن معه عقله وسقط تكليفه ادب على ذلك لينزجر عنه
كما يؤدب على قبائح الافعال ويوالى ادبه على ذلك حتى ينكف عنه كما تؤدب البهيمة

على سوء الخلق حتى يرتدع وقد حرق علي بن ابي طالب رضي الله عنه من ادعى له الالهية وقد قتل عبد الملك بن مروان الحارث المتنبي وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك باشباههم واجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم والمخالف في ذلك من كفرهم كافر واجمع فقهاء بغداد ايام المقتدر من المالكية وقاضي قضاتها ابو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الالهية والقول بالحلول وقوله انا الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا في ابن ابي العزاقر وكان على نحو مذهب الحلاج بعدها ايام الراضي وقاضي قضاة بغداد اذ ذاك ابو الحسن بن عمر المالكي وقال ابن عبد الحكم في المبسوط من تنبأ قتل وقال ابو حنيفة واصحابه من جحد ان الله خالقه او ربه او قال ليس لي رب فهو مرتد وقال ابن القاسم في كتاب ابن حبيب ومحمد في العتبية فيمن تنبأ يستتاب اسر ذلك او اعلنه وهو كالمرتد وقاله سحنون وغيره وقاله اشهب في يهودي تنبأ وادعى انه رسول الينا ان كان معلنا بذلك استتيب فان تاب والا قتل وقال ابو محمد ابن ابي زيد فيمن لعن بارئه وادعى ان لسانه زل وانما اراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره وهذا على القول الآخر من انه لا تقبل توبته وقال ابو الحسن القابسي في سكران قال انا الله ان تاب ادب فان عاد الى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق لان هذا كفر المتلاعبين **فصل** اما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه واهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه او تمثل في بعض الاشياء ببعض ما عظم الله من ملكوته او نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق الا في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف ولا عامد للالحاد فان تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك ان كان ما اورده يوجب الاستخفاف والتنقص لربه وقد افتى ابن حبيب واصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن اخي عجب وكان خرج يوما فاخذه المطر فقال

بدا الخزربوش جلوه وكان بعض الفقهاء بها ابو زيد صاحب الثمانية وعبد الاعلى بن
وهب وابان بن عيسى قد توقفوا عن سفك دمه واشاروا الى انه عبث من القول
يكفى فيه الادب وافتى بمثله القاضى حينئذ موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه فى
عنقى أيشتم رب عبدناه ثم لا ننتصر له انا اذا لعبيد سوء ما نحن له بعابدين وبكى ورفع
المجلس الى الامير بها عبد الرحمن بن الحكم الاموى وكانت عجب عمة هذا المطلوب من
حظاياه واعلم باختلاف الفقهاء فخرج الاذن من عنده بقول ابن حبيب وصاحبه
وامر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضى لتهمته بالمداهنة فى
هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء وسبهم واما من صدرت منه من ذلك الهنة
الواحدة والفلتة الشاردة ما لم يكن تنقصا وازراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر
مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال قائلها وشرح سببها ومقارنها وقد
سئل ابن القاسم رحمه الله تعالى عن رجل نادى رجلا باسمه فاجابه لبيك اللهم لبيك
قال ان كان جاهلا او قاله على وجه سفه فلا شئ عليه قال القاضى ابو الفضل
رحمه الله وشرح قوله انه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو
قالها على اعتقاد انزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله وقد اسرف كثير من
سخفاء الشعراء ومتهميهم فى هذا الباب واستخفوا عظيم هذه الحرمة فاتوا من ذلك
بما ننزه كتابنا ولساننا واقلامنا عن ذكره ولولا انا قصدنا نص مسائل حكيناها ما
ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا مما حكيناه فى هذه الفصول واما ما ورد فى هذا من
اهل الجهالة واغاليط اللسان كقول بعض الاعراب رب العباد ما لنا وما لكا * قد كنت
تسقينا فما بدا لكا * انزل علينا الغيث لا ابا لكا * فى اشباه لهذا من كلام الجهال و
من لم يقومه ثقاف تأديب الشريعة والعلم فى هذا الباب فقلما يصدر الا من جاهل
يجب تعليمه وزجره والاغلاظ له عن العودة الى مثله قال ابو سليمان الخطابى وهذا

تنزهه من القول والله جل جلاله منزه عن هذا لا ربه وقد روينا عن عبد الله أنه قال ليعظم أحدكم ربه أن يذكر اسمه في كل شيء حتى لا يقول أخزى الله الكلب وفعل به كذا وكان بعض من أدركنا من مشايخنا قلما يذكر اسم الله سبحانه إلا فيما يتصل بطاعته وكان يقول للإنسان جزيت خيرا وقلما يقول جزاك الله خيرا إعظاما للاسم أن يمتهن في غير قربة وحدثنا الثقة أن الإمام أبا بكر الشاشي كان يعيب على أهل الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى وفي ذكر صفاته إجلالا لاسمه تعالى ويقول هؤلاء يتمندلون بالله سبحانه وينزل الكلام في هذا الباب تنزيله في باب ساب النبي صلى الله عليه وسلم على الوجوه التي فصلناها والموفق الله فصل وحكم من سب سائر أنبياء الله وملائكته أو استخف بهم أو كذبهم فيما أتوا به أو أنكرهم وجحدهم حكم نبينا عليه الصلاة والسلام على مساق ما قدمناه قال الله تعالى إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله الآية وقال تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم إلى قوله لا نفرق بين أحد منهم وقال تعالى كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله قال مالك في كتاب ابن حبيب ومحمد وقال ابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم وأصبغ وسحنون فيمن شتم الأنبياء أو أحدا منهم أو تنقصه قتل ولم يستتب ومن سبهم من أهل الذمة قتل إلا أن يسلم وروى سحنون عن ابن القاسم من سب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفر ضربت عنقه إلا أن يسلم وقد تقدم الخلاف في هذا الأصل وقال القاضي بقرطبة سعيد بن سليمان في بعض أجوبته من سب الله تعالى وملائكته قتل قال سحنون من شتم ملكا من الملائكة فعليه القتل وفي النوادر عن مالك فيمن قال إن جبريل أخطأ بالوحي وإنما كان النبي علي بن أبي طالب استتيب فإن تاب وإلا قتل ونحوه عن سحنون وهذا قول الغرابية من الروافض سموا بذلك لقولهم كان النبي أشبه

يبطل من القرب والقراب، قال أبو حنيفة وأصحابه على أصلهم من كذّب بأحد من الأنبياء
أو تنقّص أحدًا منهم أو برئ منهم أو شكّ في شيء من ذلك فهو مرتد. وقال أبو الحسن القابسي
في الذي قال لآخر كأنّه وجه مالك الغضبان: لو عُرف أنه قصد ذمّ الملك قُتل. قال القاضي
أبو الفضل: وهذا كلّه فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين، أو على معيّن
ممن حققنا كونه من الملائكة والنبيين ممن نصّ الله تعالى عليه في كتابه أو حققنا علمه
بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالإجماع القاطع كجبريل وميكائيل ومالك وخزنة
الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش المذكورين في القرآن من الملائكة، ومن سُمّي فيه
من الأنبياء، وكعزرائيل وإسرافيل ورضوان والحفظة ومنكر ونكير من الملائكة المتفق
على قبول الخبر بهما. فأما من لم تثبت الأخبار بتعيينه، ولا وقع الإجماع على كونه من
الملائكة والرسل والأنبياء كهاروت وماروت في الملائكة، والخضر ولقمان وذي
القرنين ومريم وآسية وخالد بن سنان المذكور أنه نبي أهل الرسّ وزرادشت الذي
صاحب كتاب مجوس
تدّعي المجوس والمؤرخون نبوّته، فليس الحكم في سابّهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدّمناه
إذ لم تثبت لهم تلك الحرمة، ولكن يُزجر من تنقّصهم وآذاهم ويؤدّب بقدر حال المقول
فيهم، لا سيما من عُرفت صدّيقيته وفضله منهم وإن لم تثبت نبوّته، وأما إنكار نبوّتهم
وكون الآخر من الملائكة فإن كان المتكلم بذلك من أهل العلم فلا حرج لاختلاف
العلماء في ذلك، وإن كان من عوامّ الناس زُجر عن الخوض في مثل هذا، فإن عاد
أُدّب إذ ليس لهم الكلام في مثل هذا، وقد كره السلف الكلام في مثل هذا مما ليس تحته
عمل لأهل العلم فكيف للعامّة. فصل: واعلم أن من استخفّ بالقرآن أو بالمصحف أو
بشيء منه أو سبّهما أو جحده أو حرفًا منه أو آية أو كذّب به أو بشيء منه أو كذّب بشيء
مما صُرّح به فيه من حكم أو خبر أو أثبت ما نفاه أو نفى ما أثبته على علم منه بذلك أو شكّ
في شيء من ذلك فهو كافر عند أهل العلم بإجماع، قال الله تعالى: وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه

الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد حدثنا الفقيه ابو الوليد هشام
بن احمد رحمه الله تعالى نا ابو علي اخبرنا ابن عبد البر اخبرنا ابن عبد المؤمن اخبرنا ابن
داسة اخبرنا ابو داود اخبرنا احمد بن حنبل اخبرنا يزيد بن هارون اخبرنا محمد بن عمرو
عن ابي سلمة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المراء في القران كفر تؤول
بمعنى الشك وبمعنى الجدال وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد اية
من كتاب الله عز وجل من المسلمين فقد حل ضرب عنقه وكذلك ان جحد التوراة والانجيل
وكتب الله المنزلة او كفر بها او لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر وقد اجمع المسلمون
ان القران المتلو في جميع اقطار الارض المكتوب في المصحف بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان
من اول الحمد لله رب العالمين الى اخر قل اعوذ برب الناس انه كلام الله ووحيه
المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما فيه حق وان من نقص منه حرفا
قاصدا لذلك او بدله بحرف اخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي
وقع الاجماع عليه واجمع المسلمون على انه ليس من القران عامدا لكل هذا انه كافر ولهذا
راى مالك قتل من سب عائشة رضي الله عنها بالفرية لانه خالف القران ومن خالف القران
قتل اي لانه كذب بما فيه وقال ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما يقتل
وقاله عبد الرحمن بن مهدي وقاله محمد بن سحنون فيمن قال للمعوذتين ليستا من كتاب الله يضرب
عنقه الا ان يتوب وكذلك كل من كذب بحرف منه وقال وكذلك ان شهد شاهد عدل
على من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما وشهد اخر عليه انه قال ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا
لانهما اجتمعا على انه كذب النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو عثمان الحداد جميع من ينتحل
التوحيد متفقون على ان الجحد لحرف من التنزيل كفر وكان ابو العالية اذا قرا عنده
رجل لم يقل له ليس كما قرات ويقول اما انا فاقرا كذا فبلغ ذلك ابراهيم فقال اراه سمع
انه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله وقال عبد الله بن مسعود من كفر باية من

القرآن فقد كفر به كله وقال اصبغ بن الفرج من كذب ببعض القرآن فقد كذب به كله
ومن كذب به فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله تعالى وقد سئل القابسي عمن خاصم
يهوديا فحلف له بالتوراة فقال الآخر لعن الله التوراة فشهد عليه بذلك شاهد ثم
شهد آخر انه سأله عن القضية فقال انما لعنت توراة اليهود فقال ابو الحسن الشاهد
الواحد لا يوجب القتل والثاني علق الامر بصفة تحتمل التأويل اذ لعله لا يرى اليهود
متمسكين بشيء من عند الله تعالى لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان على
لعن التوراة مجردا لضاق التأويل وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ المقرئ
احد ائمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراءته واقرائه بشواذ من الحروف
مما ليس في المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا اشهد فيه بذلك
على نفسه في مجلس الوزير ابي علي بن مقلة سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وكان فيمن
افتى عليه بذلك ابو بكر الابهري وغيره وافتى ابو محمد بن ابي زيد بالادب فيمن قال لصبي
لعن الله معلمك وما علمك وقال اردت سوء الادب ولم ارد القرآن قال ابو محمد واما من
لعن المصحف فانه يقتل **فصل** وسب اهل بيته واصحابه وازواجه صلى الله عليه
وسلم وتنقصهم حرام ملعون فاعله حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله اخبرنا ابو
الحسين الصيرفي وابو الفضل العدل قالا اخبرنا ابو يعلى اخبرنا ابو علي السنجي اخبرنا ابن
محبوب اخبرنا الترمذي اخبرنا محمد بن يحيى اخبرنا يعقوب بن ابراهيم اخبرنا عبيدة
بن ابي رائطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم
ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن
آذى الله يوشك ان يأخذه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي
فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا

وقال عليه الصلاة والسلام لا تسبوا اصحابي فانه يجيء قوم في آخر الزمان يسبون اصحابي
فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وان مرضوا فلا تعودوهم وعنه صلى الله
عليه وسلم من سب اصحابي فاضربوه وقد اعلم النبي صلى الله عليه وسلم ان سبهم واذاهم
يؤذيه واذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام وقال لا تؤذوني في اصحابي ومن آذاهم
فقد آذاني وقال صلى الله عليه وسلم لا تؤذوني في عائشة وقال عليه الصلوة والسلام
في فاطمة هي بضعة مني يؤذيني ما آذاها وقد اختلف العلماء في هذا فمشهور مذهب مالك
في ذلك الاجتهاد والادب الموجع قال مالك رحمه الله من شتم النبي صلى الله عليه وسلم
قتل ومن شتم اصحابه ادب وقال ايضا من شتم احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ابا بكر او عمر او عثمان او عليا او معاوية او عمرو بن العاص فان قال كانوا على ضلال وكفر قتل
وان شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا وقال ابن حبيب من غلا
من الشيعة الى بغض عثمان والبراءة منه ادب ادبا شديدا ومن زاد الى بغض ابي بكر
وعمر فالعقوبة عليه اشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل الا
لسب النبي صلى الله عليه وسلم وقال سحنون من كفر احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم ورضي عنهم عليا او عثمان او غيرهما يوجع ضربا وحكى محمد بن ابي زيد عن سحنون
من قال في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي انهم كانوا على ضلال وكفر قتل ومن شتم غيرهم
من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد وروي عن مالك من سب ابا بكر رضي الله
عنه جلد ومن سب عائشة رضي الله عنها قتل قيل له لم فقال من رماها فقد خالف
القرآن وقال ابن شعبان عنه لان الله تعالى يقول يعظكم الله ان تعودوا لمثله
ابدا ان كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى ابو الحسن الصقلي ان القاضي
ابا بكر بن الطيب قال ان الله تعالى اذا ذكر في القرآن ما نسبه اليه المشركون سبح
نفسه كقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه في آي كثيرة وذكر تعالى ما نسبه

المنافقون الى عائشة رضى الله عنها فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم
بهذا سبحانك فسبح نفسه فى تبرئتها من السوء كما سبح نفسه فى تبرئته من السوء وهذا
يشهد لقول مالك فى قتل من سب عائشة رضى الله عنها ومعنى هذا والله اعلم ان الله
لما عظم سبها كما عظم سبه وكان سبها سبا لنبيه صلى الله عليه وسلم وقرن سب نبيه واذاه
باذاه تعالى وكان حكم مؤذيه تعالى القتل كان حكم مؤذى نبيه صلى الله عليه وسلم كذلك
كما قدمناه وشتم رجل عائشة رضى الله عنها بالكوفة فقدم الى موسى بن عيسى العباسى
فقال من حضر هذا فقال ابن ابى ليلى انا فجلده ثمانين وحلق رأسه واسلمه الى الحجامين
وروى عن عمر بن الخطاب انه نذر قطع لسان عبيد الله بن عمر اذ شتم المقداد بن الاسود فكلم
فى ذلك فقال دعونى اقطع لسانه حتى لا يشتم احد بعد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وروى ابو ذر الهروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اتى باعرابى يهجو الانصار فقال لولا
ان له صحبة لكفيتكموه قال مالك من تنقص احدا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فليس له
فى هذا الفىء حق قد قسم الله تعالى الفىء فى ثلاثة اصناف فقال تعالى للفقراء المهاجرين
ثم قال والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم الاية وهؤلاء الانصار ثم قال تعالى
والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
الاية فمن تنقصهم فلا حق له فى فىء المسلمين وفى كتاب ابن شعبان من قال فى واحد منهم
انه ابن زانية وامه مسلمة حد عند بعض اصحابنا حدين حدا له وحدا لامه ولا اجعله
كقاذف الجماعة فى كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله عليه الصلوة والسلام من سب
اصحابى فاجلدوه قال ومن قذف ام احدهم وهى كافرة حد حد الفرية لانه سب له فان
كان احد من ولد هذا الصحابى حيا قام بما يجب له والا فمن قام به من المسلمين كان
على الامام قبول قيامه قال وليس هذا كحقوق غير الصحابة لحرمة هؤلاء بنبيهم صلى الله
عليه وسلم ولو سمعه الامام واشهد عليه كان ولى القيام به قال ومن سب غير عائشة رضى الله عنها

من أولاد النبي صلى الله عليه وسلم فيها قولان أحدهما أنه يقتل لأنه سب النبي صلى الله
عليه وسلم بسبب حسنيته والآخر أنها كسائر الصحابة يجلد حد المفتري قال وبالقول الأول
أقول وروى أبو المصعب عن مالك فيمن انتسب إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم يضرب ضربا
وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لأنه استخفاف بحق الرسول صلى الله عليه
وسلم وأفتى أبو المطرف الشعبي فقيه مالقة في رجل أنكر تحليف امرأة بالليل وقال لو
كانت بنت أبي بكر الصديق ما حلفت إلا بالنهار وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه
فقال أبو المطرف ذكر هذا لابنة أبي بكر الصديق في مثل هذا يوجب عليه الضرب الشديد
والسجن الطويل والفقيه الذي صوب قوله هو أحق باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم
إليه في ذلك ويزجر ولا تقبل فتواه ولا شهادته وهي جرحة ثابتة فيه ويبغض في الله
وقال أبو عمران في رجل قال لو شهد علي أبو بكر الصديق إن كان أراد أن شهادته
في مثل هذا لا يجوز فيه الشاهد الواحد فلا شيء عليه وإن كان أراد غير هذا فيضرب
ضربا يبلغ به حد الموت وذكر فيها رواية قال الفقيه القاضي أبو الفضل رضي الله عنه
ورحمه هنا انتهى القول فيما حررناه وانتجز الغرض الذي انتحيناه واستوفي الشرط
الذي شرطناه مما أرجو أن في كل قسم منه للمريد مقنعا وفي كل باب منهجا إلى بغيته و
منزعا وقد سفرت فيه عن نكت تستغرب وتستبدع وكرعت في مشارب من التحقيق
لم يورد لها قبل في أكثر التصانيف مشرع وأودعته غير ما فصل وددت لو وجدت
من بسط قبل الكلام فيه أو مقتدي يفيدنيه عن كتابه أو فيه لأكتفي بما أرويه
عما أرتئيه وإلى الله تعالى جزيل الضراعة وفي المنة لقبول ما منه لوجهه والعفو عما تخلله
من تزين وتصنع لغيره وأن يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه لما أودعناه من شرف
مصطفاه وأمين وحيه ولما أسهرنا به جفوننا لتتبع فضائله وأعملنا فيه خواطرنا من
إبراز خصائصه ووسائله وأن يحمي أعراضنا عن ناره الموقدة لحمايتنا كريم عرضه

وبجعلنا ممن لا يذاد اذا ذيد المبدل عن حوضه ويجعله لنا ولمن تلقم بالكتابة وكتابة سببا يصلنا باسبابه وذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا نحوز بها رضاه وجزيل ثوابه ويخصنا بخصيصى زمرة نبينا وجماعته ويحشرنا فى الرعيل الاول واهل الباب الايمن من اهل شفاعته ونحمده تعالى على ما هدى اليه من جميع الهم وفتح البصيرة لدرك حقائق ما اودعناه وفهم ونستعيذه جل اسمه من دعاء لا يسمع وعلم لا ينفع وعمل لا يرفع فهو الجواد الذى لا يخيب من امله ولا ينتصر من خذله ولا يرد دعوة القاصدين ولا يصلح عمل المفسدين وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى اله واصحابه اجمعين وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

تم الكتاب بحمد الله فى ذى الحجة ... وحسبه الداعى ... اغفر الله لكاتبه ... ولمن سعى فى طبعه

خاتمة الطبع

الحمد لله منزل الكرب والداء ومنزل الرحمة والشفاء والصلوة والسلام على سيد الانبياء واله الاتقياء واصحابه الاصفياء وبعد فيقول العبد الضعيف محمد حسن الصديقى النانوتوى قد وقع الفراغ من هذا الكتاب المستطاب المسمى بكشف الغمة فى احوال المصطفى جزى الله عنا مؤلفه احسن الجزاء ثانى شهر صفر الخير سنة سبع وثمانين بعد الالف والمائتين من هجرة رسول الثقلين صلى الله عليه وسلم يوم لا ينفع ولقد اجاد من تفوه فى تقريظه وتحسينه واحسن الانشاء نظم

اضاء النور منه والثناء		شفاء النفوس لنا الشفاء

(حاشية الهامش:) ... الصادق ... المصطفى ...

ونال عقبه كل الاماني	فزال به عن القلب الشقاء
تكلأ ملأ نوره اذا علينا	سلام لليل حادثنا ضياء
حوا من نظمه درر ولكن	من الياقوت حقا لا مراء
حوى حكما وموعظة وحقا	فصاحة من له شهدت ظباء
فصاحة خير رسل الله فيه	ومدح الله فيه والثناء
فصاحة منطق وبليغ لفظ	وحكمة حاكم وله العطاء
واخبار به تتلى علينا	كلام جامع فيه الهداء
تزحزح الشفاء بما شفينا	وزال البؤس عنا والشقاء
أثاب الله جامعه ثوابا	جنان الخلد فيه له الجزاء
وزاد عقبه شرفا وفضلا	ويلقه المهيمن ما يشاء

ولعمري انه لحق وكلمة صدق وكان قد تصدى لتحشية المكرمي المولوي احمد حسن المراد ابادي من الابتداء الى النصف فعاقه عوائق من الاتمام فعطفت عنان همتي لتحشيته النقية بتوفيق العلام واجتمع عندي من نسخ الكتاب وشروحه عدة التي اخترتها في الضبع والتصحيح عدة لكنا كلما اخذنا من عن الشرح للملا علي القاري فانه اسهل الشروح فهما واضبطها واحضرها ضبطا وتاسيا في تصحيحه الدقيق الكلي وبل لشاعة السعي والجهد فالمرجو من الناظرين ان يبذلوا ذيل العفو للاحتساء على ما وقع فيه من الزلة او الغلط او النسيان واخر دعوانا ان الحمد لله رب العلمين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله واصحابه اجمعين

وقلت مؤرخا

بذل المصحح جهده وسناءه	ليجي من خلد الورى بشفاعته
يا قارئا بالله قل في حقه	يغفر له رب العالمين برحمته
لو شئت عام الطبع اتخ قائلا	ثمنه كمل الشفاء بر أمته

۱۳۱۲ هـ

فوائد عجيب نافعه (?) — [illegible marginal note]